

شعر المرحوم

احمد شوقي

الجزء الأول

في

السياسة والتاريخ والاجتماع

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى
بمصر ص.ب ٥٧٨

طبع على مطابع
دار الكتاب العربي في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل

---

١ ــ كانت مصر الى حين قدوم الحملة الفرنسوية اليها فى سنة ١٧٩٨ بعيدة عن الاحتكاك بدول أوروبا ، خلا ما كان من مرور بعض التجار والمتاجر بأرضها فى ذهابهم وعودتهم بين الغرب والشرق .وكانت بحكم خضوعها لاستبداد المماليك ــ تحت سيادة تركيا ــ تسود فيها الدسائس ، ويعمل كل من أمرائها لما يجر اليه النفع ، وكانت الحركة العلمية والأدبية خامدة فيها خمودها فى سائر بلاد الدولة العثمانية ، وبلغ من ذلك أن تدلى علماء الفقه الاسلامى ، الذين كانوا فى مختلف العصور فخر مصر وزينتها ، وفتر نشاطهم وفسد تاجهم فى ذلك العصر ، فأما الأدب من شعر ونثر فلم تقم له الى ذلك العصر قائمة منذ امتد سلطان الأتراك على مصر ، وانك لتعجب حين تقرأ كاتبا كالجبرتى أو ابن اياس، لضعف تأليفه ولغته ، ولسقم ما فيه من آثار الأدب شعرا كانت هذه الآثار أم نثرا .

فلما جاء الفرنسيون الى مصر ، وتغلغلوا فيها ، وسارت مع حملة الجنود حملة العلماء ، رأى المصريون مظهرا جديدا من مظاهر الحياة لم يكن لهم فى تاريخهم الأخير به عهد .

كان من بينهم الأطباء والمهندسون والصناع والقواد ، ومن بينهم قام رفاعة بك رافع وتلاميذه يحيون عهد الأدب العربى فى مصر ، ولكنها كانت حياة تحيط بها ظلمات ماض طويل ، لذلك كان سريان نورها ضئيلا قصير المدى ، لكنها مع ذلك كانت بدءا له ما بعده ، فلما كان عهد

اسماعيل سارت فى سبيل النضج والقـوة ، ثم كانت الثورة العـرابية وما تلاها من الحوادث مثارا لشاعرية أكابر الشعراء من أمثال : سامى باشا البارودى ، واسماعيل باشا صبرى ، ووحيا لخيال شبان كان روح الشعر آخذا بنفـوسهم ، متهيئا ليفيض منها ما ينفخ فى الأدب العربى روحا وقوة .

وكانت الفترة التى انقضت ما بين الحملة الفرنسية فى مصر سـنة ١٧٩٨ واحتلال الانكليز اياها على أثر الثورة العرابية فى سنة ١٨٨١فترة تقلبات سياسية عجت بين الشرق والغرب والمسلمين والنصارى . فقـد كانت تركيا من قبل ذلك التاريخ فى عهد تدهورها ، وكانت مطمع أطماع روسيا ، فلم تكن تمر حقبة من الزمن من غير أن تشب بينهما حرب تنقص من أطراف المملكة العثمانية ، وضعف تركيا هو الذى دفع محمد عـلى الى غزوها ، لكنه ما كاد يقترب من الآسـتانةحتى تألبت عليـه انكلترا وفرنسا وروسيا مخافة أن يزعجهم قيامه فى عاصمة آل عثمان بين الدول الأوروبية بعد ما كان من انتصاراته الباهرة فى الشرق ومن سعيه لتوطيد قوة السيف وقوة العلم فى مصر ، وكأن ما قامت به الثورة الفرنسـية من نشر مبادىء حرية الرأى والعقيدة لم يغير من نفس تلك الدول التى جعلت من الاسلام والمسيحية والشرق والغرب خصمين لا يتهادنان من غير أن تنطوى الضلوع على حفيظة .

فأما المسلمون فى أقطار الأرض فلم يشتد حقدهم على محمد على، ذلك بأن الدول الاوروبية كافة وروسيا خاصة ، كانت لا تفتأ تشن الغارة على الأتراك وتزيدهم ضعفا على ضعفهم ، فقدانتهت حروب الامبراطورة كاترينا فى سنة ١٨٩٢ بمد الحدود الروسية الى الذنيستر ، ثم تحـالفت روسيا وانكلترا وفرنسا فى سنة ١٨٢٨ ، وسلخن اليونان من جسم الدولة العثمانية ، وأقمنها مملكة مستقلة ، وفى سنة ١٨٥٣ كانت حـرب القرم ، ولولا خوف انكلترا وفرنسا من طغيان روسـيا ومن اكتسـاح الجنس السلافى أوروبا ، لنال الروس من تركيا أكثر مما نالوا من قبل ، ولنفذوا برنامجهم باجلاء الأتراك عن أوربا .

وهذا الضعف والاضمحلال الذى أصيبت الدولة التركية به هـو الذى جعل المسلمين لا يحقدون على محمد على حين غزا الأتراك متمسكين بقول الشاعر :

فان كنت مأكولا فكن أنت آكلى والا فأدركنى ولمـا أمـزق

على أن الحرب التى شبت نارها بين روسيا وتركيا فى سنة ١٨٧٧ والتى خلد فيها الغازى عثمان باشا انتصار الترك بدفاعه المجيد عن(بلفنا) أحيت فى نفوس المسلمين آمالا فى دولة الخلافة كانت توشك أن تنهدم وتنهار .

ولقد كان المصريون الى ذلك العهد يعطفون على تركيا عطف غيرهم من المسلمين ، ولكنهم كانوا أبدا يفكرون فى اسـتقلالهم عنها ويريدون تحقيقه ، ولم يكن الأمل فى ذلك بعيدا بعد الفرمان الذى اسـتصدره اسماعيل باشا فى سنة ١٨٧٣ واستقل فيه بادارة الدولة ، وبالتشريع لها، وبانشاء الجيش الذى يقوم بحاجاتها ومطامعها ، لذلك كان عطفهم عـلى تركيا منبعثا عن شـعور دينى بحت لا أثر للتبعية السياسـية فيه ، فلما حطمت انكلترا وفرنسا آمال اسماعيل ، وقضتا عليه باسم ديون مصر ، ودفعتا تركيا الى خلعه ، واقتهت انكلترا باحتلال مصر بعد الثورة العرابية ، ونكثت بعد الاحتلال وعودها بالجلاء ، وأحس المصريون بتـدخلها فى شئونهم ، اشتد عطفهم على تركيا ، وضعف تبرمهم بسيادتها عليهم ، وثبت عندهم اليقين بأن دول النصرانية تطارد دول الاسلام ، وقـويت فيهم النزعة الدينية ، وكان من ذلك ما زاد النشاط فى بعث الحضارة الاسلامية والأدب العربى فى مصر .

٢ ــ وسط هذه العوامل السياسية والاجتماعية وجد « أحمـد شوقى » ، ولد « بباب اسماعيل » وشب فى جواره ونشأ فى حمـاه ، فكان طبيعيا أن تتأثر نفسه بالبيئة الاجتماعية والسياسية ، وأن تـكون أكثر تأثرا بها لقربها من المسرح الذى تشتبك فيه أصول هـذه العوامل وأسبابها ، وتضطرب فيه اضـطرابا يخفيه ما تقضى به حياة القصور ، ثم

تصبدر الى الحياة بعد أن تكون قد نظمت وهذبت ، وشوقى خلق شاعرا ، والشاعر يتأثر أضعاف ما يتأثر سائر الناس ، لذلك كان لكل هذه العوامل أثر باد في شعره وفى حياته .

ومع أن شوقى درس فى مصر ، ثم أتم دراسته فى أوربا وتأثر بالوسط الأوربى وبالحياة الأوربية وبالشعر الأوربى تأثرا كبيرا ، فقد ظل تأثره بالبيئة التى وصفنا ظاهرا فى حياته وفى شعره ، كما ظل تأثره بالبيئة الأوربية ظاهرا فيهما كذلك . وانك لتكاد تشعر حين مراجعتك أجزاء ديوانه — بعد أن يتم نشرها جميعا — كأنك أمام رجلين مختلفين جد الاختلاف لا صلة بين أحدهما والآخر ، الا أن كليهما شاعر مطبوع يصل من الشعر الى عليا سماواته ، وأن كليهما مصرى يبلغ حبه مصر حد التقديس والعبادة .

أما فيما سوى هذا فأحد الرجلين غير الرجل الآخر : أحدهما مؤمن عامر النفس بالايمان ، مسلم يقدس أخوة المسلمين ، ويجعل من دولة الخلافة قدسا تفيض عليه شئونه وحوادثه وحى الشعر والهامه ، حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها ، محافظ فى اللغة يرى العربية تتسع لكل صورة ولكل معنى ولكل فكرة ولكل خيال ، والآخر رجل دنيا يرى فى المتاع بالحياة ونعيمها خير آمال الحياة وغاياتها ، متسامح تسع نفسه الانسانية وتسع معها الوجود كله ، ساخر من الناس وأمانيهم، مجدد فى اللغة لفظا ومعنى ، وهذا الازدواج ظاهر فى شعر شوقى من أول شبابه الى هذا الوقت الحاضر ، وان كان لتأثره بالقديم الغلبة اليوم ، وكانت آثار الرجل الآخر لا تظهر اليوم فى شعر شوقى الا قليلا .

ولا تقل : ان الازدواج النفسى شأن الشعراء ، وان أبا نواس الذى كان يقول :

ألا فاسقنى خمرا ، وقل لى : هى الخمر
ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر

والذى كان يقول :

دع عنك لومي : فان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

هو أبو نواس الذي كان يقول :

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

فليس هذا من أبي نواس ازدواجا في الروح ، وما الحكمة الزاهدة عنده الا فتور نفس أجهدتها اللذة فأضعفتها ، فأخافها الضعف ، فألجأها الى حمى الحكمة والزهد ، والى استغفار الله والتوبة ، لذلك لا تلبث نفسه أن تعاودها القوة حتى تعود الى نعيم الترف والاباحة ، وذلك هو السر في أنك لا ترى الزهد في شعر أبي نواس الا عرضا واستثناء ، وذلك شأن الشعراء جميعا الا قليل منهم ، وشوقي من هذا القليل ، ففي شعره صورتان من صور الحياة تقوم كل منهما مستقلة ، كأنما صاحبها غير الآخر ، فأنت تقرأ :

حف كأسها الحبب فهي فضة ذهب

أو تقرأ :

رمضان ولى ، هاتها ياساقي مشتاقة تسعى الى مشتاق

فتراك فى حضرة شاعر مغرم بالحياة وبمتاعها ونعمتها ، شاعر تختلف روحه جد الاختلاف عن صاحب نهج البردة التى مطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

وصاحب الهمزية الذى يقول :

ولد الهدى ، فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

وهذان الروحان ، أو هاتان الصورتان من صور الحياة تتجاوران في نفس شوقي ، وتصدران عنها وهي في كل قوتها وسلطانها ، وأنت لذلك حين تقرأ القصيدتين الأوليين تمتلىء اعجابا بالحياة ومتاعها ولذتها ، وحين تقرأ الثانيتين تكون أشد اعجابا بكلمة الايمان وروح الحق ورسالته ،

وأنت لا تشعر فى أى الحالين بضعف نفسانى عند الشاعر دفع به الى لبوس روح غير روحه ، بل أنت فيهما جميعا يبهرك شوقى بقوة شاعريته الممتلئة حياة وخيالا ، والتى تفيض بمتاع العيش فيضها بنور الايمان .

كيف كان هذا الازدواج ؟ كيف جمع شوقى فى نفسه بين هذين الشاعرين ، شاعر الحياة العربية بحضارتها الاسلامية وبما فيها من قدم وايمان ، وبين شاعر الحياة الغربية الخاضعة لحكم العلم وما يكشف عنه كل يوم من جديد ؟

مسألة تبدو للنظرة الأولى دقيقة معقدة . فقد تزدوج فى نفس واحدة حياتان بينهما من الصلة ما يبيح الازدواج ، فيكون الرجل الواحد فيلسوفا وشاعرا ، كما كان المعرى أو كما كان فولتير ، فأما أن يكون الرجل شاعرا وحدة حياته الشعر ، ثم تكون نفسه مقسمة مع هذه الوحدة قسمة ازدواج على نحو شوقى ، فذلك عجب فى شاعر مطبوع يفيض عنه الشعر كما يفيض الماء من النبع ، وكما ينهمل المطر من الغمام .

على أن لهذا الازدواج سببا لم يكن مفر من أن يؤدى اليه ، ذلك أن شوقى كان فى طبع شبابه رسول الحياة ، كان شاعر :

حف كأسها الحبب فهى فضة ذهب

لكن هذا الشباب لم يكن فى ملك نفسه ، فقد بعث به الخديو توفيق باشا ليتم علومه فى أوروبا ، وكان من قبل ذلك شاعرا متفوقا ، وكان فى تفوقه ككل شاعر شاب يرسل القول كما تلهمه اياه نفسه . فلما عاد الى مصر اتصل بالأمير الشاب عباس حلمى باشا وصار كاتمه ، ورأى يومئذ صنوا له على العرش جعلته روحه الشابة مقداما لا يهاب . ومع ما فوجىء به أول ولايته فى حادث عرض الجيش فى السودان — مما اضطره للاعتذار — قد بقى شبابه يدفعه الى ما كان يندفع اليه جده اسماعيل من مغامرة ، لكن قيام الاحتلال الانكليزى فى مصر جعل الخصومة بينه وبينهم وليست بينه وبين الأتراك ، بل لقد كان منظورا اليه أكثر الأحيان بشىء غير قليل

من العطف في بلاد آل عثمان . لذلك كانت عواطفه متفقة وعواطف المسلمين الذين كانوا بعد انتصار الأتراك يرون فى الخليفة الموئل الأخير لأمم الاسلام جميعا .

اتصل الشاعر الشاب بالأمير الشاب ، فحتم عليه ذلك أن يكون المعبر عن الميول والآمال الكمينة فى نفوس المسلمين جميعا ، لا فى نفوس المصريين وحدهم ، وبذلك اجتمع فى نفسه من أول حياته ميله للحياة وحبه اياها ، وحرصه على المتاع بها ، مع ايمان المسلمين جميعا وحرصهم على وحدتهم وعلى كيانهم ، بازاء الامم الغربية التى تنظر اليهم بعين صليبية بحتة ، وكانت هذه الناحية التى تمثلها نفسه من ظروف الحياة ومن البيئة المحيطة به ، أكثر استيحاء لشعره من الناحية الاولى التى هى طبيعة نفسه ، فكان بذلك كالرجل القوى الذى يرى وطنه فى خطر ، ويصبح جنديا ، وجنديا باسلا ، ويتفوق فى كل مواقف الحرب ، ويصبح القائد الأعظم ، ولو أن وطنه لم يكن فى خطر لرأيته صديق النعمة ، السعيد بها غاية السعادة .

٣ — وهذا الجزء الأول من ديوان شوقى فيه طائفة من شعره أوحى اليه بها على أنه ممثل المصريين والعرب والمسلمين ، وأولى قصائده التى مطلعها :

همت الفلك ، واحتواها الماء وحداها بمن تقل الرجاء

هى رواية من الروايات الخالدة لتاريخ مصر منذ الفراعنة الى عهد أبناء محمد على ، وقف فيها الشاعر وقفة مصرى صادق العاطفة تفيض عليه ربة الشعر تاريخ بلاده منذ عرفها التاريخ ، أى منذ عرف الناس شيئا اسمه التاريخ ، وأنت تراه فى عرضه هذا التاريخ ممتلىء النفس فخرا بمجد مصر حين يرتفع بها المجد الى عليا ذراه ، آسفا حزينا حين تمر بمصر فترات ظلم وذلة ، مستفزا للهمم ، حافزا لعزائم أهل جيله والأجيال التى بعده ، كى يعيدوا مجد الماضى وعظمته .

وتراه فى انتقاله من الفخر الى الأسف الى الاستفزاز يسير مع

الحوادث متدفقا ، مندفعا فوق موج الماضى ، آتيا من لا نهايات القدم ، كأننا هو قيثارة آلهة ذلك الزمان البعيد ، يدفع اليها كل جيـل نسائمه ، فتتغنى وتشدو بأهازيج النصر ، وبترانيم المسرة طـورا ، ويشجو الألم أحيانا (١) .

وللقدم وللماضى على نفس الشاعر أثر يذهب الى أعماقهـا . وليس لمثل الآثار المصرية من القدم نصيب ، فهذه الأهرام ما تزال تحتـوى من الطلاسم ما يحار العقل فى حله ، وهذا أبو الهول فى مجثمه بين رمـال الصحراء أكثر ثباتا من الليل والنهار ومن الشمس والقمر ، وهو فى روعة صمته ينطق كل خط خطته الدهور على صحائف جثمانه ، بما حـوته من عبر أيسرها دوام انهيار الأشياء لدوام تجددها ، وهذا الملك الشاب «توت عنخ آمون» نبش قبره النابشون باسم العلم فاذا فيـه من طرف الفن ما يزرى بكل فن وعلم ، هذه وسواها من الآثار تثير فى النفس — الى جانب صورتها الظاهرة وما يدل عليه ابداع صنعها ودقة فنها من حضارة كملت لها كل أنواع الحضارة — صورةالماضى الذاهب فى القدم الىأغوارالأزل، وتثير من شاعرية شوقى معانى بالغة الموعظة والعبرة مبلغها من السـمو والعظمة .

وأنت اذ تقرأ قصائده : على سفح الأهرام ، وأبو الهـول ، وتوت عنخ آمون يهزك الشعور بصورة هـذا الماضى فى قداسـتها ومهابتهـا ،

---

(١) انظر الانتقال فى هذه الأبيات التى اخترناها :

قل لبنـان بنى فشاد فغـالى لم يجز مصر فى الزمـان بنـاء

اجفل البجـا عن عزائم فرعـو ن ودانت لبأسهـا الآبـاء

زعمـوا أنهـا دعـائم شيـدت بيـد البغى ملؤها ظلمـاء

ان يكن غـير ما أتوه فخـار فأنا منـك يا فخـار بـراء

لا رعـاك التـاريخ يا يوم قمبـ ـيز ولاطنطنت بك الأنبـاء

جىء بالمـالك العـزيز ذليـلا لم تزلـزل فؤاده البأسـاء

بنت فرعـون فى السلاسـل تاشى أزعـج الدهر عريهـا والخفـاء

والأعـادى شـواخص وأبوهـا بيد الخطب صخـرة صمـاء

فأرادوا لينظـروا دمـع فرعـو ن وفرعـون دمعـة العدقاء

وتمتلكك نفس الشاعر فترفع بك من مستوى الحياة الدنيا الى سماوات الخلد ، ذلك بأن شوقي يهديك المعنى الذى كانت تلتمسه نفسك فلا تقع عليه ، ويرسم أمامك بوضوح وقوة وسمو خيال ونبل عاطفة كل ما ينبض به قلبك ويهتز له فؤادك .

خلع القدم على هذه الآثار معنى البقاء والثبات ، لذلك كان ما يفيض من الوحى الى روح شاعر الشرق ثابتا باقيا ، لا تزعزعه الحوادث ، ولا تعصف به الغير ، فأما ما سوى ذلك من شئون هذه العصور الحديثة فشوقى فيه هو كلمة الأمة ، وفى هذه العصور الحديثة تغير قدر الناس للحوادث اصغارا واكبارا ، بمبلغ رجائهم فيها ، أو خشيتهم آثارها،وقد تعجب اذ ترى قصيدتين من أبدع قصائد شوقى وأحراها بالخلود متجاورتين فى هذا الجزء الأول من الديوان : احداهما فى وداع لورد كرومر ومطلعها :

أيامكم ، أم عهد اسماعيلا   أم أنت فرعون يسوس النيلا ؟

والثانية فى ارتقاء السلطان حسين كامل على أريكة مصر ، ومطلعها :

الملك فيكم آل اسماعيلا   لا زال بيتكم يظل النيلا

فترى الشاعر ينظر فى كل من القصيدتين الى الحوادث والأشخاص بغير ما ينظر اليها فى الأخرى ، ثم تجد مثل هذا فى غير هاتين القصيدتين . وليس لذلك من علة الا الاضطراب الذى أصاب العالم قبل الحرب وبعدها ، والذى ما يزال عظيم الأثر على تفكير المفكرين وكتابة الكتاب وشعر الشعراء .

على أن هذا التأثر بالحوادث فى بعض الشئون التى لا يستقر للناس فيها عادة رأى قبل أن يصدر التاريخ عليها حكما خاليا من الغرض ، لا يؤثر بشىء فى روعة القصائد التى كان فيها ، وهو بعد لا يشغل من هذه القصائد الا حيزا ضيقا ، فان شوقى لا يزيد فى القصائد التى تقال لمناسبة حادث من الحوادث على أن يشير لهذا الحادث بأبيات خلال

القصيدة وفى آخرها ، فأما أكثر أبيات القصيدة فحكم غوال ، أو وصف رائع ، أو ما سوى ذلك مما يلذ عقل شوقى أو خياله أن يفكر فيه أو يلهو به ، وهذه الحكم لم يتغير تقدير شوقى لها ، فهو يرى أن الامم لا تقوم على دعامة غير دعامة الاخلاق ، وهو يرى ذلك برغم ما قد يبدو فى بعض الامم القوية من تدهور فى الاخلاق ، فالعلم عنـده حسن ولـه فائدته ، والغنى حسن كذلك ، وسائر أدوات الحضارة تصلح الأمم ، لكنها جميعا لا فائدةمن رقيها وغزارتهااذا انحطت أخلاق الأمة ، فأما أن قويت هـذه الأخلاق فقليل من ذلك كله كاف ليرتفع بالأمة الى ذروة المجد والسؤدد .

وليس معنى هذا أن شوقيا يحقر من شأن ما سوى الأخلاق،فله عن العلم والفن والعمل والترحال وغيرها آيات بينات ، لكنما معنـاه أن الأخلاق عنده فى المحل الأول ، وهو لا يمـل من أن يكرر الدعـوة الى الخلق الصالح على أنه قوام حياة الأمم فى كل قصيدة يقولها عن مصر أو عن غير مصر ، وكثير من أبياته فى هذا المعنى قد أصبح مثلا يتداوله كل كاتب ، وكل أستاذ ، وكل تلميذ ، ويردده الجميـع على أنه الحـكمة لا يأتيها باطل من بين يديها ولا من خلفها ، أو لا ترى قوله :

وانما الأمم الأخـلاق ما بقيت   فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

قد بلغ من تواتره على الألسن أن أصبح الكثيرون لا يعرفون أن كان لشوقى أو لشعراء العصور الزاهرة فى أيام العرب الا لأنهـم يريدون أن يكون فخر هذا البيت وغيره من مثله لهم ، بنسبته لشاعر مصر والشرق فى عصـرهم .

٤ ــ الى جانب مقام العاطفة الوطنية التى هى قوة متسلطة على نفس شوقى ، تقوم عاطفة أخرى لا تقل عنها قوة ، وربما كانت أشد أخذا بهذه النفس واثارة لشاعريتها ، تلك هى العاطفة الاسلامية ، فشوقى شـاعر الاسلام والمسلمين ، كما أنه شاعر مصر وشاعر الشرق ، وعاطفة المسـلم تتجه حتى العصور الأخيرة الى جهتين ، ثم الى قومين : فهى تتجه صوب مكة مسقط رأس النبى صلى الله عليه وسلم ومقام ابراهيم كعبة المسلمين

وقبلة أنظارهم ، ومكة فى بلاد العرب ، والنبى عربى ، والقـرآن عربى . وهى تتجه — أو كانت تتجه — صوب الاستانة ، مقر الخلافة الاسلامية ، ومقام الخليفة من آل عثمان . والاستانة عاصمة الترك ، وخليفة المسلمين كان تركيا . فكل مسلم تعنيه وحدة المسلمين كان يتجه ببصره — الى حين ألغيت الخلافة — نحـو مكة ونحو الاستانة ، يستمد من الأولى المـدد الروحى ، ومن الثانية مدد السيف والمدفع .

الى جانب ما يرجوه المسلم من أهل بلاد الشرق العربى فى مكة من مددروحى ، تحرك نفسه الى هذه الأنحاء عاطفة أخرى هى العاطفةالعربية، هى عاطفة هذه اللغة التى تربط اليوم أكثر من سبعين مليـونا ، أكثرهم مسلمون ، وكلهم خاضع لما يخضع له غيرهمن بطش القوة وسلطان التحكم، واللغة فى حياة الأمم ليس شأنها هينا ، فأمة لا لغة لها لا حياة لها . ورقى اللغة فى أمة آية صادقة من آيات رقيها ، وما دام العرب مصدر اللغـة ، وعلى رجل منهم هبط الوحى ، وبينهم قام صاحب الشريعة فلهم — عند المسلمين كافة وعند الذين يتكلمون العربية خاصة — حرمـة تدفعهم الى التغنى بآثارهم ، والاشادة بقديم مجدهم ، وتمنى خير الأمانى لهم .

لذلك كان العرب ، ومـكة ، والوحى ، والقـرآن ، والاسـلام ، والرسول ، كلها معان لها من الأثر فى نفس شـوقى ما ليس لسـواها من آثار الماضى ، ولذلك لم يكن شوقى يشيد بذكر المسلمين وبخلافتهم لغاية سياسية صرفة ، بل انه ليؤمـن بهذه المعانى ايمانا يتجـلى فى الكثير من قصائده على صورة تتركنا فى حيرة . كيف يبلغ الايمان من نفس هـذا المحب للحياة كل هذا المبلغ ؟ فلا نجـد لحيرتنـا جلاء الا من الحديث : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

وبحسبك أن تقرأ الهمزية النبوية ، ونهج البردة ، وقصيدته فى ذكرى المولد التى مطلعها :

سـلوا قلبى غـداة سلا وثابا لعـل عـلى الجمـال له عتـابا

لترى فى غير ابهام أنه انما أملت هــذه القصائد قــوة غلبت طبع الشاعر ، هى قوة الايمان !

لكنك قد يدهشك مع تجلى الايمان فى هذه القصــائد وغيرها أن يكون شوقى أكثر تحدثا عن التــرك وعن الخليفة منه عن العــرب وعن الرسول ، فهذا الجزء الأول من ديوانه يشتمل على ثلاث قصائد عن العرب ومكة والرسالة ، ويشتمل على ثمانى عشرة قصيدة عن الخلافة وعن الترك ، وأنت تلمس فى هذه القصائد الثمانى عشرة جميعا حسا أدق من العاطفة ، وفيضا أغزر من الشعر ، وقوة تكاد تعتقد معها أن شوقيا اذ يتحدث عن الترك انما يملى ما يكنه فؤاده ، وانما يندفع بقوة كمينــة هى قــوة دم الجنس ، أو أن اتصاله بالبيت المالك فى مصر كان قوى الأثر فى نفسه الى حد جعله يفيض من ذكر الترك بما ينبض به قلب سلالة محمد على .

وليس عليك الا أن تقرأ أيا من قصائده التركية ، لتقتنع بما نقول .

اقرأ قصيدته العظيمة العامرة عن الحرب العثمــانية اليونانية التى مطلعهــا :

بسيفك يعلو الحق ، والحق أغلب وينصر ديــن الله أيــان تضرب

أو قصيدته فى رثاء أدرنة ، أو تحيته للترك أيام حرب اليونان ، اقرأ أيا من هذه القصائد التى قيلت قبل الحرب الكبرى ، أو اقــرأ غيرها مما قيل بعد الحرب على أثر انتصار الأتراك على اليونان ، كقصــيدته التى مطلعها :

الله أكبر ، كم فى الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العــرب

وانك لمؤمن حقا بأن هذه القصائد التركية هى أقوى قصائده عن الحوادث وأصدقها حسا وعاطفة .

ولعل مرجع ذلك أن قد اجتمعت فى الأتراك عوامل كثيرة كان لشوقى اتصال بها ، فكانت لذلك تهزه أكثر مما تهز سواه . فالترك ـــ فوق أنهم كانوا مقر الخلافة وقبلة المسلمين الزمنية وأصحاب الســيادة على مصر سيادة يشلها الاحتلال الانجليزى ـــ يجرى من دمهم فى عروق الشـــاعر

الكبير ، ومنهم أصحاب عرش مصر — يومئذ — الذين ببابهم ولد شوقى وفى حماهم شب ونشأ .

وقد بلغ من حب شوقى للترك أن كان يعتبرهم مجموعة فضائل لا تشوبها نقيصة .

٥ — على أن شوقيا — وان كان شاعر مصر ، وشاعر العرب ، وشاعر المسلمين ، وكان فيه الازدواج بين حب الحياة ومتاعها والايمان ونعيمه — له ذاتيته التى لا تخفى ، فهو شاعر الحكمة العامة ، وهو شاعر اللغة العربية السليمة ، وانك لتعجب أكثر الأحيان حين ترى عنوان قصيدة من قصائده ثم لا تجد فى القصيدة غير أبيات معدودة تدخل فى موضوع العنوان ، بينا سائرها حكمة أو غزل أو وصف أو ما شاء لشوقى هواه ، وما أحسب شاعرا بالغ فى ذلك ما بالغ شوقى ، ولست أضرب لك مثلا لذلك مما فى هذا الجزء الأول من الديوان الا بقصائد ثلاث : لجان التموين ، والانقلاب العثمانى ، وبين الحجاب والسفور . هذا وانك واجد فى غير هذه القصائد الثلاث ما يظهر لك منه ما ألقينا به اليك ، فشيطان شوقى أشد حرصا على متاعه بالشعر للشعر منه بموضوع خاص ، أما القصائد التى يملك موضوعها أبياتها جميعا فهى القصائد التى ملك موضوعها شوقيا فأنساه نفسه ، بما كان له فى هذا الموضوع من لذة ومتاع ، وما أفاضه على شاعريته من وحى والهام .

وحكمة شوقى ، وما يصدر عنه من وصف وغزل ، وما يميز شعره جميعا يبدو كأنه شرقى عربى لا يتأثر بالحياة الغربية الا بمقدار ، وهذا طبيعى ما دام شوقى شاعر العرب والمسلمين ، وما دام يجد فى الحضارة الشرقية القديمة ما يغنيه عن استعارة لبوس المدنية الغربية الا بالمقدار الذى تحتاج اليه أمم الشرق فى حياتها الحاضرة لسيرها فى سبيل المنافسة العامة . ولقد ترى شوقيا يغلو فى شرقيته وعربيته أحيانا ، ولقد تراه يتعمد ذلك فى لفظه ومعناه ، وسبب ذلك هو ما يراه من ضرورة مقاومة النزعة القائمة بنفوس كثيرة تصبو الى نسيان ما خلف السلف من تراث والأخذ بكل ما ينبع به الحاضر من وراء الغرب .

وقد يكون غلو شوقي أكثر وضوحا في جانب اللغة منـه في جانب المعاني ، فهو بمعانيه وصوره وخيالاته يحيط مما في الغرب بكل ما يسيغه الطبع الشرقي وترضاه الحضـارة الشرقية ، أما لغتـه فتعتمد على بعث القديم من الألفاظ التي نسيها الناس وصاروا لا يحبونها لأنهم لايعرفونها، ولعل سر ذلك عند شوقي أن البعث وسيلة من وسائل التجديد ، بل لقـد يكون البعث آكد وسائل التجديد نتيجة ما يوجد من أرباب اللغة ، ممن يفيضون على الألفاظ القديمة روحا تكفل حياتها ، والبعث لها الى جانب ذلك من المزايا أنه يصل ما بين مدنيةدراسة ومدنيـة وليـدة ، يجب أن تتصل بها اتصال كل خلف بسلفه .

ومن ذا ترى من أرباب اللغة قديرا قدرة شوقي عـلى أن يبعث في الألفاظ القديمة روحا تكفل حياتها في الحاضر ، وتفيض عليهـا من ثوب الشعر ما يجعلها تتسع لما تكن تتسع له من قبـل المعـاني والأخيـلة والصور ؟ ان اليونانية ما تزال موضع دراسة العلماء واللغويين لأن هومير كتب بها الياذته ، واللاتينية ما تزال حياتها كمينة وان تدثرت بحجبالماضي أن كتب بها فرجيل شعره ، واللغة العربية هي حتى اليوم لغة التفاهم بين سبعين مليونا من أهل هذا الشرق العربي ، وهي حية وستبقى أبدا حية ، ولكن كمال حياتها يحتاج الى أن يبعث الله لها أمثال شوقي ، ليزيدوا تلك الحياة قوة وروعة وجمالا .

وما أنا بحاجة الى أن أدل على هذه القوة ، وتلك الروعـة ، وذلك الجمال ؛ فكل أديب أو متأدب يعرف منها ما أعرف ، وها هي ذي مجلوة في هذا الديوان بكل ما لشوقي على اللغة والأدب والشعر من سلطان .

كبار الحوادث فى وادى النيل *

هَمَّت الفُلكُ ، واحتواها الماءُ　　وحَدَاها بمن تُقِلُّ الرجاءُ(١)

ضرب البحرُ ذو العُباب حَوَالَيْـ　　ـها سماءً قد أكبرتْها السماءُ(٢)

ورأى المارقون من شَرَك الأرْ　　ضِ شباكًا تمدّها الدأماءُ(٣)

وجبالاً موائجًا فى جبالٍ　　تتدجَّى كأنّها الظلماءُ(٤)

ودَوِيًّا كما تأهّبت الخيـ　　ـلُ وهاجت حُماتَها الهيْجَاءُ

لُجَّةٌ عند لجةٍ عند أُخرى　　كهِضَاب ماجت بها البيْداءُ

وسَفِينٌ طورًا تَلوحُ ، وحينًا　　يتوَلَّى أشباحَهنّ الخفاءُ(٥)

نازلاتٌ فى سيرها صاعداتٌ　　كالهوادى يَهُزُّهنّ الحُداءُ(٦)

ربِّ ، إن شئتَ فالفضاءُ مَضِيقٌ　　وإذا شئتَ فالمضيقُ فضاءُ

فاجعلِ البحرَ عصمةً ، وابعثِ الرحـ　　ـمةَ فيها الرياحُ والأنواءُ(٧)

أنت أُنسٌ لنا إذا بَعُدَ الأنْـ　　ـسُ ، وأنت الحياةُ والإحياءُ

يتولَّى البحارَ — مهما ادلهمّت —　　منك فى كل جانب لألاءُ

وإذا ما عَلَت فذاك قيامٌ　　وإذا ما رَغَتْ فذاك دعاءُ(٨)

فإذا راعها جلالُك خَرّتْ　　هيبةً ، فهْيَ والبساطُ سواءُ

---

* قالها فى المؤتمر الشرقى الدولى المنعقد فى مدينة جنيف فى سبتمبر سنة ١٨٩٤ وكان مندوبا للحكومة المصرية فيه

١ — حدا الابل ، وحدا بها : ساقها وغنى لها — ٢ — العباب : ارتفاع السيل او الموج — ٣ — مرق السهم من الرمية مروقا : نفذ فيها وخرج من الجانب الاخر ، فهو مارق والمقصود هنا الهارب . الدأماء : البحر — ٤ — تدجى الليل : اظلم — ٥ — السفين : جمع سفينة — ٦ — الهوادى : أول رعيل من الابل . الحداء : الغناء فى اثر الابل — ٧ — الأنواء الأمطار — ٨ — رغا : ضج فى صوته

والعريضُ الطويل منها كتابٌ ... لك فيه تحيةٌ وثناءُ
يازمانَ البحار ، لولاك لم تُفْـ ... ـجَع بنُعْمى زمانها الوَجْناءُ(١)
فقديماً عن وَخْدِها ضاق وجهُ الـ ... أرضِ ، وانقاد بالشِّراع الماءُ(٢)
وانتهت إمْرةُ البحار إلى الشر ... ق ، وقام الوجود فيما يشاءُ
وبنيْنا ، فلم نُخَلِّ لبانٍ ... وعلونا ، فلم يَجُزْنا علاءُ
وملكنا ، فالمالكون عبيد ... والبرايا بأسرهم أُسَراءُ
قل لبانٍ بنى ، فشاد ، فغالى : ... لم يجز مصر فى الزمان بناءُ
ليس فى الممكنات أن تنقل الأجبـ ... ـالُ شُمًّا ، وأن تُنالَ السماءُ(٣)
أجْفل الجنّ عن عزائم فرعو ... ن ، ودانت لبأسها الآناءُ(٤)
شاد ما لم يَشِدْ زمانٌ ، ولا أنـ ... ـشأَ عصرٌ ، ولا بنى بنّاءُ
هيكل تُنْثَر الديانات فيه ... فهى والناس والقرونُ هَباءُ
وقبورٌ تحَطُّ فيها الليالى ... ويُوارَى الإصباح والإمساءُ
تشفق الشمس والكواكبُ منها ... والجديدان ، والبِلى ، والفناءُ(٥)
زعموا أنها دعائمُ شِيدَتْ ... بيَدِ البَغْيِ ، مِلْؤها ظلماءُ
فاعذُرِ الحاسدين فيها إذا لا ... مُوا ، فصعبٌ على الحسودِ الثَّناءُ
دُمِّر الناسُ والرعيّةُ فى تشـ ... ـييدها ، والخلائقُ الأُسَراءُ
أين كان القضاءُ ، والعدل ، والحكـ ... ـمة ، والرأى ، والنُّهَى ، والذكاءُ
وبنو الشمس من أعزّة مصرٍ ... والعلومُ التى بها يُستضاءُ

---

١ — الوجناء : الناقة الشديدة — ٢ — وخدها : سيرها السريع وسعة خطوها — ٣ — الأجبال : جمع جبل . والشم : جمع أشم ، وهو المرتفع .
٤ — أجفل : نفر وفر خائفاً — ٥ — الجديدان : الليل والنهار .

فادَّعَوْا ما ادَّعى أصاغرُ آثيـ ... نا ، ودعواهمُ خَنًا وافتراءُ(١)
ورأوا للذين سادوا وشادوا ... سُبَّةً أن تُسخَّر الأعداءُ
إن يكن غيرَ ما أتوْه فَخَارٌ ... فأنا منك — يافخارُ — بَرَاءُ
ليت شعرى ، والدهرُ حربُ بنيه ... وأياديه عندهم أفياءُ(٢)
ما الذى داخلَ الليالىَ منا ... فى صبانا ، ولليالى دهاءُ ؟(٣)
فَعَلا الدهرُ فوقَ علياءِ فرعو ... نَ ، وهمَّتْ بملْكِه الأرزاءُ ؟
أعلنت أمرَها الذئابُ ، وكانوا ... فى ثياب الرُّعاة من قبل جاءوا(٤)
وأتى كلُّ شامتٍ من عِدَا المُلْـ ... ـكِ إليهم ، وانضمَّت الأجزاءُ
ومضى المالكون ، إلا بقايا ... لهُمُ فى ثرى الصعيد التجاءُ
فعلى دولةِ البُناةِ سلامٌ ... وعلى ما بنى البناةُ العَفاءُ
وإذا مصرُ شاةُ خيرٍ لراعى السـ ... ـوء ، تُؤذَى فى نسلها وتُساءُ
قد أذلَّ الرجالَ ، فَهْىَ عبيدٌ ... ونفوسَ الرجال ، فَهْىَ إماءُ
فإذا شاء فالرقابُ فداه ... ويسيرٌ إذا أراد الدماءُ
ولقومٍ نوالُه ورضاه ... ولأقوامٍ القِلَىٰ والجفاءُ(٥)
ففريق ممتَّعون بمصر ... وفريق فى أرضهم غرباءُ
إن ملكتَ النفوسَ فابْغِ رضاها ... فلها ثورةٌ ، وفيها مَضاءُ(٦)
يسكن الوحش للوثوب من الأسـ ... ـر ، فكيف الخلائقُ العقلاءُ ؟

---

١ — الخنا : الفحش فى الكلام — ٢ — الأفياء : جمع فىء ، وهو الغنيمة ، والمراد أن الدهر لا يحسن الى الناس الا راغما ، فكأنهم لا يظفرون منه بنعمة الا كغنيمة حرب — ٣ — أى تفعل فعل الدهاة — ٤ — ملوك الرعاة أو الهكسوس : فاتحون من آسية انتهزوا فرصة الضعف الذى حل بالبلاد على أثر انقضاء عهد الأسرة الثانية عشرة والتنازع الذى حدث على الملك بين طبقة الاشراف ، فغزوها فى سنة ١٦٧٥ ق.م — ٥ — القلى : البغض — ٦ — مضاء السيف : نفاذه فى فى الضريبة .

يحسب الظالمون أن سيسودو ن ، وأن لن يُؤيَّد الضعفاءُ
والليالى جوائرٌ مثلَما جا روا ، وللدهر مثلهم أهواءُ

* * *

لبثت مصرُ فى الظلام ، إلى أن قيل : مات الصباحُ والأضواءُ
لم يكن ذاك من عمًى ، كلُّ عينٍ حَجَبَ الليلُ ضوءها عمياءُ
ما تراها دعا الوفاءُ بنيها وأتاهم من القبور النداءُ
ليزيحوا عنها العدا ، فأزاحوا وأزيحت عن جفنها الأقذاءُ
وأعيد المجدُ القديم ، وقامت فى معالى آبائها الأبناءُ
وأتى الدهر تائباً بعظيمٍ من عظيمٍ ، آباؤه عظماءُ
مَنْ كرمسيسَ فى الملوك حديثًا ولرمسيسٍ الملوكُ فِداءُ(١)
بايعته القلوبُ فى صُلب سِيتى يوم أن شاقها إليه الرجاءُ
واستعدّ العُبَّادُ للمولد الأكـ ـبر ، وازّيّنت لَه الغبراءُ
جَلّ سيزوسْتريسُ عهدًا ، وجلّتْ فى صباه الآياتُ والآلاءُ
فسمعنا عن الصبىّ الذى يعـ ـفو ، وطبعُ الصِّبا الغشوم الإباءُ
ويرى الناسَ والملوكَ سواءً وهل الناسُ والملوكُ سواءُ ؟
وأرانا التاريخُ فرعونَ يمشى لم يَحُل دون بِشْرِه كبرياءُ

* * *

١ — هو رمسيس الثانى ابن سيتى الأول : احد ملوك الأسرة التاسعة عشرة المصرية ، ولى عرش مصر وهو صغير ، واستمر حكمه من سنة ١٢٩٢ — ١٢٢٥ قبل الميلاد . ويعرف برمسيس الأكبر ، لما اكتسبه من الشهرة الفائقة التى جعلت كثيرا من الناس يزعمون أنه اعظم ملوك مصر ، والذى كون له هذه الشهرة الكبيرة تلك المبانى العديدة التى شيدها فى جميع انحاء البلاد .

يولد السيدُ المتوَّجُ غَضًّا طهَّرته فى مهدها النعْماءُ(١)
لم يغيِّره يومَ ميلاده بؤ سٌ ، ولا ناله وليداً شقاءُ
فإذا ما الملقّون تولَّوْ ه تَوَلَّى طباعه الخيلاءُ(٢)
وسرى فى فؤاده زخرفُ القو ل ، تراه مستعذَباً وهو داءُ
فإذا أبيضُ الهديل غرابٌ وإذا أبْلَجُ الصباح مَساءُ(٣)

* * *

جَلَّ رمسيسُ فِطْرةً ، وتعالى شيعةً أن يقوده السفهاءُ
وسما للعُلا ، فنال مكاناً لم ينله الأمثال والنُّظَراءُ
وجيوش ينهضْنَ بالأرض ملكًا ولواءٌ من تحته الأحياءُ
ووجود يُساس ، والقول فيه ما يقول القضاة والحكماءُ
وبناءٌ إلى بناءٍ ، يودُّ الخلْ دُ لو نال عمرَه والبقاءُ
وعلومٌ تُحيِي البلادَ ، وبنتَا ءُورُ فخرُ البلاد ، والشعراءُ(٤)
إيهِ سيزوستريس ، ماذا ينال الـ وصفُ يوماً ، أو يبلغ الإطراءُ
كبُرتْ ذاتك العليَّة أن تُحـ صِى ثَنَاها الألقابُ والأسماءُ
لك آمُونُ ، والهلالُ إذا يكـ بر ، والشمسُ ، والضحى ؛ آباءُ(٥)
ولك الريفُ ، والصعيدُ ، وتاجَا مصر ، والعرشُ عالياً ، والرداءُ
ولك المنشآت فى كل بحر ولك البرُّ أرضُه والسماءُ

---

١ ــ الغض : النضير ٢ ــ الخيلاء : العجب والكبر
٣ ــ الهديل : ذكر الحمام . وبلج الصباح أشرق وأنار
٤ ــ بنتاءور : شاعر مصرى قديم .
٥ ــ آمون اله الشمس فى اعتقاد القدماء ، وقد كان القدماء يعتقدون أن الملوك نسل الآلهة التى أشير اليها فى هذا البيت بالشمس والقمر

ليت لم يُبْلِكَ الزمانُ ، ولم يَبْـ ... لَ لِمُلْك البلادِ فيك رجاءُ
هكذا الدّهرُ : حالةٌ ثم ضدٌّ ... ما لحال مع الزّمان بقاءُ

* * *

لا رَعَاك التاريخُ يا يومَ قمبيـ ... زَ ، ولا طَنْطنت بك الأنباءُ(١)
دارت الدّائراتُ فيك ، ونالت ... هذه الأُمَّةَ اليدُ العَسْراءُ
فبمصر مما جنيتَ لمصرٍ ... أيُّ داءٍ ، ما إن إليه دواءُ(٢)
نكدٌ خالدٌ ، وبؤسٌ مقيم ... وشقاءٌ يجدّ منه شقاءُ
يَوم مَنْفِيسَ ، والبلادُ لكسرى ... والملوكُ المطاعةُ الأعداءُ(٣)
يأمر السيفُ فى الرِّقاب ، وينهى ... ولمصرٍ على القَذَى إغضاءُ
جِيءَ بالمالك العزيز ذليلاً ... لم تُزَلزِلْ فؤادَه البأساءُ
يُبصِر الآنَ إذ يُراح بهم فى ... موقف الذّل عَنْوَةً ، ويُجاءُ
بنتُ فرعونَ فى السلاسل تمشى ... أزعج الدهرَ عُرْيُها والحفاءُ(٤)
فكأنْ لم ينهض بَهوْدجها الدهـ ... رُ ، ولا سار خلفها الأُمراءُ(٥)

* * *

---

١ ــ قمبيز : احد ملوك الفرس ، استولى على مصر سنة ٥٢٥ ق.م ، وسلك فى المصريين مسلك العسف والظلم ، وخرب المعابد والهياكل ، وقتل العجل أبيس اله المصريين وغير ذلك . ويوم قمبيز : هو اليوم الذى انتصرت فيه جيوشه على جيوش ابسمتيك آخر ملوك الأسرة السادسة والعشرين فى الفرما ومنف ، والذى اخذ فيه الملك أسيرا فاذيق من الذل ما سترى . وطنطن : صوت

٢ ــ ان : هنا زائدة . وما : نافية ، بمعنى ليس

٣ ــ منفيس : هى منف التى ذكرناها وكانت العاصمة حينئذ . وكسرى : اسم لكل ملك من ملوك الفرس ، والمراد به هنا قمبيز ــ ٤ ــ الحفا (مقصورة ومدت) : المشى بلا خف ولا نعل ــ ٥ ــ الهودج : محمل النساء .

وأبوها العظيم ينظر لما ... رُدِّيَتْ مثلما تُردَّى الإماءُ(١)
أُعطيت جَرَّةً ، وقيل : إليكِ النهـ ... ـرَ ، قُومي كما تقوم النساءُ
فمشت تُظهر الإباء ، وتحمي الدَّمْـ ... ـعَ أن تسترقَّه الضَّرَّاءُ(٢)
والأعادي شواخصٌ ، وأبوها ... بيَدِ الخَطب صخرةٌ صمَّاءُ(٣)
فأرادوا لينظروا دمع فرعو ... نَ ، وفرعونُ دمعُه العنقاءُ(٤)
فأروْهُ الصديقَ في ثوب فقر ... يسألُ الجمْعَ ، والسؤالُ بلاءُ
فبكى رحمةً ، وما كان مَن يبـ ... ـكي ، ولكنَّما أراد الوفاءُ
هكذا الملكُ والملوكُ ، وإن جا ... رَ زمانٌ ، وروَّعتْ بَلْواءُ

* * *

لاتسلني : مادولة الفرس؟! ساءت ... دولةُ الفرس في البلاد ، وساءُوا(٥)
أمةٌ همُّها الخرائب تُبليـ ... ـها ، وحَقُّ الخرائب الإعلاءُ(٦)
سَلَبَتْ مصرَ عِزَّها ، وكستها ... ذِلَّةً ما لها الزمانَ انقضاءُ
وارتوى سيفُها ، فعاجلها اللـ ... ـه بسيف ما إن له إرواءُ(٧)
طِلْبةٌ للعبادِ كانت لإسكنـ ... ـدر في نَيْلها اليدُ البيضاءُ(٨)
شاد إسكندرٌ لمصر بناءً ... لم تَشِدْهُ الملوكُ والأُمراءُ

١ ـ رداها : اى البسها الرداء . وتردى : اصلها تتردى ، اى تلبس الرداء
٢ ـ استرقه : ملكه . والضراء الشدة ـ ٣ ـ شواخص : جمع شاخص وهو الناظر بحيث لا تطرف عيناه ـ ٤ ـ العنقاء : طائر معروف الاسم مجهول الجسم . ويكنى به عن الشيء البعيد المنال ـ ٥ ـ يعود الضمير هنا الى الفرس انفسهم ـ ٦ ـ الخربة : موضع الخراب وجمعها خرائب . والغرض منها هنا بقايا الهياكل والاثار ـ ٧ ـ ان : زائدة . وما : نافية .
٨ ـ هو الاسكندر الاكبر المقدوني الذى افتتح مصر سنة ٣٣٢ ق.م وقضى على حكم الفرس وانشا مدينة الاسكندرية .

بلدًا يَرْحل الأنامُ إليه ويحجُّ الطُّلابُ والحكماءُ

عاش عمرًا فى البحر ثغرَ المعالى والمنارَ الذى به الاهتداءُ

مطمئنًّا من الكتائب والكتْ ب بما ينتهى إليه العَلاءُ

يبعث الضوء للبلاد ، فتسرى فى سناه الفهومُ والفهماءُ

والجوارى فى البحر يُظهرن عز الـ ملك ، والبحرُ صَوْلةٌ وثراءُ(١)

والرعايا فى نعمة ، ولبَطْلَيْـ مُوسَ فى الأرض دولةٌ علياءُ(٢)

فقضى الله أن تضيِّعَ هذا الـ ملكَ أنثى صَعْبٌ عليها الوفاءُ(٣)

تَخِذتْها رُوما إلى الشرِّ تمهيـ داً ، وتمهيدُه بأُنثى بلاءُ

فتناهَى الفسادُ فى هذه الأر ضِ ، وجازَ الأبالسَ الإغواءُ

ضيَّعتْ قيصرَ البريةِ أنثى بالرَّبى مما تجرّ النساءُ(٤)

فتنت منه كهفَ روما المُرَجَّى والحُسامَ الذى به الاتقاءُ(٥)

قاهرَ الخصم والجَحافِلِ مهما جَدَّ هولُ الوَغَى وجدَّ اللقاءُ

فأتاها من ليس تملكه أنْـ ثى ، ولا تسترقُّه هَيْفاءُ(٦)

بطلُ الدولتين ، حامى حِمى رُو ما ، الذى لا تقوده الأهواءُ(٧)

---

١ ــ الجوارى : السفن ــ ٢ ــ بطليموس : حاكم مصر بعد الاسكندر ومؤسس دولة البطالسة التى استمرت من سنة ٣٢٣ ق.م ، الى سنة ٣٠٠ ق.م اذ سقطت فى عهد كليوباترة ــ ٣ ــ كليوباترا : هى آخر ملكة حكمت مصر من دولة البطالسة ، وقد هام بها قيصران : يوليوس ، وهو الذى انتهت بموته الجمهورية الرومانية ، وكانت صنيعة له ، وانطونيوس ، وهو الذى أنشأ بالاشتراك مع اكتافيوس الامبراطورية الرومانية ، وقد كان هيام الاخير بها سببا لغزو أكتافيوس لمصر وانتصاره على كليوباترة ، التى حاولت عبثا أن تؤثر فى قلبه بجمالها ، فانتحرت بأن وضعت على صدرها حية وانتحر انطونيوس .

٤ ــ المقصود بقيصر هنا : انطونيوس .

٥ ــ الكهف : الملجأ ــ ٦ ــ اكتافيوس قيصر .

٧ ــ الدولتان : دولة الغرب ، ودولة الشرق .

أخذَ الملكَ ، وهْيَ فى قبضة الأفـ ... هى عن الملك والهوى عمياءُ(١)

سلبتها الحياةَ ، فاعجبْ لرَقْطا ... ءَ أراحت منها الورى رقطاءُ(٢)

لم تُصِب بالخِداعِ نُجْحًا ، ولكن ... خدعوها بقولهم : حسناءُ

قتلت نفسها ، وظنت فداءً ... صَغُرت نفسُها ، وقلَّ الفداءُ

سل كِلوبَترَةَ المكايِدِ : هلاَّ ... صِنْتها عن ولاءِ روما الدهاءُ ؟

فبروما تأيَّدت ، وبروما ... هى تشقى ، وهكذا الأعداءُ

ولروما المُلْكُ الذى طالما وا ... فاهُ فى السرِّ /نُصْحُها والولاءُ

وتولَّت مصرًا يمينٌ على المصـ ... رىِّ من دون ذا الورى عَسْراءُ

تُسمِعُ الأرضَ قيصرًا حين تدعو ... وعقيمٌ من أهل مصر الدعاءُ(٣)

ويُنيل الورى الحقوقَ ، فإن نا ... دته مصرُ فأُذْنُه صَمَّاءُ

فاصبرى مصرُ للبلاء ، وأنَّى ... لكِ ؟ والصبرُ للبلاء بلاءُ

ذا الذى كنتِ تَلتجينَ إليه ... ليس منه إلى سواه النجاءُ

* * *

ربُّ ، شُقت العبادَ أزمانَ لا كتـ ... بٌ بها يُهتدَى ، ولا أنبياءُ(٤)

ذهبوا فى الهوى مذاهبَ شتَّى ... جمعتها الحقيقةُ الزهراءُ(٥)

---

١ ــ هى : أى كليوبترة ــ ٢ ــ الرقطاء : الحية التى يخالط بياضها نقط سوداء ، أو العكس ــ ٣ ــ عقيم : أى لا خير وراءه ــ ٤ ــ شـاقة الحب اليه : هاجه ، والمراد بالكتب الكتب الالهيـة التى تنزلت على الأنبيـاء . ٥ ــ الحقيقة الزهراء هى وجود الله وتوحيده ، ولقد تنوعت ديانة قدماء المصريين ، فكانوا فى أول امـرهم يعتقدون بوجـود اله واحـد ، ورمزت له كل قبيلة برمز خاص ، ثم رمزوا لصفات هذا الالـه برمـوز صارت بعدئذ معبودات ، ثم عبدوا الكائنات الطبيعية التى لها تأثير محسوس فى حياتهم كالشمس والقمر والنيل ، ثم اعتقدوا بحلول الآلهة فى أجسـاد الحيوان ، فعبدوا العجل (أبيس) والقط والكلب وما الى ذلك .

فإذا لقّبوا قويًا إلٰهًا فله بالقُوَى إليك انتهاءُ
وإذا آثروا جميلاً بتنزيـ ـهٍ، فإن الجمالَ منك حِبَاءُ(١)
وإذا أنشئوا التماثيل غُرًّا فإليك الرُّموزُ والإيماءُ(٢)
وإذا قدّروا الكواكبَ أربا بًا، فمنك السَّنا، ومنك السناءُ(٣)
وإذا ألّهوا النبَاتَ؛ فمِن آ ثار نُعماك حُسْنُهُ والنَّماءُ
وإذا يمّموا الجبَال سجودًا فالمراد الجلالةُ الشماءُ(٤)
وإذا تُعْبَد البحارُ مع الأسـ ـماك، والعاصفاتُ، والأنواءُ
وسباعُ السماء والأرض، والأر حامُ، والأمهاتُ، والآباءُ
لِعُلاك المذكّراتُ عبيدٌ خُضَّعٌ، والمؤنّثاتُ إماءُ(٥)
جمع الخلْقَ والفضيلةَ سِرٌّ شَفَّ عنه الحجابُ فهو ضياءُ

* * *

سجدت مصرُ في الزمان لإيزيـ ـس الندَى، مَنْ لها اليدُ البيضاءُ(٦)
إنْ تَلِ البَرَّ؛ فالبلادُ نُضارٌ أو تَلِ البحرَ؛ فالرياحُ رُخاءُ(٧)
أو تلِ النفسَ؛ فهيَ في كل عضوٍ أو تَلِ الأُفْقَ؛ فهيَ فيه ذُكاءُ(٨)
قيل: إيزيس ربّةَ الكونِ، لولا أن توَحَّدْتِ؛ لم تكُنْ الأشياءُ
واتخذتِ الأنوارَ حُجُبًا، فلم تبـ صرْكِ أرضٌ، ولا رأتكِ سماءُ
أنتِ ما أظهر الوجودُ وما أخـ فَى، وأنت الإظهارُ والإخفاءُ

١ — التنزيه: التقديس، والحباء: العطاء — ٢ — الرمز والايماء: الاشارة ٣ — السنا: الضوء. والسناء الرفعة — ٤ — الشماء: الرفيعة. ٥ — المذكرات ما كان من هذه الآلهة مذكرا — ٦ — ايزيس: الهة من آلهة القدماء —٧— النضار: الذهب. رخاء: لينة —٨— ذكاء: من أسماء الشمس.

لك آبيسُ ، والمُحَبَّبُ أوزيـ ـريسُ ، وابناه ، كلُّهم أولياءُ(١)
مُثِّلت للعيون ذاتُكِ ، والتمـ ـثيلُ يُدنِى مَنْ لا له إدناءُ
وادَّعاكِ اليونان من بعد مصر وتلاه فى حُبِّكِ القدماءُ
فإذا قيل : ما مفاخر مصر ؟ قيل : منها إيزيسُها الغرّاءُ

* * *

رَبِّ ، هذى عقولنا فى صِباها نالها الخوف ، واستباها الرجاءُ
فعشِقناكَ قبل أن تأتِىَ الرُّسْـ ـلُ ، وقامت بحبك الأعضاءُ
ووصلْنا السُّرى ، فلولا ظلام الـ ـجهل لم يَخْطُنا إليك اهتداءُ(٢)
واتخذنا الأسماءَ شتَّى ، فلما جاء موسى انتهت لك الأسماءُ
حَجَّنا فى الزّمان سحرًا بسحرٍ واطمأنت إلى العصا السعداءُ(٣)
ويريد الإلهُ أن يُكرَمَ العقـ ـلُ ، وألا تُحقَّرَ الآراءُ
ظنّ فرعونُ أن موسى له وا فٍ ، وعند الكرام يُرجى الوفاءُ
لم يكن فى حسابه يومَ رَبَّى أن سيأتِى ضدَّ الجزاء الجزاءُ
فرأى اللهُ أن يعقَّ ، ولِلّـ ـه تَنَى — لا لغيره — الأنبياءُ
مصر موسى عند انتماءٍ ، وموسى مِصرُ إن كان نسبةٌ وانتماءُ
فبِه فخرُها المؤيَّدُ ، مهما هُزَّ بالسيد الكليم اللواءُ(٤)
إن تكن قد جفته فى ساعة الشك فحظُّ الكبير منها الجفاءُ
خِلَّةٌ للبلاد يشقى بها النا سُ ، وتشقى الديارُ والأبناءُ

---

١ — آبيس : هو العجل ابيس ، معبود القـــدماء ، كما قدمنـــا ، واوزيريس : هو اله الشمس فى اعتقاد القدماء
٢ — السرى : السير ليلا . ولـم يخطنا : لم يجاوزنا
٣ — حجه : غلبه بالحجة
٤ — هز الكوكب : انقض . والمراد : مهما تخلل

فكبيرٌ ألّا يُصانَ كبيرٌ   وعظيمٌ أن يُنْبَذ العظماءُ

* * *

وُلد الرِّفقُ يوم مولدِ عيسى   والمروءاتُ ، والهدى ، والحياءُ

وازدهى الكونُ بالوليد ، وضاءت   بسناه من الثرى الأرجاءُ

وسرت آيةُ المسيح ، كما يسـ   ـرى من الفجر فى الوجود الضياءُ

تملأُ الأرضَ والعوالمَ نورًا   فالثرى مائج بَهًا ، وضَّاءُ

لا وعيدٌ ، لا صولة ، لا انتقام   لا حسام ، لا غزوة ، لا دماءُ

مَلَكٌ جاور الترابَ ، فلما   ملّ نابت عن التراب السماءُ(١)

وأطاعته فى الإله شيوخٌ   خُشَّعٌ ، خُضَّعٌ له ، ضعفاءُ

أذعن الناس والملوك إلى ما   رسموا ، والعقول ، والعقلاءُ

فلهم وقفة على كلّ أرض   وعلى كلّ شاطئٍ إرساءُ

دخلوا ثيبةً ، فأحسن لقيا   هم رجالٌ بثيبةٍ حكماءُ(٢)

فهموا السرَّ حين ذاقوا ، وسهلٌ   أن ينالَ الحقائقَ الفُهماءُ(٣)

فإذا الهيكلُ المقدَّس دَيْرٌ   وإذا الدير رَوْنَقٌ وبهاءُ

وإذا ثيبةٌ لعيسى ، ومنفيـ   ـسُ ، ونيلُ الثراء ، والبطحاءُ(٤)

إنما الأرضُ والفضاءُ لربّى   وملوكُ الحقيقة الأنبياءُ

لهم الحبُّ خالصاً من رعايا   هم ، وكُلُّ الهوى لهم والوَلاءُ

إنما ينكر الدياناتِ قومٌ   هم بما ينكرونه أشقياءُ

---

١ — يشير الى رفعه الى السماء — ٢ — ثيبة : عاصمة من عواصم مصر القديمة — ٣ — السر : أى سر عبادة الله على دين المسيح — ٤— البطحاء . مسيل الماء فيه دقاق الحصى

هرِمَت دولةُ القياصر ، والدّو لاتُ كالناس ، داؤهُنّ الفَناءُ(١)
ليس تغنى عنها البلادُ ولاما لُ الأقاليم إن أتاها النداءُ(٢)
نال روما ما نال من قبلُ آثيـ نا ، وسِيمَتْهُ ثيبةُ العَصماءُ(٣)
سُنّةُ الله فى الممالك من قبـ لُ ومن بعد ، ما لِنُعمى بقاءُ

* * *

أظلم الشرقُ بعد قيصرَ والغر بُ ، وعمّ البريّةَ الإدجاءُ(٤)
فالورى فى ضلاله مُتَمادٍ يفتك الجهلُ فيه والجهلاءُ
عرّف اللهَ ضِلَّةً ، فهو شخص أو شِهاب ، أو صخرة صمّاءُ(٥)
وتولّى على النفوس هوى الأو ثان ، حتى انتهت له الأهواءُ
فرأى اللهُ أن تُطَهَّر بالسيـ ف ، وأن تَغسِلَ الخطايا الدماءُ
وكذاك النفوسُ وهى مِراضٌ بعضُ أعضائها لبعضٍ فِداءُ
لم يعادِ اللهُ العبيدَ ، ولكن شَقِيَت بالغباوةِ الأغبياءُ
وإذا جلّت الذنوبُ وهالتـ فمن العدل أن يَهُول الجزاءُ
أشرق النورُ فى العوالم لمّا بشّرتها بأحمدَ الأنباءُ
باليتيم الأُمّىّ ، والبشَر المو حَى إليه العلومُ والأسماءُ
قوّةُ الله إن تولّتْ ضعيفًا تعبتْ فى مِراسه الأقوياءُ(٦)

---

١ — دولة القياصر : الدولة الرومانية . والهـــــرم بلوغ اقصى الكبر .
٢ — النداء : نداء الفناء — ٣ — سامه الامر : كلفه اياه ، واكثر ما يستعمل فى الشر والعذاب — ٤ — الادجاء : الظلام — ضلة : ضلالا ، والشهـــاب : شعلة من نار ساطعة ، وقد يطلق عـلى الكوكب — ٦ — المراس — هنــا — بمعنى المأخذ والمعالجة .

أشرفُ المرسلين ، آيتُه النطـ ـقُ مُبيناً ، وقومُه الفصحاءُ
لم يَفُهْ بالنوابغ الغُرّ حتى سبق الخلقَ نحوَه البلغاءُ
وأتتْه العقول مُنقادةَ اللُّـــبِّ ، ولبّى الأعوانُ والنصراءُ(١)
جاءَ للناس ، والسرائرُ فوضى لم يؤلِّف شتاتَهُنَّ لواءُ(٢)
وحِمى الله مستباحٌ ، وشرعُ اللـ ـه ، والحقُّ ، والصوابُ وراءُ
فلِجبريلَ جَيْئَةٌ ، ورَواحٌ وهبوطٌ إلى الثرى ، وارتقاءُ
يُحْسَب الأُفْقُ في جَناحيه نورٌ سُلِبتْه النجومُ والجوزاءُ
تلك آيُ الفُرْقانِ ، أرسلها اللـ ـهُ ضياءً يَهدي به من يشاءُ(٣)
نَسَخَتْ سنةَ النبيين والرسـ ـلِ ، كما ينسخ الضياءَ الضياءُ
وحماها غُرٌّ ، كرامٌ ، أشدّا ءُ على الخصم ، بينهم رُحَمَاءُ
أُمةٌ ينتهي البيان إليها وتئول العلومُ والعلماءُ(٤)
جازت النجمَ ، واطمأنّتْ بأُفْقٍ مطمئنٌّ به السَّنا والسناءُ
كلّما حثّت الركابَ لأرضٍ جاور الرشدُ أهلَها والذكاءُ(٥)
وعلا الحقُّ بينهم ، وسما الفضـ ـلُ ، ونالت حقوقَها الضعفاءُ
تحملُ النجمَ ، والوسيلةَ ، والميـ ـزانَ من دينها إلى من تشاءُ
وتُنيلُ الوجودَ منه نظاماً هو طِبُّ الوجودِ ، وهو الدواءُ
يرجع الناسُ والعصورُ إلى ما سَنَّ ، والجاحدون ، والأعداءُ
فيه ما تشتهي العزائم إن هَـــمَّ ذووها ويشتهي الأذكياءُ
فلِمن حاول النعيمَ نعيمٌ ولمن آثر الشقاءَ شقاءُ

---

١ ــ اللب : ذكاء من العقل ــ٢ــ الشتات : المتفرق ــ٣ــ الآي : جمع آية ــ٤ــ تؤول : ترجع ــ٥ــ حث الركاب : أي حض الابل على أن تسرع ، والمراد كلما انتقلت لأرض .

أيرى العُجْمُ مِنْ بنى الظلِّ والما ... ء عجيبًا أن تُنجِب البيداءُ(١)

وتُثيرُ الخيامُ آسادَ هيجا ... ء تراها آسادَها الهيجاءُ

ما أنافتْ على السواعد حتّى ال ... أرضُ طُرًّا فى أسْرِها والفضاءُ

تشهد الصينُ، والبحارُ، وبغدا ... دُ، ومصرٌ، والغربُ، والحمراءُ(٢)

من كعَمْرِو البلادِ، والضادُ ممّا ... شاد فيها، والمِلّةُ الغرّاءُ؟

شاد للمسلمين ركنًا جسَاماً ... ضافِيَ الظلِّ، دَأْبُه الإيواءُ(٣)

طالما قامت الخلافةُ فيه ... فاطمأنّتْ، وقامت الخلفاءُ

وانتهى الدِّينُ بالرجاء إليه، ... وبنو الدِّينِ إذ همُ ضعفاءُ

مَنْ يَصُنْهُ يَصُنْ بقيّةَ عِزٍّ ... غَيّض التُّركُ صفوَه والثّواءُ(٤)

فابلُ عمرًا إن كنتَ مُنصِفَ عمرٍو ... إن عمرًا لنيرٌ وضاءُ

جاد للمسلمين بالنيل، والنيـ ... ـل لمن يقتنيه أفريقاءُ

فهى تعلو شأنًا إذا حُرِّرَ النيـ ... ـلُ، وفى رِقّه لها إزراءُ(٥)

* * *

واذكر الغُرَّ آلَ أيوبَ، وامدحْ ... فمن المدح للرجال جزاءُ(٦)

هم حماةُ الإسلام، والنفرُ البيـ ... ـضُ، الملوكُ، الأعزّةُ، الصُّلَحاءُ(٧)

كلَّ يومٍ بالصالحيّة حصنٌ ... وببُلْبَيْسَ قلعةٌ شمّاءُ

وبمصرٍ للعلم دارٌ، ولِلضيفـــان نارٌ عظيمةٌ حمراءُ

---

١ — انجب الرجل: ولد ولدا نجيبا — ٢ — الحمراء: قصر مشهور بالأندلس — ٣ — الجسام: العظيم — ٤ — الثواء: الاقامة — ٥ — أزرى عليه عمله: عابه — ٦ — يشير الى الدولة الأيوبية التى أسسها صلاح الدين الأيوبى، وحكمت مصر من سنة ١١٧١ الى سنة ١٢٥٠ م — ٧ — الابيض: السيف، أو النجم، والجمع بيض.

ولأعداء آل أيوب قتلٌ ... ولِأَسْراهُمُ قِرًى وثَواءُ(١)
يعرف الدينُ مَنْ صلاحٌ ؟ ويدرى ... من هو المسجدان والإسراءُ ؟(٢)
إنه حصنُه الذى كان حصنًا ... وحماه الذى به الاحتماءُ
يوم سار الصليبُ والحاملوه ... ومشى الغربُ : قومُه ، والنساءُ
بنفوس تجول فيها الأمانى ... وقلوبٍ تثور فيها الدماءُ
يضمرون الدمارَ للحقِّ ، والنا ... سِ ، ودينِ الذين بالحق جاءُوا
ويهدُّون بالتلاوة والصلـ ... ـبان ما شاد بالقنا البنّاءُ
فتلقَّتهمُ عزائمُ صدقٍ ... نُصَّ للدين بينهنَّ خِباءُ(٣)
مَزَّقتْ جمعَهم على كل أرضٍ ... مثلَما مزَّق الظلامَ الضياءُ
وسَبَتْ أمْردَ الملوك ، فردَّتـ ... ـه وما فيه للرعايا رجاءُ(٤)
ولو أنَّ المليكَ هِيبَ أذاه ... لم يُخَلِّصه من أذاها الفداءُ
هكذا المسلمون ، والعربُ الخا ... لون ، لا ما يقوله الأعداءُ
فبهم فى الزمان نِلنا الليالى ... وبهم فى الورى لنا أنباءُ
ليس للذل حيلةٌ فى نفوس ... يستوى الموت عندها والبقاءُ

• • •

واذكر الترك ، إنهم لم يُطاعوا ... فيرى الناسُ أحسنوا أم أساءُوا
حكمت دولةُ الجراكس عنهم ... وهى فى الدّهر دولةٌ عَسْراءُ(٥)

---

١ — القرى : الضيافة والثواء : الاقامة — ٢ — صلاح : صـــلاح الدين الأيوبى — ٣ — نص الشىء : رفعه . والخباء : ما يعمل من وبر أو صوف أو شعر ، ويكون عمودين أو ثلاثة — ٤ — سبى العدو : أسره، وأمرد الملوك لويس التاسع ملك فرنسا وكان من أبطال الصليبيين . أسره بوران شاه فى موقعة المنصورة الفاصلة ثم فدى نفسه وبقية أهله وعساكره بمبلغ ١٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك — ٥ — الجراكس : المماليك ، وعسراء : أى شديدة ظالمة .

واستبدّت بالأمر منهم ، فـ «باشا» التُّرْكِ فى مصرَ آلةٌ صمّاءُ
يأخذ المالَ من مواعيدَ ما كا ... نوا لها مُنْجِزين ، فهْىَ هَباءُ
ويسومونه الرضا بأُمور ... ليس يَرضى أقلَّهن الرضاءُ(١)
فيُدَارى ليعصِمِ الغدَ منهم ... والمداراةُ حكمةٌ ودهاءُ

* * *

وأتى النَّسرُ ينهب الأرض نهبًا ... حوله قومُه ، النسورُ ظِماءُ(٢)
يشتهى النيلَ أن يشيد عليه ... دولةً عرضُها الثرى والسماءُ
حَلمت رومةٌ بها فى الليالى ... ورآها القياصرُ الأقوياءُ
فأتت مصرَ رُسْلُهم تتوالى ... وترامت سودانَها العلماءُ(٣)
ولو اسْتَشْهَدَ الفرنسيسُ روما ... لأتَتْهم من رومةَ الأنباءُ
علمت كل دولة قد تولت ... أننا سمُّها ، وأنّا الوباءُ
قاهرُ العصرِ والممالِك ، نابل ... يونُ ولَّتْ قوّادُه الكبراءُ
جاء طيشًا ، وراح طيشاً ، ومن قبـ ... لُ أطاشت أناسَها العلياءُ
سكتتْ عنه يومَ عيَّرها الأهـ ... رامُ ، لكنْ سكوتُها استهزاءُ
فهْى تُوحى إليه : أنْ تلك (واتر ... لو) ، فأين الجيوشُ؟ أين اللواءُ؟(٤)

---

١ — سامه الامر : كلفه اياه . وأكثر ما يكون فى الشر ٢ — النسر : نابليون بونابرت — ٣ — ترامى القوم : رمى بعضهم بعضا — ٤ — واترلو (فى ١٨ يونيو سنة ١٨١٥) موقعة دارت رحاها بين نابليون وولنجتون القائد الانكليزى الشهير فانتصر الأخير بمساعدة بلوخر القائد الروسى وكان من نتائج هزيمة نابليون فى هذه الموقعة أسره ونفيه الى جزيرة (سنت هيلانة) حيث قضى البقية من حياته .

الهمزية النبوية

وُلد الهدى ، فالكائناتُ ضياءُ وفَمُ الزّمان تبسّمٌ وثناءُ

الرُّوحُ والملأُ الملائكُ حَوْلَهُ للدِّين والدنيا به بُشَراءُ(١)

والعرشُ يزهو ، والحظيرةُ تَزْدَهِى والمنتهى ، والسِّدْرَةُ العصماءُ(٢)

وحديقةُ الفرقان ضاحكةُ الربا بالترجمانِ ، شَذِيَّةٌ ، غنّاءُ(٣)

والوحْىُ يقطرُ سَلْسَلاً من سلسلٍ واللوحُ والقلمُ البديعُ رُواءُ(٤)

نُظِمَتْ أسامِى الرُّسْلِ فهى صحيفة فى اللوح ، واسمُ محمدٍ طُغراءُ(٥)

اسمُ الجلالة فى بديع حروفهِ أَلِفٌ هنالك ، واسمُ (طَه) الباءُ

* * *

ياخير من جاء الوجودَ ، تحية من مُرسَلين إلى الهدى بك جاءُوا

بيت النبيِّين الذى لا يلتقى إلا الحنائف فيه والحنفاءُ(٦)

خيرُ الأُبوةِ حازَهم لَكَ (آدمٌ) دونَ الأَنام ، وأحرزتْ حَوّاءُ

هم أدركوا عِزَّ النبوةِ وانتهت فيها إليكَ العِزَّةُ القعساءُ(٧)

خُلِقَتْ لبيتك ، وهو مخلوقٌ لها إن العظائمَ كفؤها العظماءُ

بك بَشّر اللّهُ السماءَ فزُيِّنَت وتضوّعت مسكًا بك الغبراءُ(٨)

---

١ ــ الروح الأمين : لقب جبريل . والملأ : الأشراف . والملائك : الملائكة . وبشراء : جمع بشير ــ ٢ ــ يزهو : يشرق . وسدرة المنتهى : يقال انهــا شجرة نبق على يمين العرش ــ ٣ ــ الربا : جمع ربوة . وهى ما ارتفــع من الأرض ــ ٤ ــ الرواء ماء الوجــه وحســن المنظر ــ ٥ ــ الطغراء : مايسميه العامة « طرة » واصلها طغرى بالقصر ، وهى التى تكتب بالقــلم الغــليظ فى صدر الأوامــر ــ ٦ ــ الحنيف : الصحيح الميل الى الاسلام وكل من كان على دين ابراهيم عليه الســلام ، والجمع حنفاء ، والمؤنث حنيفة ، وجمعها حنائف ــ ٧ ــ القعساء : المنيعة الثابتة ــ ٨ ــ تضوع المســك : انتشرت رائحته . والغبراء الارض .

وبدا مُحَيَّاك الذى قَسماتُه ... حق ، وغُرّتُه هُدًى وحَياءُ(١)

وعليه من نورِ النُّبُوَّةِ رَوْنقٌ ... ومن الخليل وهَدْيِه سِيماءُ(٢)

أثنى (المَسيحُ) عليه خلف سمائه ... وتهلّلت واهتزَّتِ (العذراءُ)(٣)

يومٌ يتيهُ على الزمان صَبَاحُه ... ومَساؤه (بمحمدٍ) وَضّاءُ

الحقُّ عالى الركنِ فيه ، مُظَفَّرٌ ... فى المُلكِ ، لا يعلو عليه لواءُ

ذُعِرت عروشُ الظالمين ، فزُلزِلت ... وعَلَتْ على تيجانِهم أصْداءُ

والنارُ خاويةُ الجوانب حولَهُمْ ... خَمَدَت ذوائِبُهَا ، وغاض الماءُ(٤)

والآىُ تَتْرَى ، والخَوارقُ جَمَّةٌ ... (جبريلُ) رَوَّاح بها غَدَّاءُ(٥)

نِعمَ اليتيمُ بَدَت مَخايلُ فضلِه ... واليُتمُ رزقٌ بعضُه وذَكاءُ(٦)

فى المهد يُسْتَسْقَى الحيَا برجائه ... وبقصدِه تُستَدْفَعُ البَأساءُ(٧)

بسوى الأمانة فى الصِّبا والصدقِ لم ... يعرفْه أهلُ الصدقِ والأمناءُ

يامَنْ له الأخلاقُ ماتهوَى العلا ... منها وما يَتعشَّقُ الكبراءُ

لو لم تُقِم ديناً ، لقامت وحدَها ... دينًا تُضِيءُ بنوره الآناءُ

زانتك فى الخلقِ العظيمِ شمائلٌ ... يُغرَى بهنّ ويُولَعُ الكرماءُ

أما الجمالُ ، فأنت شمسُ سمائه ... وملاحةُ (الصِّدِّيقِ) منك أياءُ(٨)

والحسنُ من كرمِ الوجوهِ ، وخيرُه ... ما أُوتىَ القُوّادُ والزعماءُ

فإذا سَخَوتَ بلغتَ بالجود المدى ... وفعلتَ ما لا تفعلُ الأنواءُ(٩)

---

١ — القسمة ما بين الوجنتين والأنف، وجمعها قسمات — ٢ — الخليل : ابراهيم عليه السلام — ٣ — العذراء السيدة مريم — ٤ — خمدت النار : سكن لهيبها . والذوائب جمع ذؤابة ، وهى أعلى كل شىء والمراد بالذوائب هنا السنة اللهيب — ٥ — تترى تتوالى . ورواح غداء اى يروح ويغدو . ٦ — المخيلة : المظنة — ٧ — استسقى الرجل طلب السقى . والحيا : المطر ٨ — أياء الشمس واياتها : نورها وحسنها — ٩ — النوء المطر

وإذا عَفوْت فقادرًا ، ومقدّرًا ... لا يستهين بعفوك الجُهلاءُ

وإذا رحِمت فأنت أمٌّ ، أو أبٌ ... هذان فى الدنيا هما الرُّحَمَاءُ

وإذا غَضِبْتَ فإنما هى غَضْبَةٌ ... فى الحق ، لا ضِغْنٌ ولا بغضاءُ(١)

وإذا رضيتَ فذاك فى مرضاته ... ورِضَى الكثير تحلُّمٌ ورياءُ(٢)

وإذا خطبتَ فللمنابر هِزَّةٌ ... تَعرو النَّدِىَّ ، وللقلوب بكاءُ(٣)

وإذا قضيتَ فلا ارتيابَ ، كأنما ... جاء الخصومَ من السماء قضاءُ

وإذا حمَيْتَ الماء لم يُورَدْ ، ولو ... أنّ القياصِرَ والملوكَ ظِماءُ

وإذا أجَرتَ فأنت بيتُ اللهِ ، لم ... يدخل عليه المستجيرَ عداءُ

وإذا ملكتَ النفسَ قُمْتَ بِبِرِّها ... ولو أن ما ملكت يداك الشاءُ

وإذا بنيتَ فخيرُ زَوْجٍ عِشرةً ... وإذا ابتنيْتَ فدونَك الآباءُ(٤)

وإذا صَحِبتَ رأى الوفاء مُجَسَّما ... فى بُرْدِك الأصحابُ والخلطاءُ

وإذا أخذتَ العهدَ ، أو أعْطَيْتَه ... فجميعُ عَهدِك ذِمَّةٌ ووفاءُ

وإذا مَشَيْتَ إلى العدا فغَضَنْفَرٌ ... وإذا جريْتَ فإنكَ النكباءُ(٥)

وتَمُدُّ حِلمَكَ للسفيهِ مُداريًا ... حتى يضيق بِعرضكَ السفهاءُ

فى كل نفسٍ من سُطاكَ مَهابةٌ ... ولكل نفسٍ فى نداكَ رجاءُ(٦)

والرأىُ لم يُنضَ المُهنَّدُ دونه ... كالسيف لم تضرب به الآراءُ(٧)

* * *

يأيها الأمِّى ، حَسْبُكَ رتبةً ... فى العلم أن دانَتْ بك العلماءُ(٨)

---

١ ــ الضغن : الحقد ــ ٢ ــ التحلم ، تكلف الحلم ــ ٣ ــ الندى : النادى ٤ ــ بنى باهله : زف اليهم . وابتنى : صار له بنون ــ ٥ ــ غضنفر : اسد والنكباء : ريح بين ريحين ــ ٦ ــ سطا : جمع سطوة ــ ٧ ــ نضا السيف من غمده : سله . والمهند : السيف المطبوع من حديد ــ ٨ ــ دان به : اتخذه دينا

الذِّكرُ آيةُ ربِّكَ الكبرى التى … فيها لباغى المعجزاتِ غَناءُ(١)
صَدْرُ البيانِ له إذا التقت اللُّغى … وتقدّم البلغاءُ والفصحاءُ(٢)
نُسِخَتْ به التوراةُ وهى وضيئةٌ … وتخلَّف الإنجيلُ وهو ذُكاءُ(٣)
لما تمشَّى فى (الحجاز) حكيمُه … فُضَّت (عُكاظُ) به ، وقام حِراءُ(٤)
أزرى بمنطِقِ أهلِهِ وبيانِهم … وحىٌ يُقَصِّرُ دونه البلغاءُ(٥)
حسدوا ، فقالوا : شاعرٌ ، أوساحرٌ … ومن الحسود يكون الاستهزاءُ
قدنال (بالهادى)الكريمِ و(بالهدى) … ما لم تنل من سُؤدد سيناءُ
أمسى كأنك من جلالك أمّةٌ … وكأنّه من أنسِه بَيداءُ
يُوحَى إليك الفوزُ فى ظلماته … متتابعًا ، تُجْلى به الظلماءُ
دينٌ يُشيَّد آيةً فى آية … لَبِنَاتُه السُّوراتُ والأَضواءُ
الحقُّ فيه هو الأساسُ ، وكيف لا … واللهُ جلَّ جلاله البنَّاءُ ؟
أما حديثُكَ فى العقول فَمَشْرَعٌ … والعلم والحِكَمُ الغوالى الماءُ(٦)
هو صِبغةُ الفرقان ، نفحةُ قُدْسِه … والسين منْ سوراته والراءُ(٧)
جَرَتِ الفصاحةُ من ينابيع النُّهَى … من دَوْحه ، وتفجَّر الإنشاءُ(٨)
فى بحرِهِ للسابحين به على … أدبِ الحياةِ وعلمِها إرساءُ
أتت الدُّهُور على سُلافته ، ولم … تَفْنَ السُّلافُ ، ولا سلا النُّدَماءُ(٩)

* * *

١ — الباغى : الطالب والغناء : ما يغنى — ٢ — اللغى : جمع لغة
٣ — ذكاء : من أسماء الشمس — ٤ — حراء : الغار الذى كان يتعبد فيه النبى صلى الله عليه وسلم ونزل عليه فيه الوحى — ٥ — أزرى به : عابه .
٦ — مشرع : مورد — ٧ — الصبغة :النوع — ٨ — الدوح : الشجر العظيم المتسع — ٩ — السلاف والسلافة : أفضل الخمر .

أنصفتَ أهلَ الفقرِ من أهلِ الغنى ... فالكلُّ فى حقِّ الحياة سواءُ
فلو انَّ إنسانًا تخيَّرَ مِلَّةً ... ما اختار إلا دينَكَ الفقراءُ

* * *

يا أيها المُسرَى به شرفاً إلى ... ما لا تنالُ الشمسُ والجوزاءُ(١)
يتساءلون ـ وأنتَ أطهرُ هيكلٍ ـ ... : بالروح أم بالهيكل الإسراءُ؟(٢)
بهما سَموْتَ مُطَهَّرَيْن ، كلاهما ... نورٌ ، وريحانيَّةٌ ، وبهاءُ
فضلٌ عليكَ لذى الجلالِ ومِنَّةٌ ... واللهُ يفعل ما يرى ويشاءُ
تغشى الغُيوبَ من العوالم ، كلَّما ... طُوِيَتْ سماءٌ قُلِّدَتْكَ سماءُ(٣)
فى كل مِنطقةٍ حواشِى نورها ... نونٌ ، وأنت النقطةُ الزهراءُ
أنت الجمالُ بها ، وأنت المجتلى ... والكفُّ ، والمرآةُ ، والحسناءُ
اللهُ هَيَّأَ من حظيرةِ قُدسه ... نزلاً لذاتك لم يَجُزْهُ علاءُ
العرشُ تحتكَ سُدَّةٌ وقوائماً ... ومناكبُ الروحِ الأمينِ وِطاءُ
والرُّسْلُ دون العرش لم يُؤْذَنْ لهمْ ... حاشا لغيركَ موعدٌ ولقاءُ

* * *

الخيلُ تأبَى غيرَ (أحمدَ) حامياً ... وبها إذا ذُكِر اسْمُه خُيَلاءُ
شيخُ الفوارسِ يعلمون مكانَه ... إنْ هُيِّجت آسادَها الهَيْجَاءُ
وإذا تَصدَّى للظُّبى فمُهنَّدٌ ... أو للرِّماح فَصَعْدَةٌ سمراءُ(٤)
وإذا رمَى عن قوسِه فيمينُهُ ... قَدَرٌ ، وما ترمى اليمينُ قضاءُ

---

١ ـ الاسراء : السير ليلا ـ ٢ ـ الهيكل الجسم والصورة والشخص .
٣ ـ غشى المكان يغشاه : أتاه ـ ٤ ـ الظبى : جمع ظبة ، وهى حد السيف ، والصعدة : القناة المستوية .

من كل داعي الحق هِمّةُ سيفِه فلِسيفه في الراميات مَضاءُ(١)
ساقي الجريح ومُطعِمُ الأسرى . ومَنْ أمِنَتْ سَنابكَ خيلِهِ الأشلاءُ
إنَّ الشجاعةَ في الرجال غلاظة ما لم تزنها رأفةٌ وسخاءُ
والحرب من شرف الشعوب ، فإن بَغَوْا فالمجدُ مما يدَّعون بَراءُ
والحربُ يبعثُها القويُّ تجبرًا وينوءُ تحتَ بلائِها الضُّعفاءُ
كم من غَزاةٍ للرسول كريمةٍ فيها رِضًى للحقِّ أو إعلاءُ
كانت لجند الله فيها شِدَّةٌ في إثرِها للعالمين رَخاءُ
ضربوا الضلالةَ ضربةً ذهبت بها فعلى الجهالةِ والضلالِ عَفاءُ
دَعَموا على الحرب السلامَ ، وطالما حَقَنَتْ دِماءٌ في الزمان دِماءُ

* * *

الحقُّ عِرضُ الله ، كلُّ أبيَّةٍ بين النفوس حِمًى له وَوِقاءُ
هل كان حولَ محمدٍ من قومه إلا صَبِيٌّ واحدٌ ونساءُ ؟
فدعا ، فلبّى في القبائل عُصبةٌ مُستضعَفون ، قلائلٌ أنضاءُ(٢)
رَدُّوا ببأسِ العزم عنه من الأذى ما لا تردُّ الصخرةُ الصماءُ
والحقُّ والإيمانُ إن صُبّا على بردٍ ففيه كتيبةٌ خرساءُ(٣)
نسفوا بناءَ الشِّرْكِ ، فهو خرائبٌ واستأصلوا الأصنامَ ، فهي هَباءُ(٤)
يمشون تُغضِي الأرضُ منهم هيبةً وبهم حِيالَ نعيمِها إغضاءُ
حتى إذا فُتِحَتْ لهم أطرافُها لم يُطغِهم تَرَفٌ ولا نَعْماءُ

* * *

---

١ — مضى السيف مضاء : قطع — ٢ — النضو : المهزول من الإبل وغيرها
٣ — الكتيبة الخرساء : التي لا يسمع فيها صوت — ٤ — الهباء : الغبار

يا مَنْ لهُ عِزُّ الشفاعةِ وَحْدَهُ — وهُو المُنَزَّهُ ، ما له شُفعاءُ
عرشُ القيامَةِ أنتَ تحت لوائه — والحوْضُ أنتَ حِيالَهُ السَّقاءُ
تروى وتسقى الصالحين ثوابَهم — والصالحاتُ ذخائرٌ وجزاءُ
ألمثلِ هذا ذُقتَ فى الدنيا الطَّوَى — وانشقَّ مِن خَلَقٍ عليكَ رِداءُ ؟
لى فى مديحك يارسُولُ عرائسٌ — تُيِّمْنَ فيك ، وشاقَهنَّ جَلاءُ(١)
هُنَّ الحسانُ ، فإن قبلتَ تكرُّمًا — فمُهورُهُنَّ شَفَاعَةٌ حَسناءُ
أنت الذى نَظَمَ البريَّةَ دينُهُ — ماذا يَقول وَيَنظم الشُّعراءُ ؟
المُصلِحون أصابعٌ جُمِعت يَدًا — هى أنت ، بَلْ أنت اليَدُ البيضاءُ
ماجئتُ بابكَ مادحاً ، بل داعيًا — ومن المديح تضرُّعٌ ودُعاءُ
أدعُوك عن قومى الضِّعافِ لأزمةٍ — فى مثلها يُلْقَى عليك رَجاءُ
أدرى رسُولُ اللهِ أنّ نفوسَهم — رَكِبَتْ هَواها ، والقلوب هواءُ ؟
مُتفكّكون ، فما تضمُّ نفوسَهم — ثِقَةٌ ، ولا جَمع القلوبَ صفاءُ
رقدُوا ، وغرَّهُم نعيمٌ باطلٌ — ونعيمُ قومٍ فى القيُود بلاءُ

* * *

ظلمُوا شريعتَكَ التى نلنا بها — ما لم ينل فى رومةَ الفقهاءُ
مشتِ الحضارةُ فى سَناها ، واهتدى — فى الدِّين والدُّنيا بها السعداءُ
صلى عليكَ اللهُ ماصحِبَ الدُّجى — حادٍ ، وحَنَّت بالفلا وَجْناءُ(٢)
واستقبل الرِّضْوانَ فى غُرفاتِهم — بجِنان عَدْنٍ آلُكَ السُّمحاءُ
خيرُ الوسائل ، مَنْ يقع منهُم على — سَبب إليك فحسبِىَ (الزّهراءُ)

---

١ ــ شاقه الحب : هاجه ــ ٢ ــ الوجناء : الناقة الشديدة .

صدى الحرب *

بسيفك يعلو الحقُّ ، والحقُّ أغلَب ... ويُنصَرُ دينُ اللهِ أيانَ تَضرِبُ

وما السيفُ إلا آيةُ المُلكِ في الورى ... ولا الأمرُ إلا للذي يتغلَّب

فأدِّبْ به القومَ الطُّغاةَ ؛ فإنه ... لنِعْمَ المربي للطُّغاةِ المؤدِّب

وداوِ به الدُّولاتِ من كلِّ دائها ... فنعم الحسامُ الطبُّ والمتطبِّب(١)

تنامُ خُطوبُ المُلك إن بات ساهرًا ... وإن هو نام استيقظت تتألَّب

أمِنَّا الليالي أن نُراع بحادثٍ ... و(أرمينيا) ثكلى ،و(حوران)أشيَبُ(٢)

ومملكةُ (اليونانِ) محلولةُ العُرى ... رجاؤكَ يعطيها ، وخوفُكَ يسلب

هدَدْتَ أميرَ المؤمنين كيانَها ... بأسْطَعَ مثلِ الصبح لا يتكذَّب(٣)

ومازال فجرًا سيفُ (عثمانَ) صادقاً ... يُسايرِه من عالي ذكائكَ كوكب(٤)

إذا ما صَدَعْتَ الحادثاتِ بحدِّه

تكشَّفَ داجي الخطبِ ، وانجاب غَيْهب(٥)

وهاب العدا فيه خلافتَكَ التي ... لهم مأْربٌ فيها ولله مأْرب

أبوّة أمير المؤمنين

سما بكَ يا (عبدَ الحميدِ) أُبُوَّةٌ ... ثلاثون ، خُضَّارُ الجلالة غُيَّب(٦)

---

* — في وصف الوقائع العثمانية اليونانية

١ — المتطبب : المتعاطي علم الطب — ٢ — ثكلى مصابة ببنيها الذين نالهم صارم التاديب وتاديب الصارم . واشيب : علاه الشيب ، لكثرة ما ادب وانب — ٣ — الخطاب للسلطان عبد الحميد . وكيانها: وجودها . وباسطع: بسيف شديد السطوع — ٤ — معناه . لكل فجر كوكب يسايره ويصحبه : وفجر هذا السيف رايك الوضاء ، وما منحت من نادر الذكاء — ٥ — الداجي : المظلم . وانجاب : انكشف . والغيهب : الظلام — ٦ — ابوة : آباء . وحضار وغيب : جمع حاضر وغائب .

قياصرُ أحياناً ، خلائفُ تارةً　　خواقينُ طورًا ، والفَخَار المقلَّب(١)
نجومُ سعودِ الملك ، أقمارُ زُهْرِهِ　　لو آن النجومَ الزُّهْرَ يجمعُها أب
تواصَوْا به عصرًا فعصرًا ، فَزَادَه　　مُعَمَّمُهم من هَيبةٍ والمُعصَّب(٢)
همُ الشمسُ ، لم تبرح سماواتِ عزِّها　　وفينا ضُحاها والشعاعُ المحبَّب

الجلوس الأسعد

نهضتَ بعرشٍ ينهض الدهرُ دونه　　خشوعاً ، وتخشاه الليالى وترهَب
مَكِينٍ على متن الوجود ، مُؤيَّدٍ　　بشمسٍ استواءٍ مالها الدهرَ مغرب(٣)
ترقَّت له الأسواءُ ، حتى ارتقيتَه　　فقمتَ بها فى بعضٍ ما تتنكَّب(٤)
فكنتَ كعينٍ ، ذاتِ جَرْيٍ ، كمينةٍ　　تفيض على مرِّ الزمانِ وتعْذُب
موكَّلةٍ بالأرض ، تنسابُ فى الثرى　　فيحيا ، وتجرى فى البلاد فتُخْصِب
فأحييتَ ميْتًا ، دارسَ الرسم ، غابرًا　　كأنك فيما جئتَ عيسى المقرَّب(٥)
وشِدْتَ منارًا للخلافةِ فى الورى　　تشرُقُ فيهم شمسُه ، وتُغرُب
سهرتَ ، ونام المسلمون بغبطةٍ　　وما يزعجُ النوامَ والساهرُ الأب ؟
فنبَّهَنا الفتحُ الذى ما بفجرهِ　　ولا بك ـ يافجرَ السلام ـ مُكذِّب

حلم عظيم وبطش أعظم

حُسامُك من سقراطَ فى الخطبِ أخْطَبُ　　وعودُك من عُود المنابر أصْلَبُ(٦)

---

١ ــ معنــــاه : انفردوا بأمــــر المسلمين فهم الخلفاء ، واستوى عرشهم على الغرب والشرق فهم قياصر عظماء ، وهم الخواقين (ملوك التــرك) . ٢ ــ معممهم : ذو العمامة منهم ، وكذا المعصب ، هو أيضا المتوج ، والعمامة والعصابة والتاج مما لبس سلاطين آل عثمان ـ ٣ ــ مكين : عظيم مرتفــع . والمتن : الظهر ــ ٤ ــ الاسواء : جمع سوء ، وهو كل ما يسوء . وتتنــكب : تحمل ــ ٥ ــ الرسم : ما كان لاصقا بالارض من آثار الدار . ودرس : أى بلى وعفا ــ ٦ ــ سقراط : خطيب اليونان وحكيمها المشهور .

وعزمُكَ من (هوميرَ) أمضى بديهةً ... وأجلى بياناً فى القلوب ، وأعذب(١)
وإن يذكروا (إسكندرًا) وفتوحَه ... فعهدُكَ بالفتح المحجَّل أقرب(٢)
ومُلكُكَ أرقى بالدليل حكومةً ... وأنفذُ سهماً فى الأمور ، وأصوَب
ظهرتَ أميرَ المؤمنين على العدا ... ظهورًا يسوءُ الحاسدين ويُتعِب
سلِ العصرَ ، والأيامَ ، والناسَ : هل نَبا ... لرأيكَ فيهم ، أو لسيفكَ مَضْرِب(٣)
همُ مَلَئُوا الدنيا جَهاماً ، وراءه ... جهامٌ من الأعوان أهذَى وأكذب(٤)
فلما استللتَ السيفَ أخْلَبَ برقُهم ... وما كنتَ ـ يابرقَ المنيَّةِ ـ تُخْلِب(٥)
أخذتَهُمُ ، لا مالكين لحَوْضِهم ... من الذَّوْدِ إلا ما أطالوا وأسهبوا
ولم يتكلَّف قومُكَ الأُسْدُ أُهبةً ... ولكنَّ خُلقًا فى السباع التأهُّب
كذا الناسُ : بالأخلاق يبقى صلاحُهم ... ويذهبُ عنهم أمرُهم حين تذهب
ومن شرف الأوطان ألا يفوتَها ... حسامٌ مُعِزٌّ ، أو يَراعٌ مهذَّب

معجزات الجنود على الحدود

ملكتَ سَبِيلَيْهِمْ : ففى الشرق مَضْرِبٌ ... لجيشك ممدودٌ ، وفى الغرب مَضْرِب(٦)
ثمانون ألفاً أُسدُ غابٍ ، ضَراغمٌ ... لها مِخْلبٌ فيهم ، وللموت مخلب
إذا حَلمتْ فالشرُّ وَسْنانُ حالمٌ ... وإن غضِبتْ فالشرُّ يقظانُ مُغضِب
فَيالِقُ أفشى فى البلاد من الضُّحى ... وأبعدُ من شمس النهار وأقرب(٧)
وتُصبِح تلقاهم ، وتُمسى تصدُّهم ... وتظهر فى جِدِّ القتال وتلعب

---

١ ـ هومير اكبر شعراء اليونان الاقدمين ـ ٢ ـ المحجل : المضيء المشرق ٣ ـ نبا السيف عن الضريبة : كل ، وارتد ـ ٤ ـ الجهام السحاب العظيم الذى لا ماء فيه . وهذى فى الكلام : اكثر منه فى خطا ـ ٥ ـ أخلب برقهم : مطل وعيدهم وتخلب ، اى تخدع ـ ٦ ـ مضرب : فسطاط عظيم ـ ٧ ـ الفيلق الجيش العظيم ، والجمع فيالق .

تلوح لهم فى كلِّ أفقٍ ، وتعتلى   وتطلع فيهم من مكانٍ ، وتغرب
وتُقدِم إقدامَ الليوثِ ، وتنثنى   وتُدبِرُ علماً بالوغَى ، وتُعَقِّب(١)
وتملكُ أطرافَ الشعاب ، وتلتقى   وتأْخذُ عفوًا كلَّ عالٍ ، وتغصِب(٢)
وتغشى أبِيّاتِ المعاقل والذُّرا   فثيِّبُهُنَّ البِكْرُ ، والبِكْرُ ثَيِّب(٣)
يقودُ سراياها ، ويحمى لواءها   سديدُالمرائى فى الحروب ، مُجرِّب(٤)
يجىءُ بها حيناً ، ويرجعُ مرةً   كما تَدفعُ اللّجَّ البحارُ وتَجْذِب(٥)
ويرمى بها كالبحر من كلِّ جانبٍ   فكلُّ خميسٍ لجةٌ تتضرب(٦)
ويُنفذُها من كلِّ شعب ، فتلتقى   كما يتلاقى العارضُ المتشعِّب(٧)
ويجعلُ ميقاتا لها تَنبرى له   كما دار يَلْقَى عقربَ السَّيْرِ عقرب(٨)
فظلت عيونُ الحرب حَيْرَى لما ترى   نواظرَ ما تأْتى الليوثُ وتُغرِب(٩)
تبالغ بالرامى ، وتزهو بما رمى   وتعجَبُ بالقُوّاد ، والجندُ أعجب(١٠)
وتُثنى على مُزجِى الجيوشِ (بيلدزٍ)   ومُلْهِمِها فيما تنال وتكسِب(١١)
وما الملك إلا الجيش شأْنا ومظهرًا   ولا الجيشُ إلا رَبُّهُ حين يُنسب

زينب بنى عثمان

تُحذِّرنى من قومِها التُّركِ زَيْنَبُ   وتُعجِمُ فى وصف الليوثِ وتُعرِبُ
وتُكثِرُ ذكرَ الباسلين ، وتنثنى   بِعزٍّ على عزِّ الجمال ، وتُعجب

---

١ ــ أدبر : ولى . وتعقب : اى تعو ــ ٢ ــ الشعاب : جمع شعب ، وهو الطريق فى الجبل ــ ٣ ــ الأبيات : جمع ابية وهى التى لا ترضى الدنية كبرا . والمعقل : الملجأ . والذرا : الأمكنة المرتفعة . والثيب : نقيض البكر . ٤ ــ السرايا جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش . والمرائى : جمع مرأى ، وهو المنظر ــ ٥ ــ اللج : معظم الماء ــ ٦ ــ الخميس : الجيش ــ ٧ ــ ينفذها : يسيرها . والشعب : الطريق فى الجبل . والعارض المتشعب : السحاب المتفرق ــ ٨ ــ انبرى له : اعترض ــ ٩ ــ اغرب الرجل : اتى بشىء غريب ١٠ ــ زها : تاه وتكبر ــ ١١ ــ أزجى الجيش : ساقه .

وتسحبُ ذيلَ الكبرياء ، وهكذا ... يَتيهُ ويختالُ القويُّ المغلَّب
وزينبُ إن تاهت ، وإن هي فاخرت ... فما قومُها إلا العَشِيرُ المحبَّب(١)
يؤلِّف إيلامُ الحوادثِ بيننا ... ويجمعُنا في الله دينٌ ومذهب
نما الوُدُّ حتى مَهَّد السبْلَ للهوى ... فما في سبيل الوصل ما يُتصَعَّب
ودانى الهوى ما شاء بيني وبينها ... فلم يبق إلا الأرضُ ، والأرضُ تقرب(٢)

الحالة في بحر الروم

ركبتُ إليها البحرَ ، وهو مَصِيدةٌ ... تُمَدُّ بها سفْنُ الحديد ، وتُنْصَب(٣)
تروح المنايا الزُّرْقُ فيه ، وتغتدى ... وما هي إلا الموجُ يأتى ، ويذهب
وتبدو عليه الفلكُ شتَّى ، كأنها ... بُزُوزٌ تراعيها على البعد أعقُب(٤)
حواملُ أعلامِ القياصرِ ، خُضرٌ ... عليها سلاطينُ البريَّةِ ، غُيَّب
تُجَارِى خُطاها الحادثاتِ . وتقتفى ... وتطفو حواليها الخطوبُ ، وترسُب(٥)
ويوشِك يجرى الماءُ من تحتها دماً ... إذا جَنَحَتْ أثقالُها تترقَّب
فقلت : أأشراطُ القيامة ما أرى ... أم الحربُ أدنى من وَريدٍ وأقرب ؟(٦)
أماناً أماناً لُجَّةَ الرُّومِ للورى ... لو أن أماناً عند دأماء يُطلَب(٧)
كأني بأحداثِ الزمانِ مُلِمَّةٌ ... وقد فاض منها حوضُكِ المتضرِّب
فأزْعِجَ مَغْبُوطٌ . ورُوِّع آمنٌ ... وغالَ سلامَ العالمين التعصُّب
فقالت : أطلتَ الهمَّ ، للخلق ملجأٌ ... أبرُّ بهم من كلِّ بَرٍّ وأحدب(٨)

---

١ — العشير: القبيلة — ٢ — داني : قارب — ٣ — مصيدة ومصيدة بمعنى واحد وهى ما يصاد به — ٤ — بزوز : جمع باز واعقب جمع عقاب ، وكلاهما من جوارح الطير — ٥ — اقتفى أثره : تبعه — ٦ — الأشراط : جمع شرط ، وهو العلامة — ٧ — لجة الروم : بحر الروم ؛ والدأماء البحر — ٨ — أحدب: من الحدب ، وهو التعطف .

سَلامُ البرايا فى كَلاءةِ فَرْقَدٍ (بيلدزَ) لا يغفو ، ولا يتغيَّب(١)
وإن أميرَ المؤمنين لوابلٌ من الغوثِ ،مُنْهَلٌ على الخلقِ ، صَيِّب(٢)
رأى الفتنةَ الكبرى ، فوالى انهمالَه فبادت ، وكانت جمرةً تتلهَّب(٣)

منعة السواحل العثمانية

فما زلتُ بالأهوالِ حتى اقتحمتُها وقد تُركِبُ الحاجاتُ ما ليس يُرْكَب(٤)
أخوضُ الليالى من عُبابٍ ، ومن دُجًى إلى أُفقٍ فيه الخليفةُ كوكب(٥)
إلى مُلكِ عثمانَ الذى دونَ حوضه بناءُ العوالى المشمخِرُّ المُطَنَّب(٦)
فلاح يناغى النجمَ صَرْحٌ مثقَّبٌ على الماء ، قد حاذاه صَرْحٌ مُثقب
بروجٌ أعارتها المَنونُ عيونَها لها فى الجوارى نظرةٌ لا تُخَيِّب
رواسى ابتداعٍ فى رواسى طبيعةٍ تكادُ ذراها فى السحاب تغيِّب
فقمتُ أُجِيلُ الطرْفَ حيرانَ قائلا : أهذى ثغورُ الترك أم أنا أحسب ؟
فمثلَ بِناء الترك لم يَبْنِ مشرقٌ ومثلَ بناء الترك لم يَبْنِ مغرب
تَظَلُّ مَهولاتُ البوارجِ دونَهُ حوائرَ : ما يدرين ماذا تخرِّب ؟
إذا طاش بين الماء والصخر سهمُها أتاها حديدٌ ما يطيشُ ، وأسرب(٧)
يُسدِّده عزريلُ فى زِىِّ قاذفٍ وأيدى المنايا ، والقضاءُ المُدرِّب
قذائفُ تخشى مُهجَةُ الشمسِ كلَّما عَلَتْ مُصْعِداتٍ ، أنها لا تُصَوِّب(٨)

---

١ — كلاءة : اى حفظ — ٢ — الغوث : الإسعاف . والوابل : المطر الشديد والصيب : السحاب — ٣ — الانهمال : دوام الانسكاب — ٤ — اقتحم الهول : رمى نفسه فيه بشدة — ٥ — الدجى : الظلمة — ٦ — العوالى : الرماح . والمشمخر : العالى . والمطنب : المشدود بالاطناب — ٧ — الأسرب : الرصاص ٨ — معناه : اذا ارتفعت هذه القنابل خشيت الشمس ان تخطىء هدفها وان تستمر صاعدة فتصيب مهجتها .

إذا صُبَّ حاميها على السفن انثنت ... وغانمُها الناجي ، فكيف المخيِّب؟
سلِ الرومَ : هل فيهنّ لِلفلك حيلةٌ ... وهل عاصِمٌ منهنّ إلا التنكُّب؟(١)
تذبذبَ أسطولاهُمُ فدعتْهما ... إلى الرُّشدِ نارٌ ثَمّ لا تتذبذب
فلا الشرق فى أسطوله مُتّقى الحِمى ... ولا الغربُ فى أسطوله مُتهيِّب

زينب المتطوعة فى موقعة

وما راعَنى إلاّ لِواءٌ مُخَضَّبٌ ... هنالك يَحميه بَنانٌ مُخَضَّب(٢)
فقلتُ : من الحامِى؟ أليثٌ غضنفرٌ ... من الترك ضارٍ ، أم غزالٌ مُربَّب؟(٣)
أم الملكُ الغازى المجاهدُ قدْ بَدا ... أم النجمُ فى الآرام ، أم أنتِ زينب؟
رفعْتِ بنات الترك ، قالت : وهل بنا ... بناتِ الضوارى أن تَصول تَعَجُّب؟
إذا ما الديار استصرخت بدرتْ لها ... كرائمُ منا بالقَنا تتنقَّب
تقرّبُ ربّاتُ البعُولِ بعولَها ... فإن لم يكُنْ بعْلٌ فنفسًا تُقَرِّب(٤)
ولاحتْ بآفاقِ العدُوِّ سَرِيَّةٌ ... فوارسُ تبدُو تارةً ، وتَحجّب
نواهضُ فى حَزْنٍ كما تنهضُ القَطا ... رواكِضُ فى سَهلٍ كما انساب ثعْلب(٥)
قليلون من بُعدٍ ، كثيرون إن دنوْا ... لهم سَكَنٌ آناً ، وآناً تَهيُّب
فقالت : شهدتَ الحربَ أو أنتَ مُوشِك ... فَصِفْنا ، فأنتَ الباسلُ المتأدِّب
ونادت ، فلبَّى الخيلُ من كل جانبٍ ... ولبّى عليها القَسْوَرُ المترقِّب(٦)
خِفافاً إلى الداعى ، سِراعاً ، كأنّما ... من الحرب داعٍ للصلاة مُثوِّب

---

١ — الضمير فى « فيهن » ومنهن راجع للقنابل . والتنكب : العدول والتجنب — ٢ — اللواء المخضب : هو الراية العثمانية الحمراء . ويحميه بنان مخضب : أى أنثى مخضوبة البنان — ٣ — ربب الصبى : زباه حتى ادرك ٤ — البعل : الزوج — ٥ — الحزن : ما غلظ من الأرض — ٦ — القسور : الاسد والمراد به فارس الترك

مُنيفين من حول اللواء ، كأنهم ... له معقِلٌ فوق المعاقل أغلب

وما هى إلا دعوةٌ وإجابةٌ ... أن التحمت ، والحربُ بكْرٌ وتغلِب(١)

فأبصرتُ مالم تُبصرا من مَشاهدٍ ... ولا شهدَت يوماً مَعَدٌّ ويَعْرُب

مضيق ملونا

جبالَ (ملونا) ، لاتخورى وتجزعى ... إذا مال رأسٌ ، أوتضعضع منكب

فما كنتِ إلا السيفَ والنارَ مركبًا ... وما كان يستعصى على الترك مركب

عَلَوْا فوق علياء العدوِّ ، ودونه ... مَضِيقٌ كحلق الليث ، أو هو أصعب

فكان صراط الحشر ، ما ثَمَّ ريبةٌ ... وكانوا فريقَ الله ، ما ثَمَّ مُذنِب

يَمُرُّونَ مَرَّ البرقِ تحت دُجُنَّةٍ ... دُخاناً ، به أشباحُهم تتجلبب(٢)

حثيثين من فوق الجبال وتحتها ... كما انْهارَ طَوْدٌ ، أو كما انْهال مِذْنَب(٣)

تُمِدُّهُمُ قُذَّافُهم ورُماتُهم ... بنارٍ كنيران البراكين تدأب

تُذَرِّى بها شُمَّ الذُّرا حين تعتلى ... ويسفحُ منها السفحُ إذ تتصبب(٤)

تُسمَّر فى رأسِ القِلاع كُراتُها ... ويسكن أعجازَ الحصونِ المُذَنَّب(٥)

فلما دجى داجى العَوانِ وأطبقت ... تبلَّج والنصرَ الهلالُ المحجَّب(٦)

ورُدَّت على أعقابها الرومُ ، بعد ما ... تناثر منها الجيش ، أو كاد يذهب

جناحين فى شِبه الشبَاكَيْن من قنا ... وقَلْبًا على حَرِّ الوغى يَتقلَّب

---

١ — بكر وتغلب : قبيلتان لم تقف بينهما العداوة عند حد ، فتشبيه المقاتلين بهما جيد — ٢ — اى تحت ظلمة من الدخان تختفى بها اشباحهم ٣ — المذنب : مسيل الماء الى الارض ، والمعنى : كما انقض جبل ، او انحط سيل — ٤ — تذرى من التذرية : وهى الاطارة والاثارة ، والذرا : جمع ذروة وهى اعلى الشىء . والشم : جمع شماء ، من الشمم ، وهـو الارتفاع . ويسفح : ينصب . والسفح : عرض الجبل المضطجع — ٥ — المذنب : ذو الذنب من القنابل الكبيرة — ٦ العوان : الحرب الشديدة

على قُلَلِ الأجبالِ حَيْرَى جموعُهم ... شواخصُ، ما إنْ تهتدى أين تذهب؟(١)
إذا صعدت ، فالسيفُ أبيضُ خاطِفٌ ... وإن نزلتْ ، فالنارُ حمراءُ تَلهب
تطوّعَ أسرًا منهمُ ذلك الذى ... تَطَوّعَ حرباً ، والزمانُ تَقلُّب
وتمَّ لنا النصر المبين على العِدا ... وفتحُ المعالى ، والنهارُ المذهَّب
فجئتُ فتاةَ التركِ أجزى دِفاعَها ... عن المُلكِ والأوطانِ ما الحقُّ يُوجِب
فقبَّلتُ كفًّا كان بالسيف ضارباً ... وقبَّلتُ سيفًا كان بالكفِّ يضرب
وقلتُ : أفى الدنيا لقومِكِ غالِبٌ ... وفى مثل هذا الحِجْر رُبُّوا وهذِّبوا؟
رويْدًا بنى عثمان فى طلب العلا ... وهيهاتَ ، لم يستبقَ شىءٌ فيُطلب
أفى كلِّ آنٍ تغرِسون ، ونجتنى ... وفى كلِ يومٍ تفتحون ، ونكتُب؟
وما زلتُمُ يسقيكمُ النصرُ خمرَهُ ... وتسقونه ، والكلُّ نشوان مصأَب(٢)
إلى أن أحلَّ السُّكرَ مَن لا يُحلُّه ... ومدَّ بساطَ الشُّربِ من ليس يشرَب

الحاج عبد الأزل باشا

وأشمَطَ سَوّاسِ الفوارسِ أشيبُ ... يسيرُ به فى الشِّعب أشمَطُ أشيبُ(٣)
رَفيقا ذهابٍ فى الحروب وجَيئةٍ ... قد اصطحبا ، والحُرُّ للحُرِّ يصحَب
إذا شهداها جددا هِزَّة الصِّبا ... كما يتصابَى ذو ثمانينَ يطرب
فيهتزُّ هذا كالحسام ، وينثنى ... وينفر هذا كالغزال ، ويلعب
توالى رصاصُ المطلِقين عليهما ... يُخضِّل من شيبهما ويُخضِّب
فقيل : أنِلْ أقدامَكَ الأرضَ ، إنها ... أبرُّ جوادًا إن فعلتَ وأنجب

---

١ — القلة : اعلى الراس — ٢ — المصاب : من شرب حتى ارتوى .
٣ — الاشمط : الذى يخالط بياض راسه سواد ، والمراد بالاول : الفارس وبالثانى : فرسه .

فقال : أيرضى واهبُ النصر أننا ... نموت كموتِ الغانياتِ ونعطَب ؟

ذروني وشأني والوَغَى ، لا مباليًا ... إلى الموت أمشي ، أم إلى الموت أركب ؟

أيحملني عُمْرًا ، ويحمي شبيبتي ... وأخذُلُه في وهْنِه وأُخيِّب ؟(١)

إذا نحن متنا فادفنونا ببقعة ... يظلُّ بذكرانا ثراها يُطيَّب

ولا تعجبوا أن تبسلَ الخيلُ ، إنها ... لها ـ مثلُ ما للناسِ ـ في الموت مَشرب(٢)

فماتا أمامَ اللهِ موتَ بسالةٍ ... كأنهما فيه مِثالٌ منصَّب(٣)

وما شهداءُ الحربِ إلا عمادُها ... وإن شَيَّدَ الأحياءُ فيها وطنَّبوا(٤)

مِدادُ سِجلِّ النصرِ فيها دِماؤهم ... وبالتِّبر من غالي ثَراهُم يُترَّب(٥)

فهل من (ملونا) موقفٌ ومَسامِعٌ ... ومن جبليها منبرٌ لي فأخطب ؟

فأسأل حِصْنَيْها العجيبين في الورى ... ومدخلَها الأعصى الذي هو أعجب ؟

وأستشهد الأطوادَ شماءَ ، والذرا ... بَواذِخَ ، تلْوِي بالنجوم وتجذب ؟(٦)

هل البأس إلا بأسُهم وثباتُهم ؟ ... أو العزمُ إلا عزمُهم والتلبُّب ؟(٧)

أو الدينُ إلا ما رأت من جهادهم ؟ ... أو المُلكُ إلا ما أعزُّوا وهَيَّبوا ؟(٨)

وأيُّ فضاءٍ في الوَغى لم يُضَيِّقوا ؟ ... وأيُّ مَضيقٍ في الورى لم يُرحِّبوا ؟

وهل قبلهم مَنْ عانقَ النارَ راغبًا ... ولو أنه عَبّادُها المترهِّب ؟

---

١ ـ الوهن : الضعف ، والمعنى : ليس من الوفاء ، ولا من حسن الجزاء أن يكون نصيبه مني في شيبه الترك والخذلان ، وقد كان نصيبي منه الصبر على الاهوال ، والمعاونة على القتال ـ ٢ ـ تبسل : تشجع . ٣ ـ منصب : مرفوع ـ ٤ ـ طنب البيت : شده بالاطناب ، وهي الحبال ٥ ـ السجل : كتاب العهد ، أو الحكم ، وترب الكتابة : وضع عليها التراب لتجف ـ ٦ ـ الشماء المرتفعة . والبواذخ : من بذخ الجبل : طال . والوى بثوبه او يده : أشار بها ـ ٧ ـ التلبب : من تلبب الرجل للحرب : تحزم وتشمر لها ـ ٨ ـ هيبه : صيره مهيبا .

وهل نال مانالوا من الفخر حاضرٌ ؟ وهل حُبِيَ الخالون منه الذى حُبوا ؟(١)
سلاماً (ملونا) ، واحتفاظاً ، وعصمةً لمن بات فى عالى الرضى يتقلب
وضِنِّى بعظمٍ فى ثراك مُعظَّمٍ يُقرِّبه الرَّحمنُ فيما يُقرِّب

هزيمة طرناو

و (طرناوُ) إذ طارَ الذهولُ بجيشها وبالشّعب فوضى فى المذاهب يذهب
عَشِيَّةَ ضاقت أرضُها وسماؤها وضاق فضاءٌ بين ذاك مُرَحّب
تَخَلّتْ من بنى الجيش الحصونُ ، وأقفرت مساكنُ أهليها ، وعمَّ التخرُّب(٢)
ونادى منادٍ للهزيمة فى المَلا وإنّ مُنادى التُّركِ يدنو ويقرب
فأعرضَ عن قُوّاده الجندُ شارداً وعلّمه قُوّادُه كيف يهرب
وطار الأهالى ، نافرين إلى الفَلا مئينَ ، وآلافاً تَهِيمُ وتسرُب(٣)
نَجَوْا بالنفوس الذاهلاتِ ، وما نَجَوْا بغير يَدٍ صِفْر ، وأخرى تقلب
وطالت يَدٌ للجمع فى الجمع بالخنا وبالسلبِ ، لم يَمْدُدْ بها فيه أجنَب(٤)
يسير على أشلاءِ والِده الفتى ويَنْسَى هناك المُرْضَعَ الأمُّ والأب(٥)
وتمضى السرايا والطئاتِ بخيلها أراملَ تبكى ، أو ثواكلَ تندب
فمِنْ راجلٍ تَهوى السُّنون برجلهِ ومِنْ فارسٍ تمشى النساءُ ، ويَركب(٦)
وماضٍ بمال قد مضى عنه وَأْلُهُ ومُزْجٍ أثاثاً بين عينيه يُنهَب(٧)

---

١ — حباه الشيء : أعطاه اياه — ٢ — بنى : جمع بنية ، بكسر الباء ، وهى البنيان والمراد بها هنا : القلاع والثكنات — ٣ — تسرب : من سرب الرجل فى الأرض ، اذا ذهب على وجهه فيها ومضى — ٤ — معناه تعدى بعضهم على بعض بالفحش والسب . والأجنب الأجنبى ، والمراد : الترك — ٥ — اشلاء : جمع شلو ، وهى أعضاء الانسان بعد البلى والتفرق — ٦ — الراجل : الماشى على رجليه . وتهدى السنون برجله : اى تزل به القدم من ثقل وطأة الهرم ٧ — الوال : الملجا . مزج — من أزجاه بمعنى ساقه ودفعه برفق . الأثاث : متاع البيت

يكادون من ذُعرٍ تفرُّ ديارهم ... وتنجو الرواسي لوحَوَاهُنَّ مَشعب(١)

يكاد الثرى من تحتِهم يَلِجُ الثرى ... ويَقضِم بعضُ الأرضِ بعضًا ويقضِب(٢)

تكادُ خُطاهم تسبق البرقَ سرعةً ... وتذهب بالأبصار أيّان تذهب

تكاد على أبصارهم تقطع المدى ... وتنفذ مرماها البعيدَ وتحجُب(٣)

تكاد تمسُّ الأرضَ مَسًّا نِعالُهم ... ولو وجدوا سُبْلاً إلى الجو نكَّبوا(٤)

هزيمة من لا هازمٌ يستحِثُّه ... ولا طاردٌ يدعو لذاك ويوجب

قعدنا ، فلم يعدمْ فتى الروم فَيْلَقًا ... من الرعب يغزوه ، وآخرَ يسلُب

ظفِرنا به وجهًا ، فظن تعقُّباً ... وماذا يزيد الظافرين التعقُّب ؟

فولَّى ، وما ولَّى نظامُ جنودِهِ ... ويا شؤْمَ جيشٍ للفرار يرتِّب

يسوق ويَحْدو للنجاةِ كتائبًا ... له موكب منها ، وللعار موكب

منظمة من حوله ، بَيْدَ أنها ... تودُّ لو انشقَّ الثرى فتُغيِّب

مؤزرة بالرُّعب ، مللوغة به ... ففي كل ثوبٍ عقرب منه تَلْسِب(٥)

ترى الخيل من كلِّ الجهاتِ تَخَيُّلاً ... فيأخذ منها وهْمُها والتهيُّب

فمِن خلفِها طورًا ، وحيناً أمامها ... وآونةً من كلِّ أوْبٍ تَألَّب(٦)

فوارسُ في طولِ الجبالِ وعرضِها ... إذا غاب منهم مِقْنَبٌ لاح مِقْنَب(٧)

فمهما تهِمْ يسنحْ لها ذو مُهنَّدٍ ... ويخرجْ لها من باطن الأرض مِحْرَب(٨)

---

١ — الذعر : الخوف الشديد ، والرواسى : الجبال : والمشعب : الطريق . ٢ — يلج : يدخل . ويقضم : ويقضب : يقطع — ٣ — مدى البصر : منتهـاه وغايته . وتنفذ مرماها : تبلغه وتتجاوزه — ٤ — نكبوا : مالوا — ٥ — أرزه : غطاه وقواه . وتلسب : اى تلدغ — ٦ — تالب — من التالب : وهو التجمع والأرب : الناحية — ٧ — اى يجسمها لهم الويل فيرونها كذلك . والمقنب : الجماعة من الخيل تجتمع للغارة — ٨ — المحرب : الشجاع الشديد فى الحرب

وتَنْزِلُ عليها من سماء خيالِها صواعقُ فيهنّ الردى المُتَصبِّب
رُؤًى إن تكن حقًّا يكنْ من ورائِها ملائكةُ الله الذى ليس يُغلب(١)

التلاقى سهل فرسالا

و (فرسالُ) إذ باتوا وبتنا أعادِياً على السهل لُدًّا ، يرقبون ، ونرقب(٢)
وقام فتانا الليلَ يَحْمِى لواءه وقامَ فتاهم ليلَه يتلعَّب
توسّدَ هذا قائِمَ السيفِ يَتّقى وهذا على أحلامِهِ يتحسَّب(٣)
وهل يستوى القِرنان : هذا مُنَعَّمٌ غَرِيرٌ ، وهذا ذو تجاريبَ قُلَّب ؟(٤)
حمينا كِلانا أرض (فِرسالَ) والسما فكلُّ سبيل بين ذلك مَعْطَبُ(٥)
ورُحنا يَهُبُّ الشر فينا وفيهمُ وتَشْمُل أرواحُ القتال وتجنُب(٦)
كأنا أسودٌ رابضاتٌ ، كأنهم قطيعٌ بأقصى السهل ،حيران،مُذْئِب(٧)
كأن خيام الجيش فى السهل أينُق نواشِزُ ، فوضى ، فى دجى الليل شُزَّب(٨)
كأن السرايا ساكناتٍ مواثِجًا قطائعُ ،تعطِى الأمنَ طورًا ،وتُسْلَب(٩)
كأن القَنا دون الخيام نوازلا جداولُ ، يُجريها الظلامُ ، ويسكب(١٠)
كأن الدُّجى بحر إلى النجم صاعد كأن السرايا موجهُ المتضرِّب
كأن المنايا فى ضمير ظلامِه همومٌ بها قاض الضمير المحجَّب

١ ــ الرؤى : جمع رؤيا ، وهى المنام ــ ٢ ــ اللد : جمع الألد ، وهـــو الشديد الخصومة ــ ٣ ــ يتحسب : يتوسد ــ ٤ ــ القرن : النظير المقاوم والغرير : العديم الخبرة . والقلب : المحتال البصـــير بتقلب الأمـــور ٥ ــ معطب : مهلك ــ ٦ ــ تشمل ــ من شملت الريح : هبت شـــمالا . وجنبت : هبت جنوبا ــ ٧ القطيع : الطائفة من الغنم . وأذأب القطيـــع فزع من الذئب ، فهو مذئب ــ ٨ ــ الأينق : جمع ناقة . ونواشز : مرتفعة . وشزب : متفرقة ــ ٩ ــ القطائع : جمع قطيعة ، وهى هنا ما قطـــع من الجيش ــ ١٠ ــ القنا : جمع قنـــاة ، وهى الرمح

كأنّ صهيل الخيل ناعٍ مبشرٌ ... تراهنّ فيها ضُحّكًا وهي نُحّب(١)
كأنّ وجوه الخيل غُرًّا وسيمةً ... دَرارِيُّ ليل طُلَّعٌ فيه ثُقّب(٢)
كأنّ أنوف الخيل حَرّى من الوغى ... مجامرُ فى الظلماء تهدا وتلهب(٣)
كأنّ صدور الخيل غُدْرٌ على الدُّجى ... كأنّ بقايا النضح فيهن طُحْلُب(٤)
كأنّ سَنى الأبواق فى الليل برقُه ... كأنّ صداها الرعدُ للبرق يصحب
كأنّ نداء الجيش من كل جانبٍ ... دويُّ رياح فى الدجى تتذأب(٥)
كأنّ عيون الجيش من كل مذهب ... من السهل جنٌّ جُوَّلٌ فيه جُوَّب(٦)
كأنّ الوغى نارٌ ، كأنّ جنودنا ... مجوسٌ إذا ما يَمّموا النار قرّبوا(٧)
كأنّ الوغى نار ، كأنّ الردّى قِرًى ... كأنّ وراء النار حاتِمَ يأدِب(٨)
كأنّ الوغى نار ، كأنّ بنِى الوغى ... فَراشٌ ، له فى ملمس النار مأرَب
وثبْنا يضيق السهل عن وثباتنا ... وتقدُمُنا نارٌ إلى الروم أوْثَب
مشت فى سراياهم ، فحلّت نظامَها ... فلما مشيْنا أدبرتْ ، لا تُعقِّب

غصب دومرقو

رأى السهلُ منهم ما رأى الوعرُ قبله ... فياقوم ، حتى السهلُ فى الحرب يصعُب ؟
وحصن تسامى من (دمرقو) ، كأنّه ... مُعَشِّش نسرٍ ، أو بهذا يلقب
أشمُّ على طَوْدٍ أشمَّ ، كلاهما ... مَنون المُفاجى ، والحِمامُ المرحِّب

---

١ نحب : أى منتحبات باكيات — ٢ — ثقب النجم : اضاء . والدرارى : النجوم الثواقب — ٣ — المجامر : جمع مجمر ، وهو ما يوضع فيه الجمر .
٤ — الغدر : جمع غدير : والطحلب : خضرة تعلو الماء المزمن . والنضح رشاش الماء — ٥ — تتذأب الريح : تجيء مرة كذا ومرة كذا — ٦ — عيون الجيش : ارصاده وجواسيسه — ٧ — قربوا لله : قدموا له القربان .
٨ — القرى : ما قرى به الضيف ، أى قدم له . وحاتم : هو حاتم الطائى المضروب به المثل فى الجود

تكادُ تقاد الغادت لربِّه ... فيُزْجِي ، وتَنْزمُ الرياحُ فيركب(١)

حمَته ليوثٌ من حديدٍ تركّزت ... على عَجَلٍ ، واستجمعتْ تترقب

تثور وتستأْني ، وتنأى وتَدْنى ... وتغدو بما تغدى ، وترمى وتنشب(٢)

تأبّى ، فظنّ العالمونَ استحالةً ... وأعيا على أوهامهم ، فتربّبوا(٣)

فما فى القوى أن السمٰواتِ تُرْتَقى ... بجيشٍ ، وأن النجم يُغْشى فيُغضب(٤)

سموتمْ إليه ، والقنابلُ دونه ... وشهبُ المنايا ، والرصاص المُصَوَّب

فكنتم يواقيتَ الحروبِ كرامةً ... على النار ، أو أنتم أشدُّ وأصلَب(٥)

صعدتم ، وما غيرُ القنا ثَمَّ مَصعدٌ ... ولا سُلَّمٌ إلا الحديدُ المذرب(٦)

كما ازدحمتْ بيزان جَوٍّ بمَوْرِدٍ ... أو ارتفعت تلْقَى الفريسةَ أعقب(٧)

فما زلتمُ حتى نزلتم بُروجَه ... ولم تحتضرْ شمس النهار فتغربُ

هنالك غالٍ فى الأماديحُ مَشرقٌ ... وبالغ فيكم آلَ عثمان مَغرِب

وزيدَ حمى الإسلام عزًّا ومَنْعةً ... ورُدّ جماحُ العصر ، فالعصرُ هَيِّب

رفعنا إلى النجم الرءوس بنصركم ... وكنا بحكم ِالحادثاتِ نصوّب

ومن كان منسوباً إلى دولةِ القنا ... فليس إلى شيء سوى العِزّ يُنْسَب

احلام اليونان

فياقوم ، أين الجيش فيما زعمتُمُ ؟ ... وأين الجوارى ، والدفاعُ المركَّب ؟(٨)

---

١ ـ الغاديات : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ غدوة . ويزجى : يسوق . وتنزم : تزم بزمام ـ ٢ استأنى : انتظر . وادنى : اقترب ـ ٣ ـ تأبى . امتنع . وتربوا : تخوفــوا ـ ٤ ـ يغضب ، على البناء للمجهول : يصاب بالغضاب ، وهو القذى فى العين ـ ٥ ـ يقال : ان الياقوت لا يحترق بالنار ٦ ـ الحديد المذرب : المسموم ، وذرب السيف :حده ـ ٧ ـ البيزان : جمع باز . والاعقب : جمع عقاب ، وهما من جوارح الطير ـ ٨ ـ الجوارى السفن .

وأين أميرُ البأسِ والعزمِ والحِجى؟ وأين رجاءٌ فى الأمير مُخيّب ؟
وأين تُخومٌ تستبيحون دَوْسَها ؟ وأين عصاباتٌ لكم تترقّب ؟(١)
وأين الذى قالت لنا الصحْفُ عنكم وأسند أهلوها . إليكم فأطنبوا ؟
وما قد روى بَرْقٌ من القولِ كاذبٌ وآخرُ من فعل المحبِّين أكذب
وما شِدْتُمُ من دولة عرضُها الثرى يدين لها الجنسانِ : تُرْكٌ وصَقْلب
لها علمٌ فوق الهلال ، وسُدّةٌ تَنُصُّ على هام النجوم ، وتُنصَب
أهذا هو اللُّود الذى تدّعونه ونصرُ « كريدٍ » ، والولاء ، والتحبّب ؟
أهذا الذى للمُلكِ والعِرضِ عندكم وللجار إن أعيا على الجار مَطلب ؟
أهذا سلاحُ الفتح ، والنصر والعلا؟ أهذا مطايا مَنْ إلى المجد يركب ؟
أهذا الذى للذكر خلّب معشرٌ على ذكرهم يأتى الزمانُ ويذهب ؟
أسأتم ، وكان السوءُ منكم إليكمُ إلى خير جار عنده الخيرُ يُطلَبُ
إلى ذى انتقامٍ ، لا ينام غريمُه ولو أنه شخصُ المنام المحجّب
شقيتم بها من حيلة مستحيلة وأين من المُحتال عنقاءُ مُغْرِب؟(٤)
فلولا سيوفُ التركِ جرّبَ غيرُكم ولكن من الأشياء ما لا يجرّب

عفو القادر

فعفواً — أميرَ المؤمنين — لأمّةٍ دعَتْ قادراً ، مازال فى العفو يرغب
ضربتَ على آمالِها ، ومآلها وأنتَ على استقلالها اليومَ تَضْرب
إذا خان عبدُ السوءِ مولاه مُعْتَقًا فما يفعلُ المولى الكريمُ المهذّب ؟
ولا تضربَنْ بالرأى مُنحَلٌ ملكِهم فما يفعلُ المولى الكريمُ المهذّب؟

---

١ — التخوم : الحـــدود — ٢ — صقلب : الجنس السلافى — ٣ — تنص اى ترفع — ٤ — عنقاء مغرب : طائر من طيور الاساطير

لقد فنيَت أرزاقُهم ، ورجالُهم ... وليس بفانٍ طَيْشُهم ،والتقلُّب
فإن يجدوا للنفس بالعوْدِ راحةً ... فقد يشتهى الموتَ المريضُ المعذَّب
وإن همّ بالعفو الكريم رجاؤهم ... فمن كَرَم الأخلاقِ ألا يُخَيَّبوا
فما زلتَ جارَ البِرِّ ، والسيّدَ الذى ... إلى فضله من عدله الجارُ يهرب
يُلاقى بعيدُ الأهلِ عندكَ أهلَهُ ... ويمرحُ فى أوطانه المتغرّب

التماس القبول

أمولاي .غنّتك السيوفُ فأطربت ... فهل ليراعى أن يُغَنى فيُطرب
فعندى ـ كما عند الظُّبا ـ لك نَغْمَةٌ ... ومختلِفُ الأنغام للأُنس أجلب(١)
أعزّب ما تُنشى عُلاك ، وإنه ... لى لُطفه ما لا ينال المُعرّب
مدحتك والدنيا لسانٌ ، وأهلُها ... جميعًا لسانٌ ، عليان ، وأكتب
أناولُ من شعر الخلافةِ ربَّها ... وأكسو القوافى مايدوم فيقشب(٢)
وهل أنت إلا الشمسُ فى كل أمةٍ ؟ ... فكلُّ لسانٍ فى مديحك طيِّب
فإن لم يَلِقْ شعرى لبابك مِدحةً ... فمُرْ ينفتح بابٌ من العذر أرحَب
وإنى لطيرُ النيل ، لا طير غيرُه ... وما النيلُ إلا من رياضِك يُحسَب
إذا قلتُ شعرًا فالقوافى حواضر ... وبغدادُ بغدادٌ ، ويثرب يثرب
ولم أعدم الظلَّ الخصيبَ ، وإنما ... أجاذِبُكَ الظلَّ الذى هو أخصب
فلازلتَ كهفَ الدين ، والهادىَ الذى ... إلى اللهِ بالزُّلْفَى له نتقرّب

---

١ ـ الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف أو السنان
٢ ـ يقشب الشىء : يجعله جديدا

انتصار الأتراك فى الحرب والسياسة

اللهُ أكبر ، كمْ فى الفتح من عَجَب ... ياخالدَ التُّركِ جدِّدْ خالدَ العَرَب(١)

صلحٌ عزيزٌ على حرب مُظَفَّرةٍ ... فالسيفُ فى غمدِهِ ، والحقُّ فى النُّصُب(٢)

ياحُسنَ أُمْنِيَّةٍ فى السيفِ ما كَذَبَت ... وطيبَ أمنيّةٍ فى الرأى لم تَخِب

خُطاك فى الحق كانت كلُّها كرماً ... وأنتَ أكرمُ فى حَقْن الدَّمِ السَّرِب(٣)

حَذوتَ حربَ (الصلاحيِّين) فى زَمَن ... فيه القتالُ بلا شرع ، ولا أدب

لم يَأْتِ سيفُك فحشاءَ ، ولاهتكتْ ... قناك من حُرمَةِ الرُّهبان والصُّلُب

سُئِلْت سِلْماً على نصر ، فجُدتَ بها ... ولو سُئِلتَ بغير النصر لم تُجِب(٤)

مَشيئةٌ قَبِلَتْها الخيلُ عاتبةً ... وأذعن السيفُ مَطْويّاً على غَضَب

أتيتَ مايشبه التقوى وإن خُلِقت ... سيوفُ قومِك لا ترتاحُ للقُرُب(٥)

ولا أزيدُك بالإسلام معرفةً ... كلُّ المروءةِ فى الإسلام والحسبَ

مَنَحْتَهُمْ هُدْنة من سيفك التمسَت ... فهَبْ لهم هُدْنَةً من رأيك الضَّرِب(٦)

أتاهمُ منك فى «لوزانَ» داهيةٌ ... جاءت به الحربُ من حَيّاتها الرُّقُب(٧)

أصَمُّ ، يسمعُ سِرَّ الكائدين له ... ولا يضيق بجَهْر المُحْنَقِ الصَّخِب

لم تَفترِق شهواتُ القوم فى أرَب ... إلا قضى وَطَراً من ذلك الأرَب

---

١ ـ خالد الترك : يراد به الغازى مصطفى باشا كمال ، وخالد العرب : هو خالد بن الوليد وله فى الحروب الاسلامية صوت بعيد ـ ٢ ـ النصب : جمع نصاب ، وهو الاصل والمرجع ـ ٣ ـ السرب : المسفوح ـ ٤ ـ الضمير فى « بها » : للسلم بالكسر والفتح مؤنثة : بمعنى الصلح والسلام ـ ٥ ـ القرب جمع قراب ، وهو الغمد ـ ٦ ـ الضرب : القاطع ـ ٧ ـ الرقب : جمع رقيب ، وهى الحية الخبيثة . والمقصود بالداهية : عصمت باشا مندوب الترك فى مؤتمر (لوزان) ، والمشهور عنه أن فى سمعه ضعفا ، لا تصل اليه الا الأصوات العالية

تدرّعتْ للقاءِ السّلم «أنقرةٌ» ... ومهّدَ السيفُ فى (لوزان) للخُطَب

فقل لِبانٍ بقولٍ رُكنَ مَملكةٍ ... على الكتائب يُبنَى المُلكُ . لا الكتُب

لا تَلتَمِس غَلَبًا للحقّ فى أُمَمٍ ... الحقُّ عندهُمُ معنًى من الغَلَب

لا خيرَ فى مِنبَرٍ حتى يكون له ... عُودٌ من السُّمْر ، أو عودٌ من القُضُب (١)

وما السلاحُ لقوم كلُّ عُدّتِهم ... حتى يكونوا من الأخلاق فى أُهُب (٢)

لو كان فى الناب دون الخُلقِ مَنبَهَةٌ ... تساوت الأُسْدُ والذُّؤبانُ فى الرُّتَب

لم يُغنِ عن قادة اليونان ما حشدوا ... من السلاح ، وما ساقوا من العُصَب

وتَركُهُم «آسيا الصغرى» مُدجَّجةً ... كثُكْنَة النحل ، أو كالقُنْفُذ الخشب (٣)

للتُّرك ساعاتُ صبرٍ يومَ نكبتِهم ... كُتِبْنَ فى صحف الأخلاق بالذهب

مغارمٌ ، وضحايا ما صَرَخْنَ ، ولا ... كُدِّرن بالمنّ ، أو أُفسِدْنَ بالكذب

بالفعلِ والأثر المحمود تعرفها ... ولستَ تعرفها باسم ولا لقب

جُمعنَ فى اثنين : مِن دينٍ ومن وَطَنٍ ... جمعَ الذبائح فى اسم الله والقُرَب (٤)

فيها حياةٌ لشعبٍ لم يمُتْ خُلُقًا ... ومَطمعٌ لقَبيل ناهضٍ أَرِب

لم يَطْعَم الغُمْضَ جَفْنُ المسلمين لها ... حتى انجلى ليلُها عن صُبْحِه الشَّنِب (٥)

كُنَّ الرجاء ، وكُنّ اليأسَ ، ثم محا ... نورُ اليقين ظلامَ الشك والرِّيَب

تلمّس التركُ أسباباً ، فما وجدوا ... كالسيف من سُلَّم للعزّ ، أو سَبَب

---

١ — السمر : الرماح : والقضب السيوف — ٢ — اهب : جمع اهـاب
٣ — حينما يتكمش القنفذ ويتخشب بتسع ما بين شعراته من الانفـراج بخلاف حالة الانبساط ، فان شعراته حينئذ تكون متضامة — ٤ — القرب : جمع قربة ، وهى ما يتقرب به الى الله سبحانه وتعالى من اعمال البر والطاعة
٥ — الشنب : الابلج ، من الشنبه : وهو عذوبة الأسنان

خاضوا العَوَانَ رجاءَ أن تُبَلِّغَهم ... عبْرَ النجاةِ : فكانت صخرةَ العَطَب(١)
سفينةُ اللهِ لم تُقهر على دُسُر ... فى العاصفات ، ولم تُغْلَبْ على خُشُب(٢)
قد أمَّنَ اللهُ مجراها ، وأبدلها ... بحسن عاقبةٍ من سوء مُنقلَب
واختار رُبَّانَها من أهلها ، فنجت ... من كَيْدِ حامٍ ، ومن تضليلِ مُنتَدَب
ما كان ماءُ « سَقاريًّا » سوى سَقَرٍ ... طغت ، فأغرقت الإغريقَ فى اللهب(٣)
لما انبَرَتْ نارُها تبغيهُمُ حَطَبًا ... كانت قِيادَتُهم حَمَّالَةَ الحطب
سَعَتْ بهم نحوكَ الآجالُ يومئذٍ ... يا ضلَّ ساعٍ بداعى الحَين مُنجذِب
مَدُّوا الجُسورَ ، فحلَّ اللهُ ما عقدوا ... إلا مسالكَ فِرعَوْنيَّةَ السَّرَب
كَرْبٌ تغشاهم من رأى ساستهم ... وأشأمُ الرأى ما ألقاك فى الكُرَب
هم حسَّنوا للسواد البُلْهِ مملكةً ... من لِبْدةِ الليث أو من غِيلِهِ الأشِب
وأنشئوا نُزهةً للجيش قاتلةً ... ومَنْ تنزَّه فى الآجام لم يؤُب
ضَلَّ الأميرُ ، كما ضَلَّ الوزيرُ بهم ... كلا الدَّرابَيْنِ أظماهم ، ولم يَصُب(٥)
تجاذباهم كما شاءا بمختلفٍ ... من الأمانىِّ والأحلامِ مُختلِب
وكيف تلقى نجاحاً أمةٌ ذهبتْ ... حِزْبَيْنِ ضِدَّيْنِ عند الحادثِ الحزِب ؟(٦)
زحفتَ زحفَ أتِيٍّ غيرِ ذى شَفَقٍ ... على الوِهاد ولا رِفْقٍ على الهِضَب(٧)
قذفتَهم بالرياح الهُوجِ مُسْرَجةً ... يَحملنَ أُسْدَ الشَّرى فى البَيْضِ واليَلَب(٨)

---

١ — الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد أخرى . وعبـــر الوادى (بالفتح والكسر) : شاطئه — ٢ — دسر : جمع دسار ، وهو المسمار ، أو الخيط من ليف تشد به ألواح السفينة — ٣ — الاغريق:اليونان — ٤ — اللبدة: شعر وبرة الليث ، ويضرب بها المثل فى المنعة ، فيقال : امنع من لبدة الاسد والغيل : موضع الاسد ، والاشب : الشائك المشتبك — ٥ — لم يصب — من الصوب : اى المطر — ٦ — الحزب : الشـــديد — ٧ — الاتى : السـيـــيل ٨ — الشرى : مأسدة يضرب بها المثل بجانب الفرات . والبيض : الخــوذ . واليلب : الدروع

هَبَّت عليهم ، فذابوا عن معاقلهم ... والثلجُ فى قُلَل الأجبال لم يَذُب

لمّا صدَعتَ جناحَيْهم وقَلْبَهُمْ ... طاروا بأجنحة شتى من الرُّعب

جَدَّ الفِرارُ ، فألقى كلُّ معتقل ... قناتَهُ ، وتخلى كل مُحتقِب(١)

ياحُسْنَ ماانسحبوا فى مَنْطِقٍ عَجَبٍ ... تُدعى الهزيمةُ فيه حُسنَ مُنسَحَب

لم يَدْرِ قائدُهم لما أحطْتَ به ... هبطتَ من صُعُدٍ أم جئتَ من صَبَب؟(٢)

أخذتَه وهو فى تدبير خُطَّتِهِ ... فلم تتمَّ ، وكانت خطةَ الهرب

تلك الفراسِخُ من سهل ومن جبل ... قرَّبْتَ ما كان منها غيرَ مقترِب

خَيْلُ الرسولِ من الفولاذ معدِنُها ... وسائر الخيل من لحمٍ ومن عصب

أفى ليال تجوب الراسياتِ بها ... وتقطع الأرضَ من قُطْبٍ إلى قُطُب؟

سل الظلام بها : أىُّ المعاقل لم ... تَطفِر، وأىُّ حصونِ الروم لم تَثِب؟(٣)

آلَت لئن لم تَرِدِ «أزميرَ» لانزلتْ ... ماءً سواها ، ولا حلَّت على عُشُب

والصبر فيها وفى فرسانها خُلُقٌ ... توارثوه أباً فى الروع بعد أب

كما وُلِدتُم على أعرافِها وُلِدَت ... فى ساحة الحرب ، لافى باحة الرَّحَب(٤)

حتى طلعتَ على «أزميرَ» فى فلكٍ ... من نابه الذكر لم يَسمُكْ على الشُّهُب(٥)

فى موكبٍ وقف التاريخ يَعرضه ... فلم يُكذِّب ، ولم يذممْ ، ولم يُرِب

يومٌ «كبدرٍ» ، فخيلُ الحق راقصةٌ ... على الصعيد ، وخيل الله فى السُّحُب

غُرٌّ ، تظلِّلُها غرَّاءُ ، وارفةٌ ... بَدريّةُ العُودِ ، والدِّيباجِ ، والعَذَب(٦)

---

١ ــ المحتقب : المدخر ، ويقال : احتقب فلان الشيء : ادخره او احتمله خلفه ــ ٢ ــ الصبب : ما انحدر من الأرض ــ ٣ ــ تطفر : من الطفور ، وهو الوثوب فى ارتفاع ، والطفرة كذلك : الوثبة ــ ٤ ــ الاعراف : جمع عرف ، وهو شعر عنق الفرس ــ ٥ ــ لم يسمك : لم يرفع ــ ٦ ــ غراء وارفة : يصف العلم (اللواء) . والعذب : خرق الألوية .

نَشوى من الظفَر العالى ، مُرَنَّحةً ... من سَكْرة النصر ، لامن سكرة النَّصَب
تذكُّر الأرض ما لم تنس من زبدٍ ... كالمِسك من جنبات (السَّكْب) مُنسكب(١)
حتى تعالى أذانُ الفتح ، فاتَّأَدَت ... مَشْىَ المُجَلِّى إذا استولى على القصب

* * *

تحيةً ـ أيُّها الغازى ـ وتهنئةً ... بآية الفتح تبقى آيةَ الحِقب
وقَيِّمًا من ثناءٍ ، لا كِفاء له ... إلا التعجبُ من أصحابك النُّجُب
الصابرين إذا حلَّ البلاءُ بهم ... كالليث عَضَّ على نابيْه فى النُّوَب
والجاعلين سيوفَ الهند ألسنَهم ... والكاتبين بأطراف القنا السُّلُب(٢)
لا الصعبُ عندهمُ بالصعبِ مركبُه ... ولا المُحالُ بمستعصٍ على الطَّلب
ولا المصائبُ إذ يرمى الرجالُ بها ... بقاتلاتٍ إذا الأخلاقُ لم تُصَب
قُوَّاد معركةٍ ، ورُوَّادُ مهلكةٍ ... أوتادُ مملكةٍ ، آسادُ مُحتَرب
بلوتهم ، فتحدَّث : كم شَدَدْتَ بهم ... من مُضمَحِلٍّ ؟ وكم عمَّرت من خرب ؟
وكم ثَلَمتَ بهم من مَعقِلٍ أشِبٍ ؟ ... وكم هزمتَ بهم من جَحْفَلٍ لَجِب ؟
وكم بنيتَ بهم مجدًا فما نبَسوا ؟ ... فى الهدم ما ليس فى البنيان من صخب
مِن فَلِّ جيشٍ ، ومن أنقاض مملكةٍ ... ومن بقية قومٍ جئتَ بالعجب(٣)
أخرجت للناس من ذلٍّ ، ومن فشلٍ ... شعبًا وراء العوالى غيرَ مُنشَعِب
لما أتيتَ ببدرٍ من مطالعها ... تَلَفَّتَ البيتُ فى الأستار والحجب
وهشَّت الروضةُ الفيحاءُ ضاحكةً ... إن المنوَّرةَ المسكيَّة التُّرُب
وَمَسَّت الدارُ أزكى طيبها ، وأتت ... بابَ الرسول ، فمسَّت أشرفَ العتب

---

١ ـ السكب : فرس من أفراس النبى ـ ٢ ـ السلب : جمع سلب ، وهو الطويل ـ ٣ ـ الفل : واحد الفلول ، وفلول السيف : كسور فى حده

وأَرَّجَ الفتحُ أرجاءَ الحجازِ ، وكم ... قضى الليالِىَ لم يَنْعَمْ ، ولم يَطِب

وازَّيَّنتْ أمّهاتُ الشرق ، واستبقت ... مهارجُ الفتحِ فى المؤْشِيّة القشُب

هَزَّتْ (دِمَشقَ) بنى (أَيوبَ) ، فانتبهوا ... يهنئون (بنى حمدانَ) فى (حلب)

ومسلمو (الهند) و (الهندوسُ) فى جَذَلٍ ... ومسلمو (مصر) والأَقباطُ فى طرب

ممالكٌ ضمّها الإسلامُ فى رَحِمٍ ... وشيجةٍ ، وحواها الشرقُ فى نسب(١)

من كل ضاحيةٍ ترمى بمكتحل ... إلى مكانكَ ، أو ترمى بمختضب

تقول : لولا الفتى التركىُّ حل بنا ... يومٌ كيوم يهودٍ كان عن كَثَب

بعد المنفى *

أُنادى الرسمَ لو ملك الجوابا ... وأَجزيهِ بدمعىَ لو أَثابا(٢)

وقَلَّ لحقِّه العبراتُ تجرى ... وإن كانت سَوادَ القلب ذابا

سبقنَ مُقبّلاتِ الترْبَ عنّى ... وأَدّينَ التحيةَ والخطابا

فنثرى الدمعَ فى الدِّمن البوالى ... كنظمى فى كواعبها الشّبابا(٣)

وقفتُ بها كما شاءت وشاءُوا ... وقوفاً عَلَّمَ الصبرَ الذَّهابا

لها حَقٌّ ، وللأَحباب حقٌّ ... رشفتُ وصالَهم فيها حبابا(٤)

---

١ ــ الرحم الوشيجة : المتصلة القرابة .

* كانت هذه القصيدة فاتحة شعر الشاعر بعد عودته من منفاه ببلاد الأندلس ، وقد أشاد فيها بذكر تلك البلاد شكرا لها وعرفانا بجميلها ، ثم انتقل الى استقبال بلاده بعد تلك الغيبة الطويلة ، وعرج على مسألة التموين التى كانت حينئذ شغل البلاد الشاغل وقد أنشدت هذه القصــيدة فى اجتماع لجان التموين (بالاوبرا الملكية سنة ١٩٢٠) ــ ٢ ــ الرسم : ما كان بالأرض من آثار الدار ــ٣ــ الدمن : آثار الديار . والكواعب من الجوارى : ناهدات الثدى ، والمراد بها هنــــا : الديار قبل أن تستحيل الى دمن

٤ ــ رشف الماء : مصه بشفتيه .. والحباب : الحبب

وَمَنْ شكرَ المناجِمَ مُحسِناتٍ إذا التبرُ انجلى ؛ شكر الترابا
وبين جوانحي وافٍ ؛ ألوفٌ إذا لمح الديارَ مضى ، وثابا
رأى مَيْلَ الزمان بها ، فكانت على الأيام صحبتُه عتابا

* * *

وداعاً أرضَ أندلسٍ ، وهذا ثنائي إن رَضيتِ به ثوابا
وما أثنيتُ إلا بعد علمٍ وكم من جاهلٍ أثنى فعابا
تخذتُكِ موئلاً ، فحللتُ أندَى ذرًا من وائلٍ ، وأعزَّ غابا(١)
مُغرَّبُ آدمٍ من دار عَدْنٍ قضاها في حِماكِ ليَ اغترابا(٢)
شكرتُ الفُلكَ يومَ حَوَيْتِ رَحْلي فيا لمُفَارِقٍ شَكَرَ الغُرابا ! !
فأنتِ أرحتِني من كل أنفٍ كأنفِ الميْتِ في النَّزْعِ انتصابا
ومنظرِ كلِّ خوانٍ ، يراني بوجه كالبَغِيِّ رمى النِّقابا
وليس بعامرٍ بنيانُ قومٍ إذا أخلاقُهُم كانت خرابا

* * *

أحقٌّ كنتِ للزهراءِ ساحاً وكنتِ لساكن (الزاهي) رحابا؟
ولم تكُ (جورٌ) أبهى منكِ وَرْدًا ولم تكُ بابلٌ أشهى شرابا ؟
وأن المجدَ في الدنيا رحيقٌ إذا طال الزمانُ عليه طابا ؟
أولئك أمةٌ ضربوا المعالي بمشرقها ومغربها قِبابا
جرى كدرًا لهم صفوُ الليالي وغايةُ كلِّ صفوٍ أن يُشابا

---

١ — وال : طلب النجدة ، والموئل : الملجأ ، ووائل : جبل ، وسميت به قبيلة من العرب — ٢ — ان الله الذي أخرج آدم من الجنة ليجعل الارض منفاه ، قد قضى على ان يكون منفاى في جنة من حماك ، وهذه مبالغة من الشاعر في تكريم هذه البلاد التي آوته وهو غريب .

ألم ترَ قرنَها في الجوِّ شاباً ؟ مُشيَّبةُ القرونِ أُديلَ منها (١)
يخرُّ عن السماءِ بها لِعابا مُعلَّقةٌ تَنَظَّرُ صولجاناً
وما تدري السنينَ ولا الحسابا تُعَدُّ بها على الأممِ الليالي

* * *

كأني قد لَقيتُ بكَ الشبابا ويا وطني ، لقيتُكَ بعدَ يأسٍ
إذا رُزِقَ السلامةَ والإيابا وكلُّ مسافرٍ سيؤوبُ يوماً
عليه أُقابِلُ الحتمَ المُجابا (٢) ولو أني دُعيتُ لكنتَ دِيني
إذا فُهتُ الشهادةَ والمتابا أُديرُ إليكَ قبلَ البيتِ وجهي
مُقلَّدةً أزِمَّتَها ، طِرابا وقد سَبقتْ ركائبيَ القوافي
وتقتحمُ الليالي ، لا العُبابا تجوبُ الدهرَ نحوكَ ، والفيافي
على تاجيكَ مُؤتلِقاً عُجابا وتُهديكَ الثناءَ الحرَّ تاجاً

* * *

كما تَهدي (المنوَّرةُ) الركابا هدانا ضوءُ ثغرِكَ من ثلاثٍ
كنارِ (الطورِ) جَلَّلتِ الشِّعابا (٣) وقد غشى المنارُ البحرَ نوراً
فكانت من ثراكَ الطُّهرِ قابا وقيل : الثغرُ ، فاتَّأدتْ ، فأرْسَتْ
به أضحى الزمانُ إليَّ ثابا فصفحاً للزمانِ لصبحِ يومٍ
كَسَوْا عِطفَيَّ من فخرٍ ثيابا وحيَّا اللهُ فتياناً سِماحاً
أحبَّكَ كلُّ من تلقى ، وهابا ملائكةً إذا حفُّوكَ يوماً

---

١ ـ ادال الله فلانا من فلان : نزع الدولة من الثاني وحولها الى الأول والكلام على الشمس .
٢ ـ دعيت الى الموت : نوديت . والحتم المجاب : هو الموت .
٣ ـ جلل الشيء : غطاه .

وإنْ حملتْكَ أيديهم بحورًا | بلغتَ على أكفِّهِمُ السحابا
تَلَقَّوْنِى بكل أغرَّ زاهٍ | كأنَّ على أسِرَّتِه شهابا
ترى الإيمان مؤتلقًا عليه | ونورَ العلم ، والكرمَ اللُّبابا(١)
وتلمحُ من وضاءةِ صفحتَيْه | مُحيًّا مِصرَ رائعةً كَعابا(٢)
وما أدبِى لما أسْدَوْه أهلٌ | ولكن مَنْ أحبَّ الشيءَ حابى
شبابَ النيل ، إن لكم لصوتاً | مُلَبًّى حين يُرفعُ ، مُستجابا
فهزُّوا (العرش) بالدعوات حتى | يخفِّفَ عن كنانتِه العذابا
أمِنْ حربِ البسوسِ ، إلى غَلاءٍ | يكادُ يُعيدُها سبعًا صِعابا ؟
وهل فى القومِ يوسفُ يتّقيها | ويُحسنُ حِسبةً ، ويرى صوابا؟(٣)
عبادكَ — رَبِّ — قد جاعوا بمصرٍ | أنيلاً سُقْتَ فيهم ، أم سَرابا ؟
حنانَكَ ، واهدِ للحسنَى تِجارًا | بها ملكوا المرافِقَ والرقابا
ورقِّقْ للفقير بها قلوباً | مُحجَّرةً ، وأكبادًا صِلابا
أمَنْ أكلَ اليتيمَ له عقابٌ | ومن أكل الفقيرَ فلا عقابا ؟
أصيبَ من التجار بكل ضارٍ | أشدَّ من الزمان عليه نابا
يكاد إذا غذّاه ، أو كساه | ينازعه الحشاشةَ والإهابا(٤)
وتسمعُ رحمةً فى كل نادٍ | ولستَ تحِسُّ للبِرِّ انتدابا
أكلٌّ فى كتاب الله إلّا | زكاةَ المال ليست فيه بابا ؟
إذا ماالطامعون شَكَوْا وضجُّوا | فدعهُم ، واسمع الغرثَى السغابا(٥)

---

١ — اللباب : الخالص —٢— الوضاءة : الحسن والنظافة —٣— الحسبة : الحساب — ٤ — الحشاشة : بقية الروح فى المريض : والاهاب : الجلد .

٥ — الغرثى : جمع غرثان ، وهو الجائع ، والسغاب : جمع ساغب ، وهو الجائع أيضا .

فما يبكون من ثُكْلٍ ، ولكن — كما تصفُ المعدِّدةُ المصابا
ولم أر مثلَ سُوقِ الخيرِ كَسْبًا — ولا كتجارة السوء اكتسابا
ولا كأُولئك البؤساء شاءً — إذا جوّعتها انتشرَتْ ذئابا
ولولا البِرُّ لم يُبعثْ رسولٌ — ولم يَحمِلْ إلى قومٍ كتابا

ذكرى المولد

سلُوا قلبى غداةَ سلا وثابا — لعلَّ على الجمالِ له عتابا
ويُسْألُ فى الحوادثِ ذو صوابٍ — فهل ترك الجمالُ له صوابا ؟
وكنتُ إذا سألْتُ القلبَ يوماً — تولَّى الدمعُ عن قلبى الجوابا
ولى بين الضلوع دمٌ ولحمٌ — هما الواهى الذى ثَكِلَ الشبابا(١)
تسرّب فى الدموعِ ، فقلتُ : ولَّى — وصفّق فى الضلوع ، فقلتُ : ثابا(٢)
ولو خُلقت قلوبٌ من حديد — لما حَملتْ كما حَمل العذابا
وأحبابٍ سُقيتُ بهم سُلافاً — وكان الوصلُ من قِصَرٍ حَبابا(٣)
ونادَمْنا الشبابَ على بِساطٍ — من اللذات مختلفٍ شرابا
وكلُّ بساطِ عيشٍ سوف يُطوى — وإن طال الزمانُ به وطابا
كأن القلبَ بَعدهمُ غريبٌ — إذا عادَتْه ذكرى الأهلِ ذابا
ولا يُنْبيكَ عن خُلُقِ الليالى — كمن فقد الأحِبَّةَ والصّحابا

---

١ ـ الواهى : الضعيف . وثكل الشباب : فقده . والمقصـــود بالدم واللحم هنا القلب ـ ٢ ـ ثاب : رجع بعد ذهاب ـ ٣ ـ السلاف : خالص الخمر . وحباب الماء : نفاخاته التى تعلوه

أخا الدنيا ، أرى دنياكَ أفعى ... تُبدِّل كلَّ آونةٍ إهابا

وأن الرُّقْطَ أيقَظُ هاجعاتٍ ... وأترَعُ فى ظلالِ السلمِ نابا(١)

ومن عجبٍ تُشيِّب عاشِقيها ... وتُفنيهم ، وما برحت كَعابا(٢)

فمن يغترّ بالدنيا فإنى ... لبستُ بها فأبليتُ الثيابا

لها ضَحِكُ القِيانِ إلى غَبىٍّ ... ولى ضحكُ اللبيبِ إذا تغابى(٣)

جنيتُ بروْضِها وردًا ، وشوكاً ... وذقتُ بكأسِها شُهْدًا ، وصابا

فلم أر غيرَ حكمِ الله حكماً ... ولم أر دونَ بابِ الله بابا

ولا عظَّمْتُ فى الأشياء إلّا ... صحيحَ العلم ، والأدبَ اللُّبابا(٤)

ولا كرَّمتُ إلّا وجهَ حُرٍّ ... يُقلِّد قومَه المِننَ الرِّغابا(٥)

ولم أر مثلَ جمعِ المالِ داءً ... ولا مثلَ البخيلِ به مُصابا

فلا تقتلْك شهوتُه ، وزِنْها ... كما تزنُ الطعامَ أو الشرابا

وخُذْ لبنيك والأيامِ ذخرًا ... وأعطِ اللهَ حِصَّتَه احتسابا(٦)

فلو طالعتَ أحداثَ الليالى ... وجدتَ الفقرَ أقربَها انتيابا(٧)

وأن البرَّ خيرٌ فى حياةٍ ... وأبقى بعد صاحبِه ثوابا

وأن الشرَّ يصدعُ فاعليه ... ولم أر خيِّرًا بالشر آبا

فرِفقاً بالبنينِ إذا الليالى ... على الأعقاب أوقعتِ العقابا

ولم يتقلدوا شكرَ اليتامى ... ولا ادَّرعوا الدعاء المستجابا(٨)

---

١ ــ الرقط : جمع رقطاء،وهى الحية على جلها سواد مشوب بالبياض واترع : اسرع الى ا ــ ٢ ــ الكعاب : الجارية الناهد

٣ ــ القيان : جمع قينة ، وهى الأمة المغنية ــ ٤ ــ اللباب : المختار الخالص ــ ٥ ــ الأرض الرغاب : التى لا تسيل الا من مطر كثير .

٦ ــ احتسب عند الله امرا : قدمه ــ ٧ انتابه : اتاه مرة بعد اخرى

٨ ــ ادرع : لبس الدرع .

عجبتُ لمعشرٍ صلُّوا وصاموا ... عواهرَ ، خشيةً وتُقَى كِذابا(١)
وتُلفيهم حِيالَ المالِ صُمًّا ... إذا داعِى الزكاةِ بهم أهابا(٢)
لقد كتموا نصيبَ اللهِ منهُ ... كأنَّ اللهَ لم يُحْصِ النِّصابا
ومَنْ يَعْدِلْ بحبِّ اللهِ شيئًا ... كحبِّ المالِ ، ضَلَّ هوًى وخابا
أرادَ اللهُ بالفقراءِ بِرًّا ... وبالأيتامِ حُبًّا وارتبابا(٣)
فرُبَّ صغيرِ قومٍ علَّموه ... سَمَا وحَمَى المُسوَّمَةَ العِرابا(٤)
وكان لقومه نفعًا وفخرًا ... ولو تركوه كان أذًى وعابا(٥)
فعلِّم ما استطعت ، لعلَّ جيلاً ... سيأتى يُحدِثُ العَجَبَ العُجابا
ولا تُرهِقْ شبابَ الحيِّ يأساً ... فإن اليأسَ يخترمُ الشبابا(٦)
يريد الخالقُ الرزقَ اشتراكاً ... وإن يكُ خصَّ أقواماً وحابى(٧)
فما حَرَمَ المُجِدَّ جَنَى يديه ... ولا نسِىَ الشقِىَّ ، ولا المُصابا(٨)
ولولا البخلُ لم يَهْلِكْ فريقٌ ... على الأقدارِ تلقاهُم غِضابا
تعبتُ بأهله لَوْمًا ، وقبلى ... دُعاةُ البِرِّ قد سئموا الخطابا
ولو أنى خطبتُ على جمادٍ ... فَجَرْتُ به الينابيعَ العِذابا
ألم تَرَ للهواء جرى فأفضى ... إلى الأكواخ ، واخترق القبابا؟(٩)
وأن الشمسَ فى الآفاق تَغشى ... حِمَى كِسْرَى ، كما تغشى اليبابا؟(١٠)
وأن الماءَ تروى الأُسْدُ منهُ ... ويَشفِى من تَلَعْلُعِها الكلابا ؟(١١)

---

١ — الكذاب : الكذب — ٢ — أهاب به : دعاه — ٣ — ارتب الصبى ارتبابا : رباه حتى ادرك — ٤ — الخيل المسومة : المرعية والخيل العراب : الكرائم . ٥ — العاب — العيب — ٦ — أرهقــه طغيانا : أغشاه اياه . ويخترم الشباب : يستأصله — ٧ — حاباه : اختصه ومال اليه — ٨ الجنى ، ماتجنى من الشجر ٩ — افضى : بلغ — ١٠ اليباب : الفقر — ١١ تلعلع الكلب : دلع لســـانه عطشا .

وسَوّى اللهُ بينكمُ المنايا ... ووسّدكُم مع الرسْلِ الترابا(١)
وأرسَلَ عائلاً منكم يتيماً ... دنا من ذي الجلال فكان قابا(٢)
نبيُّ البرِّ ، بيَّنَهُ سبيلاً ... وسنَّ خِلالَه ، وهَدى الشِّعابا(٣)
تفرق بعدَ عيسى الناسُ فيه ... فلما جاء كان لهم مَتابا(٤)
وشافِى النفسِ من نزَعاتِ شرٍّ ... كشافٍ من طبائعها الذئابا(٥)
وكان بيانُه للهدْيِ سُبْلاً ... وكانت خَيْلُه للحق غابا
وعلَّمنا بِناءَ المجْدِ ، حتى ... أخذنا إمْرَةَ الأرضِ اغتصابا
وما نيلُ المطالب بالتمنى ... ولكن تؤخذُ الدنيا غِلابا(٦)
وما استعصى على قومٍ مَنالٌ ... إذا الإقدامُ كان لهم رِكابا

* * *

تجلّى مولد الهادى ، وعمّت ... بشائرُه البوادىَ والقِصابا(٧)
وأسدَتْ للبريةِ بنتُ وَهْبٍ ... يدًا بيضاء ، طوّقتِ الرقابا(٨)
لقد وضعته وهّاجاً ، منيرًا ... كما تلدُ السماواتُ الشهابا(٩)
فقام على سماء البيتِ نورًا ... يضىءُ جبالَ مكة والنقابا(١٠)
وضاعت يَثرِبُ الفيحاءُ مِسْكًا ... وفاحَ القاعُ أرجاءً وطابا(١١)
أبا الزهراء ، قد جاوزتُ قدرى ... بمدحك ، بَيْدَ أن لىَ انتسابا

---

١ — سوى : جعلكم فيها سواء — ٢ — عائلا : فقيرا . وقاب القوس : ما بين المقبض والسية ، والمراد انه كان قريبا — ٣ — الشعاب : الطرق . ٤ — الضمير فى « فيه » يعود على البر — ٥ — النزغات : الوساوس ٦ — غلابا : قهرا — ٧ — القصابا : جمع قصبة ، وهى المدينة — ٨ — بنت وهب : السيدة آمنة ، أمه صلى الله عليه وسلم — ٩ — الشهاب : الكوكب ١٠ — نقاب : جمع نقب ، وهو الطريق فى الجبل — ١١ — ضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .

فما عرفَ البلاغة ذو بيانٍ ... إذا لم يتَّخِذْكَ له كتابا

مدحتُ المالكين ، فزدتُ قدراً ... فحين مدحتُكَ اقتَدْتُ السحابا

سألتُ الله فى أبناء دينى ... فإن تكن الوسيلةَ لى أجابا

وما للمسلمين سواكَ حصنٌ ... إذا ما الضرُّ مسَّهُم ونابا

كأن النحسَ حين جرى عليهم ... أطار بكل مملكةٍ غُرابا

ولو حفظوا سبيلك كان نوراً ... وكان من النحوس لهم حجابا

بنيْتَ لهم من الأخلاق ركناً ... فخانوا الركنَ ، فانهدم اضطرابا

وكان جنابُهم فيها مَهيباً ... ولَلأخلاقُ أجدرُ أن تُهابا

فلولاها لساوى الليثُ ذئباً ... وساوى الصارمُ الماضى قِرابا(١)

فإن قُرنت مكارمُها بعلمٍ ... تذلَّلتِ العلا بهما صعابا

وفى هذا الزمان مَسيحُ علمٍ ... يرد على بنى الأُمم الشبابا

مشروع ملنر (*)

إثْنِ عنانَ القلبِ ، واسْلَمْ به ... من رَبْرَبِ الرملِ ، ومن سِرْبِهِ(٢)

---

١ — الصارم : السيف . والقراب : الغمد

(*) فى سنة ١٩١٩ ثارت البلاد فى طلب استقلالها ، وسافر الوفد المصرى لعرض قضية البلاد فى مؤتمر السلام فى « فرساى » ، وتلقى هناك دعوة من لورد « ملنر » وزير المستعمرات الانكليزية اذ ذاك ، ليتفق معه على مركز البلاد وتحديد علاقة انكلترا بها ، فتمخضت المحادثات بينهما عن مشروع قدمه لورد ملنر ، واتفق مع الوفد على عرضه على البلاد لاخذ رأيها فيه مع التزام الحيدة ، فانتدب الوفد اربعة من اعضائه للقيام بهذه المهمة ، وقد كانت الافكار يومئذ متجهة الى ان المشروع يصلح اساسا للمفاوضة ببعض تعديلات — ٢ — الربرب : القطيع من بقر الوحش . والسرب (بكسر السين) : جماعة الظباء أو النساء .

ومِن تثنّى الغيدِ عن بانِه   مُرتجّةَ الأردافِ عن كُثْبِه(١)
ظِباؤه المنكِسِراتُ الظُّبا   يَغْلِبْنَ ذا اللُّبِّ على لُبِّه(٢)
بيضٌ ، رِقاق الحسن فى لمحةٍ   من ناعم الدرِّ ، ومن رَطْبِه
ذوابلُ النرجسِ فى أصلِه   يَوانعُ الوردِ على قُضْبِه
زِنَّ على الأرض سماء الدُّجى   وزِدْن فى الحسن على شُهْبِه
يمشين أسراباً ، على هِينةٍ   مشىَ القطا الآمِنِ فى سِربِه(٣)
من كلِّ وَسْنانٍ بغير الكرى   تنتبهُ الآجالُ من هُدْبِه
جَفنٌ تلقّى مَلَكا بابلٍ   غرائبَ السحرِ على غَرْبِه(٤)
ياظَبْيَةَ الرملِ ، وُقِيتِ الهوى   وإن سعتْ عيناكِ فى جَلْبِه
ولا ذرَفتِ الدمع يوماً ، وإنْ   أسرفتِ فى الدمع ، وفى سكبه
هذى الشواكى النُّحْلُ صِدْنَ امرأً   مُلْقَى الصِّبا ، أعزلَ من غربِه(٥)
صَيادَ آرامٍ ، رماه الهوى   بشادنٍ لا بُرءَ من حُبِّه(٦)
شاب ، وفى أضلُعه صاحبٌ   خِلْوٌ من الشيب ، ومن خَطبِه(٧)
واهِ يجنبي ، خافقٌ ، كلما   قلتُ : تناهَى ، لَجَّ فى وثبِه
لا تنثنِى الآرامُ عن قاعِه   ولا بناتُ الشوقِ عن شِعبه(٨)

---

١ ـ الغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة اللينة الأعطاف . والبان : شجر يشبه به القدلطوله . والكثب : جمع كثيب ، وهو التل من الرمل ، يشبه به الردف ـ٢ـ الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف ـ ٣ ـ الهينة (بالكسر) : السكينة والوقار ـ ٤ ـ هاروت وماروت : الملكان اللذان أنزل عليهما السحر وغرب العين : مقدمها أو مؤخرها . والغرب : السيف . وعلى هذا المعنى يكون المراد بالجفن : غمد السيف ـ ٥ ـ الشواكى المسلحة . وغرب الشباب : حدته ونشاطه ـ ٦ ـ آرام : جمع رئم ، وهو الظبى الخالص البياض . والشادن : ولد الظبية ـ ٧ ـ صاحب : يريد القلب ـ ٨ ـ القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . والشعب (بالكسر) : الناحية .

حمّلته فى الحبّ ما لم يكن ليحملَ الحبُّ على قلبه

ما خَفَّ إلّا للهوى والعلا أو لجلال الوفد فى رَكبه

أربعةٌ تجمعهم همةٌ ينقلُها الجيل إلى عَقبه(١)

قِطارُهم كالقَطر هَزَّ الثرى وزاده خِصبًا على خِصبه(٢)

لولا استلامُ الخلقِ أرْسانه شبَّ ، فنال الشمسَ من عُجْبه(٣)

كُلُّهُمُ أغيرُ من وائلٍ على حِماه ، وعلى شعبه(٤)

لو قدَرُوا جاءُوكُمُ بالثرى من قُطبِه مُلكا إلى قُطبه

وما اعتراضُ الحظِّ دون المنى من هفوةِ المُحْسِنِ أو ذنبه

وليس بالفاضلِ فى نفسِه من يُنكر الفضل على ربّه

ما بالُ قومى اختلفوا بينهم فى مِدحةِ المشروع أو ثَلبه ؟(٥)

كأنهم أسرى ، أحاديثُهم فى لَيِّن القيد ، وفى صُلبه

ياقوم ، هذا زمنٌ قد رمَى بالقيْدِ ، واستكبر عن سَحبه(٦)

لو أنَّ قيدًا جاءه من عَل خشيتُ أن يأبى على ربه

وهذه الضجةُ من دابِه جنازةُ الرّق إلى تُربه

من يخلع النِّيرَ يَعشْ بُرهةً فى أثر النِّير ، وفى ندبه(٧)

يا نَشأ الحىّ ، شبابَ الحِمَى سُلالةَ المشرق من نُجْبه(٨)

---

١ ـ يريد بالأربعة : الاعضاء المندوبين لعرض المشروع . والعقب=الولد ، وولد الولد ـ٢ـ القطر : المطر ـ٣ـ ارسان : جمع رسن ، وهو الزمام ٤ ـ وائل : قبيلةمن العرب ـ ٥ ـ ثلبه : عيبه وتنقصه ـ ٦ ـ السحب : الجر على الارض ـ ٧ ـ النير : الاخشبة المترضة فى عنق الثورين بأداتها ، وتعرف عند العامة (بالناف) . والندب : جمع ندبة ، وهى أثر الجرح الباقى على الجلد ـ ٨ ـ النجب : جمع نجيب ، وهو الكريم الحسيب

بنى الأولى أصبحَ إحسانُهم ... دارت رحَى الفنّ على قطبه
موسى وعيسى نشآ بينهم ... فى سَعَة الفِكرِ وفى رُحْبه
وعالجَا أولَ .ما عالجا ... من عللِ العالَم أو طبِّه(١)
ما نَسِيَتْ مصرُ لكم برَّها ... فى حازبِ الأمرِ وفى صعبه(٢)
مزّقتمُ الوهْمَ ، وألقمتُمُ ... أهلَهَ الله على صُلبه
حتى بنيتمْ ، هرماً رابعًا ... من فِئةِ الحقِّ ومن حزبه
يومٌ لكم يَبقى (كبدرٍ) على ... أنصار سعدٍ ، وعلى صحبه(٣)
قد صارت الحالُ إلى جِدِّها ... وانتبه الغافلُ من لعبه
اللّيْثُ ، والعالمُ من شرقه ... فى هيبة الليثِ إلى غربه(٤)
قضى بأن نبنى على نابه ... مُلكَ بَنينا ، وعلى خِلبه(٥)
ونبلُغَ المجدَ على عينه ... وندخل العصرَ إلى جَنْبه
ونصلَ النازلَ فى سِلمه ... ونقطعَ الداخلَ فى حربه
ونصرفَ النيلَ إلى رأيه ... يَقْسِمُه بالعدل فى شِرْبِه(٦)
يُبيحُ أو يَحمى على قُدْرةٍ ... حقَّ القُرى والناس فى عذبه
أمرٌ عليكم أو لكم فى غد ... ما ساء أو ما سَرَّ من غبِّه(٧)
لا تستقِلّوه ؛ فما دهرُكم ... بحاتم الجود ولا كعبه(٨)

---

١ — الطب : الشهوة ، وهو أيضا علاج الجسم والنفس
٢ — حازب الأمر : شديده
٣ — بدر : اكبر وقعة انتصر فيها الاسلام على أعدائه — ٤ — الليث : الأسد البريطانى وهنا يبدأ الشاعر فى سرد نقط المشروع الهامة
٥ — الخلب (بالكسر) : الظفر — ٦ — الشرب (بالكسر) : النصيب من الماء — ٧ — الغب : العاقبة — ٨ — حاتم طى ، وكعب بن مامة : من أجواد العرب .

نسمعُ بالحقِّ ، ولم نطَّلعْ على قَنا الحقِّ ، ولا قُضْبِه(١)
ينال باللين الفتى بعضَ ما يعجز بالشدّة عن غضْبه
فإن أنستم فليكن أنسُكم في الصبر للدهر ، وفي عَتبه
وفي احتشام الأُسْدِ دون القَذى إذا هي اضطُرّت إلى شُربِه(٢)
قد أسقط الطَّفرَةَ في ملكه من ليس بالعاجز عن قلبه(٣)
يارُبَّ قيدٍ لا تُحِبّونه زمانُكم لم يتقيَّدْ به
ومطلبٍ في الظنِّ مستبعدٍ كالصبح للناظرِ في قربه
واليأْسُ لا يجمُلُ من مؤمن ما دام هذا الغيبُ في حُجْبه

مشروع ٢٨ فبراير

أُعِدّت الراحةُ الكبرى لمن تعبا وفاز بالحقِّ من لم يأْلُهُ طلبا(٤)
وما قضت مصرُ من كلِّ لُباناتها حتى تجرّ ذيولَ الغبطةِ القُشُبا(٥)
في الأمرِ ما فيه من جِدٍّ ، فلا تقفوا من واقع جزعاً ، أو طائر طَربا(٦)
لا تُثْبِتُ العينُ شيئًا ، أو تُحقِّقه إذا تحيَّرَ فيها الدمعُ واضطربا(٧)

---

١ — القنا : الرماح . والقضب : السيوف — ٢ — احتشام : احجام
٣ — الطفرة : الوثبة في ارتفاع . واسقط الطفرة : تركها . وقلب الملك : تبديله وتغيير نظامه — ٤ — لم يأل : لم يقصر . قال تعالى (لا يألونكم خبالا) وهذا البيت من الحكم الغالية التي لا تتاح لغير أمير الشعراء ، فكم وراء جهاد الحياة من راحة وكم وراء الضعف من قوة — ٥ — اللبانة : الحاجة . والقشب جمع تشيب : الجديد . وفي هذا البيت استفزاز للهمم وبيان لأن سبيل المجد طويل وميدانه متسع — ٦ — الجد : الاجتهاد في الأمر . وفي هذا البيت نوع من البيان المربي للامم في نهوضها ، فكثيرا ما يستفز الطرب اناسا فيطير بهم ، أو يستحكم اليأس منهم فيرديهم .
٧ — تثبت العين : تصحح ، وفي هذا البيت تصوير للتردد والذعر والهلع والشك الذي يصيب الانسان من اموره فلا يستطيع الاهتداء ، ولا يستبين طريق الصواب .

والصبحُ يُظلِم في عينيك ناصعُهُ إذا سدلتَ عليكَ الشكَّ والريبا(١)

إذا طلبتَ عظيما فاصبرنَّ له أو فاحشدنَّ رماح الخطِّ والقُضُبا(٢)

ولا تعِدَّ صغيراتِ الأُمورِ له إن الصغائرَ ليست للعلا أهُبا(٣)

ولن ترى صحبةً تُرضي عواقبُها كالحقِّ والصبرِ في أمرٍ إذا اصطحبا(٤)

إن الرجالَ إذا ما ألجِئوا لَجَئُوا إلى التعاون فيما جَلَّ أو حَزَبا(٥)

* * *

لا ريبَ أن خُطا الآمالِ واسعةٌ وأن ليلَ سُراها صُبْحُهُ اقتربا(٦)

---

١ — الريب : جمع ريبة ، مثل سدرة وسدر : الظن . وكم من رجل تسد امامه كوى الحياة وتضيق عليه الارض بما رحبت ولا سبب لهذا الا الشكوك والأوهام — ٢ — الخط موضع باليمامة ينسب اليه على لفظه ، فيقال : رماح خطية والرماح لا تنبت به ولكنه ســـاحل للسفن التي تحمل القنـا اليه وتعمل به . وقال الخليل : اذا جعلت النسبة اسما لازما قلت : خطية ، بكسر الخاء . ولم تذكر الرماح وهذا كما قالوا : ثياب قبطية (بالكسر) فاذا جعلوه اسما حذفوا الثياب وقالوا قبطيا (بالضم) ، فرقا بين الاسم والنسبة ، وما أحسن أن تنتشر هذه الحكم بين أفراد أمتنا الناهضة حتى تعرف حقوقها وواجباتها — ٣ — اهب : جمع اهاب ككتاب وكتب ، والاهاب : الجـــلد ٤ — بين في هذا البيت شاعرنا نوعا من أنواع الصحبة هو خيرها وهو وحده المحمود عواقبه . وذلك النوع هو أن يصحب الحق — وهو السمح الكريم — صبر جميل على وثبات الباطل حتى يدمغه فاذا هو زاهق ، والصبر من خير الفضائل التي هي جماع كل خير ، ولهذا ذكر في مواطن كثيرة من القــرآن الكريم ، وروى أنه كان الرجلان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا التقيا لم يفترقا حتى يوصي كل منهما أخاه بالصبر والحق — ٥ — الجئوا : اضطروا واكرهوا . ولجئوا : اعتصموا . وجل الشيء يجل (بالكسر) عظم ، فهو جليل ؛ وحزبهم الامر يحزبهم من باب قتل أصابهم . ولعمري ان المفزع الوحيد عند وثبات الاحداث انما هو في الاعتصام بالتعاون والقضـــاء على التحزب — ٦ — السرى : جمع سرية بضم السين وفتحها . يقال : سرينـا سرية من الليل ، وسرية . قال أبو زيد : ويكون السرى أول الليل وأوسطه وآخره ، وقد استعملت العرب سرى في المعاني تشبيها لها بالأجسام مجازا واتساعا ، قال الله تعالى (والليل اذا يسر) . وكان الشاعر اراد حفز الهمم وشحذ العزائم لاجتلاء صبح الآمال .

وأن في راحتيْ مصرٍ وصاحبها ... عهدًا وعقدًا بحقٍّ كان مغتصبا(١)

قد فتّحَ اللهُ أبواباً ، لعل لنا ... وراءها فُسَحَ الآمالِ والرحبا(٢)

لولا يدُ اللهِ لم تدفع مناكبَها ... ولم نعالج على مصراعِها الأَربا(٣)

لا تعدمُ الهمةُ الكبرى جوائزَها ... سِيَّانِ من غَلَبَ الأيام أو غلبا(٤)

وكلُّ سَعْيٍ سيجزى اللهُ سَاعيَهُ ... هَيهاتَ يذهبُ سعْيُ المحسنين هَبا(٥)

لم يُبرمِ الأمرَ حتى يستبينَ لكم ... أساء عاقبةً ، أمْ سَرَّ مُنقلبًا ؟(٦)

نلمّ جليلاً ، ولا تُعطونَ خردلةً ... إلا الذى دفع الدستورُ أو جَلَبا(٧)

تمهدتْ عقباتٌ غيرُ هينةٍ ... تلقى رِكابُ السُّرى من مثلها نصبًا(٨)

---

١ — الراحة بطن الكف والجمع راحات وراح . قصد الشاعر في هذا البيت ان مصر أصبح بين يديها عهد جديد ، وأن في يد مليكها عقدا وثيقا ، ومظهر ذلك كله استقلال البلاد الذي اعلنه جلالة الملك بعد ان عدا العادى زمنا طويلا عليه — ٢ — فسح : جمع فسحة ، مثل غرفة وغرف ، والرحب : جمع رحبة — مثل قصبة وقصب — وهي الساحة المنبسطة — ٣ — يد الله قدرة الله . والمناكب : جمع منكب كمجلس ، وهو مجتمع راس العضد والكتف . وعالج الأمر : باشره بمشقة . والمصراع من الباب : الشطر . والأرب : الحاجة . ولقد شاء الشاعر ان يصور جهاد الامة وقد دجا ليل الحوادث ، واستأسد العادى ، والامة تصابره ، وتدافع الخطوب ، وتلقى منها نيرها ، وتريد الافلات من عنتها الى حيث أبواب النصر — ٤ — ما احسن أن يودع الشاعر في ثنايا هذا البيت الامل الواسع يدركه ذو الهمة الكبيرة ولو بعد حين — ٥ — في هذا البيت شفاء لما يصيب النفوس من ألم الاخفاق وصدمات الايام ، فلئن اعيا الانسان شأن تلك الحياة فلن يعدل الخير العميم في دار النعيم ، وبذلك يعد المرء باحدى الحسنيين ، ولن يذهب العرف بين الله والناس — ٦ — لقد شاء ان تقيس الامة امورها بمقياس صحيح حتى تتجاوز الخطل — ٧ — وفي هذا البيت اراد أن يضع بين يدي الأمة كل دقيق وجليل من أمرها ، حتى تستبين حقيقة امرها ، فقال : ان ماجد ، وان كان جليلا ، الا انه قليل اذا قيس بحقوق الامة الكاملة ، ثم شاء ان يضع على عواتق رجال الامة الأمور الخطيرة في حاضرها ومستقبلها فقال : ان الامر للدستور يرفع ما شاء ويجلب ما نفع — ٨ — الركاب (بالكسر) المطى ، الواحدة : راحلة ، من غير لفظها . والسرى : السير ليلا ، جمع سرية مثل مدية ومدى . ونصبا : تعبا ، وقد صور شاعرنا في هذا البيت ما قطعته الامة من مراحل جهادها في سبيل حريتها .

وأَقبلتْ عقباتٌ لا يذللها ... فى موقف الفصل إلا الشَّعبُ مُنتخَبا

له غدًا رأيُه فيها وحكمتُه ... إذا تمهّل فوق الشوكِ أو وثبا(١)

كم صعْبِ اليومُ من سهلٍ هممتَ به ... وسهلِ الغدُ فى الأَشياء ماصعُبا(٢)

ضمُّوا الجهودَ ، وخلوها منكرةً ... لا تملئوا الشِّدْق من تعريفها عجبا

أَفى الوغى ورحَى الهيجاء دائرةٌ ... تُحصون من مات أو تُحصون ماسُلِبا؟(٣)

خلُّوا الأكاليل للتاريخ ، إن له ... يدًا تؤلِّفها دُرًّا ومخشَلَبا(٤)

أَمرُ الرجال إليه ، لا إلى نفرٍ ... من بينكم سَبق الأَنباء والكتبا

أَملى عليه الهوى والحقدُ ، فاندفعت ... يداه ترتجلانِ الماء واللهَبا(٥)

إذا رأيتَ الهوى فى أُمةٍ حكمًا ... فاحكمْ هنالك أن العقلَ قد ذهبا

قالوا : الحمايةُ زالت ، قلتُ : لاعجبٌ ... بل كان باطلُها فيكم هو العجبا

---

١ — فى هذين البيتين يبين الشاعر ما للآراء المجتمعة من تصريف الامور وقيادة الامم وتهوين الصعاب. وسبيل ذلك اصطفاء نخبة رجالها اذا جـد الجد وحزب الأمر ، فان شاءوا بحكمتهم جاوزوا الصعاب وتخطوا شوك القتاد ، وان قعدت بهم هممهم وأعوزتهم حكمتهم،ذاقوا واذاقوا الأمةعذاب الهون ، وقلبوها على جمر الغضا — ٢ — قصد الشاعر الى أن يعيد النظر يرى الدهر قلبا،والأحداث لاتبقى سرمدا،فلا يؤيسه الخطب الداهم،ويرجو فى الغد ما أعجزه اليوم —٣— يريد الشاعر أن يبين مايعتور الامم فى نهوضها فيثنيها عن غايتها ، ويعوق وثوبها ، ثم هو بعد يامر امته بأن تحاذر الوقوع فى هذا الشر،ورأس تلك الآثام الاعتداد بالنفس ، والاعجاب بالعمل،وانتفاخ الأوداج صلفا وكبرياء ، ثم شاء أن يضرب مثلا بالجيش المقاتل ، ينسى ما هو فيه من جلائل الأخطار ، ويعمد الى حطام فان يحصيه ويجمعه . فلا جرم أن نصيب هذا الجيش الفشل اللازم ، ولقد أدب الله المؤمنين أدبا عاليـا حينما خالفوا محمدا صلى الله عليه وسلم ولاح لهم النصر، فأخذوا يجمعون الغنائم ويحصون الأسلاب ، ففشلوا وندموا ، وذلك مفصل فى سورة آل عمران — ٤ — الأكاليل : جمع اكليل شبه عصابة تزين بالجوهر ، ويسمى التاج اكليلا والمخشلب الزجاج — ٥ — ترتجلان : تبتدئان من غير تهيئة. وقد شاء الشاعر أن ينحى على أولئك الذين يضعون أنفسهم موضع التاريخ ، فيكيلون الثناء ، ويفحشون فى الالقاب، ويخلطون بين المتناقضين .

رأسُ الحمايةِ مقطوعٌ ، فلا عَلِمَتْ كنانةُ الله حزماً يقطع الذنَبا
لو تسألون (ألِنْبى) يوم جَنْدَلَها : بأىِّ سيفٍ على يافوخِها ضربا ؟(١)
أبا الذى جرَّ يومَ السّلمِ مُتَّشِحًا أم بالذى هزَّ يومَ الحربِ مُختضِبا ؟
أم بالتكاتُفِ حول الحق فى بلد من أربعين ينادِى الويلَ والحربا ؟(٢)
يافاتحَ القدس ، خَلِّ السيفَ ناحيةً ليس الصليبُ حديدًا كان ، بل خشبا
إذا نظرتَ إلى أين انتهت يدُهُ وكيف جاوز فى سلطانه القُطُبا
علمت أن وراء الضعف مقدرةً وأنّ للحق — لا للقوةِ — الغلبا

الله والعلم*

لمن ذلك الملكُ الذى عزَّ جانبُه ؟ لقد وعظ الأملاك والناسَ صاحبُه(٣)
أمُلْكُكَ يا (داودُ) ، والملكُ الذى يُغار عليه ، والذى هو واهبه ؟(٤)
أراد به أمرًا ، فجلَّتْ صُدورُه فأتْبعه لُطفًا ، فجلَّت عواقبه(٥)

---

١ — جندلها : أرداها ، واليافوخ : مقدم الرأس — ٢ — حرب ، كفرح : كلب واشتد غضبه ، فهو حرب

* نظمت هذه القصيدة بمناسبة حفلة تتويج الملك ادوارد السابع وتأجيل اقامة الحفلة لاصابة جلالته بدمل وذلك فى سنة ١٩٠٢

٣ — عز جانبه : قوى . وعظ الأملاك والناس : نصحهم وذكرهم بالعواقب
٤ — الملك الذى يغار عليه والذى هو واهبه : هو الله تعالى — ٥ — جلت صدوره : عظمت ، وصدور الأمر : جمع صدر ، وصدر كل شىء : أوله . وعواقبه : جمع عاقبة ، وهى آخر كل شىء أيضا . واتبعه لطفا : الحقه . والمعنى ان الله الذى وهب هذا الملك قضى فيه بأمر عظيم ، هو موت الملكة فيكتوريا ولكنه لطف فى هذا القضاء بتتويج ادوارد ، فكانت عواقب اللطف عظيمة ، كما كانت أوائل الخطب عظيمة .

رمى ، واستردَّ السهمَ ، والخلقُ غافلٌ　　فهل يتّقيه خلقُه أو يُراقبه ؟(١)

أيبطُل عيدُ الدهرِ من أجل دُمَّل　　وتخبو مجاليه ، وتُطوَى مواكبه ؟(٢)

ويرجع بالقلب الكسيرِ وفودُه　　وفيهم مصابيحُ الورى وكواكبه ؟

وتسمو يد الدهر ارتجالاً ببأسها　　إلى طُنُبِ الأقواسِ ، والنصرُ ضاربه ؟(٣)

ويستغفر الشعبُ الفخورُ لربّه　　ويجمع من ذيل المخيلةِ ساحبه ؟(٤)

ويُحجبُ ربُّ العيد ساعة عيدِه　　وتنقص من أطرافهن مآربه ؟(٥)

ألا هكذا الدنيا ، وذلك ودُّها　　فهلّا تأنّى فى الأمانىّ خاطبه ؟(٦)

أعدَّ لها إدوردُ أعيادَ تاجِه　　وما فى حساب الله ما هو حاسبه

مشَتْ فى الثرى أنباؤها ، فتساءلت　　مشارقُه عن أمرها ، ومغاربه(٧)

وكاثر فى البرِّ الحصى مَن يَجوبُه　　وكاثر مَوْجَ البحر فى البحر راكبه(٨)

---

١ استرد السهم : رده وأرجعه اليه ، والألف والسين زائدتان . والغفلة : غيبة الشيء عن بال الانسان وعدم تذكره له ، وقد غفل فهو غافل

٢ — يبطل عيد الدهر : يتعطل . تخبو : تطفأ ، ومجاليه : مواضعه ، من جلا الأمر : وضح وانكشف . والمواكب : جمع موكب وهو القوم الراكبون للزينة

٣ — تسمو : تعلو. وارتجل الأمر : ابتدأه من غير تهيئة قبل . والبأس : الشدة . والطنب : حبل الخباء — ٤ — المخيلة : الكبر — ٥ — يحجب : يمنع عن الناس . والمآرب : جمع مأربة ، وهى الحاجة — ٦— الود — مفتوح الواو ومضمومها ومكسورها : هو المودة . تأنى فى الأمر : ترفق وتنظر . والأمانى : جمع أمنية : ما يتمناه المرء . الخاطب : الداعى الى نفسه . من قولهم خطب المرأة دعا أهلها الى تزويجها منه . والمراد أن من يطلب لنفسه مودة الدنيا ينبغى له أن يترفق فى ذلك . فضمير خاطبه ، يرجع الى «الود»

٧— الثرى : التراب والمراد الارض . الأنباء : الاخبار ، والضمير للأعياد . مشارقه ومغاربه ، أى مشارق الارض ومغاربها . وامرها ، أى الأعياد ايضا ، بمعنى ان انباء تلك الأعياد ذاعت فى اقطار الارض فتساءلت عنها مشارقها ومغاربها — ٨— كاثره : غالبه بالكثرة . والبر : ضد البحر . والحصى : جمع الحصاة . وجاب البلاد يجوبها قطعها . لكثرة المقبلين على تلك الأعياد صار من يجوبون منهم الأرض من الكثرة بحيث يغلبون الحصى اذا كاثروه ، وكذلك راكبو البحر المقبلون عليها يغلبون موجه بالمكاثرة .

إلى موكب لم تُخرج الأرضُ مثلَه ... ولن يتهادى فوقها ما يقاربه(١)

إذا سار فيه سارت الناسُ خلفه ... وشدّت مغاويرَ الملوك ركائبُه(٢)

تحيطُ به كالنّمل فى البرّ خيلُه ... وتملأُ آفاقَ البحار مراكبه

نظامُ المجالى والمواكبِ حلّهُ ... زمانٌ وشيكٌ ريبُه ونوائبه(٣)

فبينا سبيلُ القومِ أمنٌ إلى المنى ... إذا هو خوفٌ فى الظنون مذاهبه(٤)

إذا جاءت الأعياد فى كل مسمعٍ ... تجوبُ الثرى شرقاً وغرباً جوائبه(٥)

رجاءٌ فلم يلبث ، فخوفٌ فلم يدم ... سل الدهرَ : أىُّ الحادثين عجائبه ؟(٦)

فياليت شعرى : أين كانت جنودُه ؟ ... وكيف تراخت فى الفداء قواضبه ؟(٧)

ورُدّت على أعقابهن سفينُه ... وما ردّها فى البحر يوماً مُحاربه ؟(٨)

وكيف أفاتته الحوادث طِلْبةً ... وما عوّدته أن تفوت رغائبه ؟(٩)

---

١ — يتهادى : يمشى مشيا غير قوى متمايلا . وما يقاربه : اى ما يدانيه
٢ — شد الشىء : أوثقه ، ومنه شد الرحال ، والمغاوير : جمع مغوار ، وهو الكثير الهجوم على العدو لشجاعته . الركائب : جمع ركوبة ، وهى كل ما ركب — ٣ — نظام الشىء : ملاكه وطريقته التى عليها يستقيم ، وهو أيضا الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ . والمجالى : جمع مجلى . وشيك : قريب . والريب هنا : ما يكره من الحوادث . والنوائب : جمع نائبة ، وهى مايصيب الانسان من مكروه — ٤ — بينا : — كبينما — ظرف زمان للمفاجاة ، وقيل هما للابتداء ، وعلى كل حال تقع بعدهما جملة اسمية أو فعلية ، ويحتاجان الى جواب يتم به المعنى . والسبيل : الطريق . وأمن : مامونة . والظنون جمع ظن ، وهو غير اليقين . والمذاهب : الطرق والمسالك : جمع مذهب
٥ — المسمع : الأذن . وجاب الارض يجوبها : قطعها ، ومنه الجواب
٦ — الرجاء : الامل . ولم يلبث : لم يمكث — ٧ — شعرى : علمى ، من شعر بالشىء شعرا اذا فطن اليه وعلمه ، ويا ليت شعرى : اى ليتنى علمت . وتراخت : ابطات وقواضبه : سيوفه القواطع — ٨ — ردت : أرجعت . والأعقاب : جمع عقب ، وهو مؤخر القدم ، يقال : رجع على عقبه ، ورجعوا على أعقابهم : أى على الطريق الذى كانوا يضعون فيه أقدامهم . والسفين : جمع سفينة . — ٩ — افاتته طلبته : اذهبتها عنه والطلبة : الشىء المطلوب ، وسكون اللام لضرورة الشعر . والرغائب : جمع رغبة ، وهى الامر المرغوب فيه ، والعطاء الكثير أيضا .

لكَ الملكُ يامن خُصَّ بالعزِّ ذاتُه ... ومَنْ فوقَ آراب الملوكِ مآربه(١)

فلا عرشَ إلا أنتَ وارثُ عِزِّهِ ... ولا تاجَ إلا أنت بالحق كاسبه(٢)

وآمنتُ بالعلمِ الذى أنت نورُه ... ومنك أياديه ، ومنكَ مناقبه(٣)

تُؤامنُ مِن خَوفٍ به كلّ غالبٍ ... علِى أمره فى الأرض ، والدّاءُ غالبه(٤)

سلوا صاحبِ المُلكين : هل مَلَكَ القُوى ... وأسدُ الشرى تعنو له وتحاربه ؟(٥)

وهل رفع الداء العُضالَ وزيرُه ؟ ... وهل حجب البابَ الممنَّعَ حاجبه ؟(٦)

وهل قدَّمت إلا دعاةً شعوبُه ... وساعفَ إلّا بالصلاة أقاربه ؟(٧)

هنالك كان العلمُ يُبلِى بلاءه ... وكان سلاح النفس تغنى تجاربه(٨)

* * *

كريمُ الظُّبا ، لا يقرب الشرَّ حَدُّه ... وفى غيره شرُّ الورى ومَعاطبه(٩)

إذا مرَّ نحوَ المرء كان حياتَه ... كأصبَع عيسى نحو مَيْت يخاطبه

وأيسرُ من جُرح الصدودِ فعالُه ... وأسهل من سيفِ اللّحاظ مَضاربه(١٠)

---

١ ــ خصه بالشيء : جعله له دون سواه . والاراب : جمع ارب ، وهو الحاجة ــ ٢ ــ العرش : سرير الملك . والتاج : صله للعجم ، يقال : توج اذا لبس التاج ، كما تقول العرب : عمم ، اذا لبس العمامة ، استعمل على وجه العموم ، وكاسبه : نائله ورابحه ــ٣ــ اياديه : جمع يد ، وهى هنا النعمة . ومناقبه : جمع منقبة ، وهى الفعل الطيب ــ ٤ ــ تؤامن : أى تعطى الأمان . وكل غالب على امره : أى لايعجزه شيء ــ٥ــ القوى : جمع قوة : ضد الضعف . وتعنو : تخضع وتذل ــ ٦ ــ الداء العضال : الشديد الذى يعيى الأطباء . والباب الممنع : الذى لا يرام ــ ٧ ــ ساعف : ساعد ٨ ــ يبلى بلاءه : يجتهد اجتهاده . والتجارب : جمع تجربة ، من جربت الشيء ، اذا اختبرته مرة بعد اخرى ــ ٩ ــ كريم الظبا : من اضافة الصفة للموصوف : أى الظبا الكريمة ، والظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف أو السنان أو نحو ذلك ، والمراد السيف أو نحوه ليستقيم المعنى فيكون مجازا من اطلاق اسم الجزء على الكل . والمعاطب : المهالك ، جمع معطب .

١٠ ــ الصدود : الاعراض . وفعاله : جمع فعل . واللحاظ : جمع لحظ ومضاربه ، جمع مضرب .

عجيبٌ! ايُرجَى «مِشرطاً» أو يهابه مَن الغربُ راجيه ، مَن الشرقُ هائبه ؟(١)
فلو تُفتدى بالبيضِ والسُّمرِ فِدْيَةٌ لألقَتْ قَناها فى البلاد كتائبه(٢)
ولو أن فوق العلمِ تاجاً لتوّجوا طبيبًا له بالأمس كان يصاحبه(٣)
فآمنتُ بالله الذى عزّ شأنُه وآمنتُ بالعلم الذى عزّ طالبه(٤)

ذكرى كانارفون

فى الموت ما أعيا وفى أسبابه كل امرئٍ رهنٌ بطَىِّ كتابِه(٥)
أسدٌ لَعَمْرُكَ ، من يموتُ بظُفره عند اللقاء ؛ كمن يموت بنابه(٦)
إن نام عنك ؛ فكلُّ طبٍّ نافعٌ أو لم ينمْ ؛ فالطبُّ من أذنابه
داءُ النفوس ، وكلُّ داءٍ قبلَه هَمٌّ نَسِينَ مَجيئَه بذَهابه(٧)
النفسُ حربُ الموتِ ، إلا أنها أتتِ الحياةَ وشُغلَها من بابه(٨)

---

١ — عجيب : صفة موصوف مقدر ، اى امر عجيب . ويرجى : اى يرجو والمشرط : المبضع الذى يفتح بـــه الطبيب الجراحات . ويهابه : يخافه . « ومن » فى : « من الغرب راجيه .. الخ » فاعل « يرجى ». يقول انه لامر عجيب ان هذا الملك الذى يرجوه الغرب ويخافه الشرق ، يتعلق رجاؤه او خوفه بمشرط الطبيب الذى يفتح له دمله — ٢ — تفتدى : تســـتنقذ بالفدية : والبيض والسمر : السيوف والرماح . والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الطائفة من الجيش مجتمعة .

٣ — توجوه : ألبسوه التاج — ٤ — عز شأنه : قوى ، وطالب العلم : محصله — ٥ — ما أعيا : اى ما اتعب واعجز عن ادراك حقيقته . ورهن بطى كتابه : اى باق فى الحياة كبقاء الرهن حتى ينتهى أجله — ٦ — لعمرك : يقول النحاة : انه قسم ، اللام فيه لتوكيد الابتداء . وهو مبتدأ خبره محذوف ، اى لعمرك قسمى ، او ما اقسم به — ٧ — الداء : العلة والمرض . ونسين : اى النفوس — ٨ — حرب الموت : اى حرب للموت والمراد انها تكرهه وتدافعه اتت : جاءت ، الضمير فى « شغلها » للحياة ، والضمير فى « بابه » للموت.

تسَع الحياةَ على طويل بلائها ... وتضيقُ عنه على قصير عذابه(١)

هو منزلُ السارى ، وراحةُ رائح ... كثرَ النهار عليه فى إتعابِه(٢)

وشفاءُ هذى الروحِ من آلامها ... ودواءُ هذا الجسم من أوْصابه(٣)

من سرّه ألّا يموتَ ؛ فبالعلا ... خَلُدَ الرجالُ ، وبالفعالِ النابِه(٤)

ما مات من حاز الثرى آثارَه ... واستولت الدنيا على آدابه(٥)

قل للمُدِلِّ بمالِه وبجاهه ... وبما يُجِلُّ الناسُ من أنسابه(٦)

هذا الأديمُ يَصدُّ عن حُضّارِه ... وينامُ مِلْءَ الجفن عن غُيّابه(٧)

إلّا فتًى يمشى عليه مُجدِّدا ... ديباجَتَيْهِ ، مُعمِّرًا بخرابه(٨)

صادت بقارعةِ الصعيدِ بَعوضةٌ ... فى الجوِّ صائدَ بازِه وعُقابه(٩)

وأصاب خُرطومُ الذبابة صفحةً ... خُلقتْ لسيفِ الهندِ أو لذُبابِه(١٠)

---

١ ــ بلاء الحياة : ما فيها من ألم وهم . اى ان النفس تسع الحيــــاة وتحتملها مع ما فيها من هموم وآلام لا تنتهى ، وتضيق عن الموت وتأباه وهو ليس فيه الا شيء من الالم قصير ــ ٢ ــ هو : أى الموت . والسارى : الذى يقطع الليل سيرا . الرائح : الذاهب . واتعاب : مصدر اتعب ــ ٣ ــ وشفاء هذه الروح ، الى آخرالبيت : متصل بالبيت الذى قبله . والأوصــــاب : الأوجاع ، جمع وصب ــ ٤ ــ العلا : اما الرفعة والشرف ، واما جمع عليا : وهى المنزلة الرفيعة . الفعال النابه : الفعل الشريف المذكور ــ ٥ ــ حــاز الشيء ضمه اليه . والثرى : التراب الندى . والاثار : جمع اثر ، وهو مــا بقى من الشيء. واستولت على آدابه : غلبت عليها وتمكنت منها : والآداب : جمع أدب ، وهو كل ما يتحلى به الانسان من فضيلة ــ ٦ ــ المدل بماله . الخ ، الذى يتيه به على أقرانه . والجاه : القدر والمنزلة . ويجــل : يعظم . ٧ ــ الأديم : الجلد المدبوغ ، وقد يطلق على وجه الارض ، وهو المراد هنا . يصد عن حضاره : يعرض عنهم . والحضار : جمع حاضر . وجفن العين : غطاؤها من أعلاها وأسفلها ، والمراد العين نفسها . والغياب : جمع غائب ٨ ــ الديباجتان : الخدان ، اى الا فتى يمشى على وجه الارض يجدد خديه والمراد ما يكون له كالخدين لوجـــه الانسان ــ ٩ ــ القارعة : الشـــديدة من شدائد الدهر . والصعيد : : بلاد مصر العليا . والباز والعقاب : من جوارح الطير . يقول : ان تلك البعوضة صادت فى الجو من كان يصيد بزاته وعقبانه ١٠ ــ الخرطوم : الأنف والمراد بالذبابة : تلك البعوضة نفسها . وصفحة كل شيء : جانبه . وذباب السيف : طرفه الذى يضرب به .

طارت بخافية القضاء ، وَرَأْرَأَتْ ... بكريمتيه ، ولامست بلُعابه(١)
لاتَسمعنَّ لعُصبةِ الأرواحِ ما ... قالوا بباطل علمهم وكِذابه(٢)
الروحُ للرحمٰنِ جل جلالُه ... هى من ضنائن علمه وغيابه(٣)
غُلِبوا على أعصابهم ، فتوهَّموا ... أوهامَ مغلوبٍ على أعصابه

* * *

ما آبَ جَبّارُ القُرونِ ، وإنّما ... يومُ الحساب يكون يومَ إيابه(٤)
فذروه فى بلد العجائب مُغْمَدًا ... لا تشهَروه كأْسٍ فوق رقابه(٥)
المستبدُّ يطاقُ فى ناووسه ... لا تحت تاجيه وفوق وِثابه(٦)
والفردُ يؤمَن شرُّه فى قبره ... كالسيفِ نام الشرُّ خلفَ قِرابه(٧)
هل كان (توتَنْخُ) تقمَّصُ روحُهُ ... قُمُصَ البعوض ومُسْتَخَسِّ إهابه؟(٨)
أو كان يَجزيكَ الردى عن صُحبةٍ ... وهو القديم وفاؤه لصحابه؟(٩)

---

١ ــ الخافية : واحدة الخوافى . وهى ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح ، والقضاء هنا : معناه الصنع والتقدير . والمراد به قضاء الله . ويقال : رارأ بعينيه ، اذا حدد النظر ، او اذا ادارهما . والكريمتان : العينان واللعاب : مايسيل من الفم . والضمير فى « طارت » يرجع الى « الذبابة »
٢ ــ العصبة من الرجال : ما بين العشرة الى الاربعين ، والمراد هنا الجماعة بغير عدد . والكذاب : الكذب ــ ٣ ــ ضنائن علمه : اي خصائص علمه مما اختص به نفسه فلا يعلم به سواه . وغيابه : اما جمع غيب ، وهو ما غاب عنك من الأمر ، وأما مصدر غاب يغيب ، وهو كالغيب فى معناه .
٤ ــ آب : رجع . جبار القرون : يريد توت عنخ آمون يوم الحساب : اليوم الاخر ــ ٥ ــ ذروه : اتركوه . بلد العجائب : الاقصر ، لما فيها من عجائب الآثار . مغمدا : أي باقيا فى قبره كما يبقى السيف فى غمده . لا تشهروه ، من شهر السيف اذا سله : يعنى لا تخرجوه محمولا على الرقاب كما كان يحمل على الرقاب التي يملكها وهو حى ــ ٦ ــ المستبد : من استبد بالشيء اذا انفرد به . يطاق : من اطاق الشيء ، اذا قدر عليه . والناووس : هو مقبرة النصارى خاصة ، وقد يستعمل لتابوت الميت . الوثاب : السرير الذى لا يبرح الملك عليه ــ ٧ ــ قراب السيف ، قيل : هو غمده ، وقيل : هو وعاء يوضع فيه السيف بغمده ، وقيل غير ذلك ــ ٨ ــ تقمص روحه قمص البعوض : اى لبسها . والقمص : جمع قميص . المستخس : الخسيس ، الاهاب : الجلد الذى لم يدبغ ــ ٩ ــ يجزيك : يقضيه لك ويثيبك عليه الردى ، الهلاك . الوفاء : ضد الغدر . الصحاب جمع صاحب .

تالله لو أهدى لك الهرمَيْنِ من ذهب ، لكان أقلَّ ما تُجْزَى به
أنت البشير به ، وقَيِّمُ قَصره ومُقَدَّم النبلاء من حُجّابه(١)
أعْلَمْتَ أقوامَ الزمانِ مكانَه وحَشَدْتَهم في ساحِهِ ورحابه(٢)
لولا بَنانُك في طلاسِمِ تُربه ما زاد في شرف على أترابه(٣)

* * *

أخنَى الحِمامُ على ابن هِمَّةِ نفسِهِ في المجد ، والباقي على أحسابه(٤)
المجانب الصخرَ العتيدَ بحاجرٍ دبَّ الزمانُ وشبَّ في أسرابه(٥)
لو زايلَ الموتى مَحاجرَهم به وتلفّتوا ؛ لتحيَّروا كضِبابه(٦)
لم يَأْلُهُ صبرًا ، ولم يَنِ هِمَّةً حتى انثنى بكنوزِه ورِغابه(٧)
أفضى إلى خَتْمِ الزمان ففضَّه وحبا إلى التاريخ في محرابه(٨)
وطوى القرونَ القَهْقَرى ، حتى أتى فرعونَ بين طعامه وشرابه(٩)

---

١ — البشير : المبشر بالخير ، قيم القصر : سائس أمره . النبلاء : جمع نبيل ، وهو الذكى النجيب : الحجاب جمع حاجب — ٢ — اقوام : جمع قوم حشدتهم : جمعتهم . الساح : جمع ساحة ، وهى الموضع المتسع امام الدار ونحوها . الرحاب . جمع رحبة وهى الساحة — ٣ — البنان : أطراف الاصابع ؛ مفردها : بنانة . الترب : التراب . اترابه : لداته ، جمع ترب ، وهم من ولدوا معه — ٤ — اخنى عليه : اهلكه . الحمام : الموت . الاحساب : جمع حسب ، وهو ما للرجل من مفاخر الآباء ، أو هو دين الرجل أو ماله

٥ — العتيد : الحاضر المهيأ . دب يقال : دب الصبى اذا مشى . شب : ادرك شبيبته ، الأسراب : جمع سرب . وهو البيت تحت الارض —٦— زايل : فارق . والموتى : جمع ميت . محاجرهم : النواحى التى اتخذت لهم من الارض ، او هى القبور فى الارض المتحجرة . الضباب : جمع ضب

٧ — لم ياله صبرا : أى لم يقصر فى حمله على الصبر . ولم ين همة : لم تضعف همته ، من ونى فى الامر ، اذا ضعف عنه ، انثنى : رجع . الكنوز : جمع كنز . الرغاب : جمع رغيبة ، وهى هنا الشىء المرغوب فيه ، وتكون ايضا بمعنى العطاء الكثير — ٨ — افضى الى ختم الزمان : وصل اليه . فضه : كسر ، حبا الى التاريخ : دنا منه . المحراب : صدر المجلس ، وقيل : هو اشرف المجالس ، ومنه محراب الصلاة — ٩— طوى القرون : قطعها . والقرون ، جمع قرن ، وهو الجيل من الناس ، مدته ثمانون سنة ، وقيل اكثر ، وقيل أقل . القهقرى ، الرجوع ، اى طوى القرون حتى رجع بها القهقرى .

المَنْدَلُ الفَيّاحُ عودُ سريره ... واللؤلؤ اللمّاحُ وشْيُ ثيابه(١)

وكأن راحَ القاطفين فَرَغْن من ... أثماره صُبحًا ومن أرطابه(٢)

جدثٌ حوى ماضاق (غُمدانٌ) به ... من هالة المُلْكِ الجسيمِ وغابه(٣)

بنيانُ عُمرانٍ، وصَرْحُ حضارةٍ ... فى القبر يلتقيان فى أطنابه(٤)

فترى الزمانَ هناك قبلَ مَشيبه ... مثلَ الزمانِ اليومَ بعد شبابه

وتحسُّ ثَمَّ العلمَ عند عُبابه ... تحت الثرى والفنَّ عند عجابه(٥)

* * *

ياصاحبَ الأُخرى، بلغتَ مَحلَّةً ... هى من أخى الدنيا مُناخُ ركابه(٦)

نُزُلٌ أفاق بجانبيه من الهوى ... من لا يُفيقُ، وجدَّ من تلعابه(٧)

---

١ ــ المندل : العود المعروف بطيب رائحته . الفياح : الفياض بنشره وطيبه اللماح : الشديد اللمعان، وشي الثوب : نقشه وتحسينه . والضمير فى « سريره » و « ثيابه » لفرعون ــ ٢ ــ الراح : جمع راحة ، وهى الكف . القاطفين . جمع قاطف وهو من يجتني الثمر . اثمار : جمع ثمر . ارطاب : جمع رطب ، وهو ما نضج من البلح ، والمراد بالاثمار والأرطاب : التحف والآثار الغالية التى وجدت فى قبر فرعون وهى لم تزل على جدتها كأنها مصنوعة الان ــ ٣ ــ الجدث : القبر . حوى الشيء : أحرزه . غمدان : قصر كان مشهورا . يرجحون أن يشرح بن الحارث بن صيفى بن سبأ جد بلقيس ملكة اليمن ، هو الذى بناه وجعل له اربعة وجوه : احمر ، وابيض ، واصفر واخضر ، وبنى داخله قصرا بسبعة سقوف ، بين كل سقفين أربعون ذراعا وقيل : كان ارتفاع السقف مائتى ذراع . الهالة : دارة القمر . الغاب : الرماح ، جمع غابة ــ ٤ ــ العمران : اسم لما يعمر به المكان وتحسن حاله . الصرح : القصر ، وكل بناء مرتفع . الحضارة : الاقامة فى الحضر . الاطناب : جمع طنب ، وهو الحبل الذى يشد به السرادق ، ويستعمل مجازا فى الناحية ، وهى المرادة هنا ــ ٥ ــ تحس العلم : تشعر به . ثم ظرف مكان بمعنى هناك ، العباب : ارتفاع السيل وكثرته ، العجاب : ما جاوز حد العجب ــ ٦ ــ المحلة : المنزل ، المناخ : مبرك الابل ، ومحل الاقامة مجازا . الركاب : الابل . والاخرى : يريد بها الآخرة . والخطاب للوزد المرثى . يقول : بلغت منزلا هو نهاية المسير لاهل الدنيا ، وهو القبر ــ ٧ ــ النزل : ما هيىء للضيف أن ينزل عليه . افاق : صحا واستيقظ . الهوى : ارادة النفس غير المحمودة . التلعاب : اللعب .

: نامَ العدوُّ لديه عن أحقاده وسلا الصديقُ به هوى أحبابه(١)
الراحةُ الكبرى مِلاكُ أديمه والسلوةُ الطُّولَى قِوَامُ ترابه(٢)

* * *

(وادي الملوك) بكتْ عليكَ عيونُه بمُرَقْرَقٍ كالمزنِ في تَسكابه(٣)
ألقى بياضَ الغَيم عن أعطافه حزناً ، وأقبل في سواد سحابه(٤)
يَأْسَى على حرباءِ شمسِ نهاره ونزيل قِيعَتِه ، وجار سرابه(٥)
ويودُّ لو أُلبِستَ من بَرْدِيِّه بُرْدَيْنِ ، ثم دُفنتَ بين شعابه(٦)
نوَّهتَ في الدنيا به ، ورفعتَه فوق الأديم ، بطاحِه ، وهِضابه(٧)
أخرجتَ من قبرٍ كتابَ حضارةٍ الفنُّ والإعجازُ من أبوابه(٨)
فصَّلته ، فالبرقُ في إيجازه يُبنَى البريدُ عليه في إطنابه(٩)

---

١ — الاحقاد : جمع حقد ، وهو الغضب الثابت . سلا الشيء : نسيه وغفل عن ذكره . الهوى في هذا البيت : العشق — ٢ — ملاك الشيء : قوامه . السلوة : السلو . الطولى : مؤنث الأطول اى العظيمة الطول . القوام : ما يقوم به — ٣ — دمع مرقرق ؛ اى دائر في حملاق العين . المزن : السحاب الابيض . جمع مزنة . التسكاب : الانسكاب — ٤— الغيم السحاب واحدته غيمة . الأعطاف جمع عطف وهو جانب الشيء وعطف الرجل جانبه من رأسه الى وركيه —٥— الحرباء اسم للذكر ، والانثى حرباءة ، وهي حيوان اسمه أم حبين ؛ يستقبل الشمس ويدور معها كيف دارت ويتلون بحرها الوانا مختلفة . وهو يضرب مثلا في التقلب . القيعة : قيل جمع قاع وهو ارض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال . وقيل هي مفرد في معنى القاع . السراب : ما تراه نصف النهار من شدة الحر كأنه ماء يلصق بالارض

٦ — البردى نبات تعمل منه الحصر ؛ وهو ينبت كثيرا في مناقع الماء . بردين مثنى برد . وهو ثوب مخطط ؛ والمراد هنا مطلق ثوب . الشعاب: جمع شعب ، وهو الطريق المنفرج بين جبلين . والضمائر في « برد » و « برديه » و « شعابه » يرجع الى وادى الملوك — ٧ — نوه به : رفع ذكره وعظمه . الاديم هنا وجه الأرض . البطاح : جمع ابطح . وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى . الهضاب : جمع هضبة ؛ وهي الجبل المنبسط على وجه الارض ٨ — الفن : في الأصل ، النوع من الشيء ، ثم توسعوا فارادوا به الصناعة والعلم وما اليهما . والاعجاز : مصدر اعجز ، وهو اداء المعنى بطريق لا قدرة لاحد عليها — ٩ — فصلته : بينته . والبرق : وميض السحاب . واستعمل الآن في نقل الرسالات « بالتلغراف » مجازا لسرعة النقل ، كأنه الوميض =

طلعا على (لوزانّ) والدنيا بها وعلى (المحيط) وما وراء عُبابه(١)

جئتَ الشعوبَ المحسنين بشافع مِنْ مثل مُتْقَنِ فَنِّهم ولُبابه(٢)

فرفعتَ رُكناً للقضية ، لم يكن (سَحبانُ) يرفعُه بسحر خطابه(٣)

أيها العمال

أيُّها العمالُ ، أفنوا الـ عمرَ كدًّا واكتسابا

واعمروا الأرضَ ، فلولا سعيُكم أمست يَبابا(٤)

إن لى نصحًا إليكم إن أذِنتُم وعِتابا

فى زمان غَبِيَ النا صحُ فيه ، أو تغابى

أين أنتم من جدود خلدوا هذا الترابا ؟

قلَّدوه الأثرَ المُعْـ جزَ ، والفنَّ العُجابا

وكَسَوْهُ أبدَ الدهـ ـرَ من الفخر ثيابا

أتقَنوا الصنعةَ ، حتى أخذوا الخلدَ اغتصابا

إن للمتقِن عند الله والناسِ ثوابا

أتقِنوا ، يُحْبِبْكمُ الله ـهُ ، ويرفعْكم جنابا

= البريد المسافة التي يقطعها الرسول ، والمراد به الان نقل الرسالات بواسطة « البوستة » : الايجاز .: اختصار الكلام • والاطناب ، اطالته •

١ ــ طلعا : اى البريد والبرق ، لوزان مدينة فى سويسرة ، كان بها مجلس الدول الذى تم فيه الصلح بين تركية واليونان ١٩٢٢ ، والى هذا المجلس يشير بقوله (والدنيا بها) • المحيط : البحر الذى يحيط باليابسة • وما وراء عبابه : بلاد امريكا التى يحيط بها المحيطان المتجمدان من الشمال والجنوب ، والمحيطان الاطلسى والهادى من الشرق والغرب ، والمعنى ان البرق والبريد طلعا على العالم المتحضر كله بخبر تلك الآثار التى وجدت فى القبر ــ ٢ الشافع : من يعاونك عند غيرك او يسعى لك فى مطلبه . المتقن : المحكم ، اللباب : المختار الخالص من كل شيء ــ ٣ــ الركن ، الجانب الاقوى من الشيء . سحبان : رجل من وائل كان خطيبا فصيحا ، ويضرب به المثل فى ذلك ، فيقال : « أخطب من سحبان » ــ ٤ ــ الارض اليباب : الخراب •

أرضيتم أن تُرى (مصـ ـرُ) من الفن خرابا ؟
بعد ما كانت سماءً للصناعاتِ وغابا ؟

* * *

أيها الجمعُ ، لقد صر تَ من المجلس قابا(١)
فكنِ الحُرَّ اختيارًا وكن الحُرَّ انتخابا
إن للقوم لعينًا ليس تألوكَ ارتقابا
فتوقع أن يقولوا : مَنْ عن العمالِ نابا ؟
ليس بالأمر جديرًا كلُّ مَنْ ألقى خطابا
أو سخا بالمال ، أو قدّ م جاهاً وانتسابا
أو رأى أمّيّةً ، فاخـ تلب الجهلَ اختلابا
فتخيَّرْ كلَّ من شـ ـبَّ على الصدق وشابا
واذكرِ الأنصارَ بالأمـ ـس ، ولا تنْسَ الصِّحابا
أيها الغادون كالنحـ ـلِ ارتيادًا وطلابا
في بكور الطير للرز قِ مجيئًا وذهابا
اطلبوا الحقَّ برفقٍ واجعلوا الواجبَ دابا(٢)
واستقيموا يفتحِ اللـ ـه لكم باباً فبابا
اهجروا الخمر تطيعوا اللـ ـهَ ، أو ترضوا الكتابا
إنها رجس ، فطوبَى لامرئٍ كفَّ وتابا
ترعِشُ الأيدي . ومن يُر عش من الصناعِ خابا
إنما العاقلُ مَن يجـ ـعلُ للدهر حسابا

---

١ ـ يريد بالمجلس : دار النيابة ـ ٢ ـ اى دأبا ، وخففت للضرورة.

فاذكروا يومَ مَشيبٍ فيه تَبكون الشبابا
إن للسنّ لهمًّا حين تعلو وعذابا
فاجعلوا من مالكم للشيب والضعف نِصابا
واذكروا فى الصحة الدا ء إذا ما السُّقمُ نابا
واجمعوا المال ليومٍ فيه تَلْقَوْن اغتصابا
قد دعاكم ذنبَ الهيـ ئةِ داعٍ فأصابا
هى طاووسٌ ، وهل أحـ سنُه إلا الذُّنابَى ؟

نجـاة(*)

هنيئًا أميرَ المؤمنين ، فإنّما نجاتُك للدِّين الحنيف نجاةُ(١)
هنيئًا لطه ، والكتاب ، وأمةٍ بقاؤكَ إبقاءٌ لها وحياة(٢)
أخذتَ على الأقدار عهدًا ومَوْثِقًا فلستَ الذى تَرقى إليه أذاة(٣)
ومن يكُ فى بُرْدِ النبىّ وثوبِهِ تَجُزْهُ إلى أعدائه الرَّمَيات(٤)
يكاد يسيرُ البيتُ شكرًا لربه إليكَ ، ويسعى هاتفاً عرفاتُ(٥)
وتستوهب الصفحَ المساجدُ خُشّعاً وتبسط راحَ التَّوْبة الجُمعات(٦)

(*) ألقيت على جلالة الخليفة قذيفة فى سبتمبر ١٩٠٥ ، ثم شاء الله ان يكتب له النجاة من شرها ، فكتب الشاعر يهنئه
١ — أتاك الشىء هنيئا ، وهو هنىء لك : أى سائغ ثابت لا مشقة فيـه .
٢ — طه : من أسماء النبى محمد صلى الله عليه وسلم . الكتاب : القرآن الكريم . والامة : المسلمون جميعا — ٣ — الاقدار : جمع قدر ، وهو ما يقدره الله من قضائه ، ويعرفه بعضهم بأنـه تعلق ارادة الله بالاشياء . العهد هنا : الضمان . الموثق : العهد . ترقى اليه : تصعد . الاذاة : المكروه — ٤ — البرد : ثوب مخطط . تجزه : تتعداه الى غيره . الرميات : جمع رمية — ٥ — البيت : الكعبة . عرفات : مكان على مقربة من مكة ، الوقـوف به ركن من اركان الحج — ٦ — تستوهب الصفح : تطلب هبته : والصفح : الاعراض عن الذنب خشعا : جمع خاشع . الراح : جمع راحة ، وهى الكف .

وتستغفرُ الأرضُ الخصيبُ وماجنت   ولكنْ سقاها قاتلون جُناةُ(١)

وتُثنى من الجرحى عليك جراحُهم   وتأتى من القتلى لكَ الدعواتُ(٢)

ضحكتَ من الأهوال ، ثم بكيتَهم   بدمع جرتْ فى إثره الرَّحماتُ(٣)

تُثابُ بغاليه ، وتُجزَى بطُهْرِه   إلى البعث أشلاءٌ لهم ورُفاتُ(٤)

وما كنتَ تُحييهم ، فكِلْهم لربهم   فما مات قومٌ فى سبيلك ماتوا(٥)

رمتهم بسهم الغدر عند صَلاتهم   عصابةُ شرٍّ للصلاة عداةُ(٦)

تبرَّأ عيسى منهمُ وصِحَابه   أأتباعُ عيسى ذى الحنانِ جُفاةُ؟(٧)

يُعادون دِينًا ، لا يُعادون دولةً   لقد كذبت دعوى لهم وشكاةُ(٨)

ولا خيرَ فى الدنيا ، ولا فى حقوقها   إذا قيل : طُلَّابُ الحقوقِ بُغاةُ(٩)

بأىِّ فؤادٍ تلتقى الهولَ ثابتاً   وما لِقلوب العالمين ثَباتُ ؟(١٠)

---

١ ـ تستغفر : تطلب المغفرة . الارض الخصيب : الكثيرة العشب ، كناية عن كثرة خيرها . و « ما » فى « ماجنت » للنفى ـ ٢ ـ تثنى عليك : تمدحك . الجرحى جمع جريح . والجراح : جمع جرح . القتلى : جمع قتيل ـ ٣ ـ الأهوال : جمع هول ، وهو المخوف من الامر لايدرى الانسان ما يهجم عليه منه ؛ بكيتهم ، اى الجرحى والقتلى . الرحمات : جمع رحمة

٤ ـ تثاب : تجازى . بغاليه وطهره : الضمير فيها للدمع . البعث هنا : من بعث الموتى : اى نشرهم يوم القيامة . الرفات : الحطام وكل ما تكسر وبلى . اشلاء الانسان : اعضاؤه بعد البلى والتفرق ـ ٥ ـ كلهم لربهم من وكل اليه الامر : اى تركه له وفوضه اليه . فى سبيلك : اى من أجلك وبسببك ـ ٦ ـ الغدر : الخيانة وعدم الوفاء . الجماعة : قيل العشرة،وقيل ما بين العشرة والاربعين . العداة : جمع عدو،والمراد نصارى الارمن الذين دبروا حادث القنبلة ـ ٧ ـ تبرأ منه : تخلص منه وأنكره : عيسى : ابن مريم النبى عليه السلام . الصحاب : جمع صاحب . اتباع : جمع تابع ، والهمزة للاستفهام . الحنان : الرحمة.الجفاة: جمع جاف ، وهو الغليظ الخلق .

٨ ـ الشكاة : الشكوى . وهى التظلم ـ ٩ ـ الطلاب : جمع طالب . البغاة : جمع باغ وهو الظالم ـ ١٠ ـ الفؤاد : القلب . تلتقى الهول : تستقبله . الهول : المخيف المفاجىء . الثبات : الاستقرار ، والخطاب لأمير المؤمنين .

إذا زُلزلتْ من حولك الأرضُ ، رادها   وقارُك حتى تسكنَ الجَنَبات(١)
وإن خرجت نارٌ فكانت جهنما   تُغذَّى بأجساد الورَى وتُقات(٢)
وترتجُّ منها لُجّةٌ ، ومدينةٌ   وتَصلى نواحٍ حَرَّها ، وجهات(٣)
تمشيتَ في بُرْدِ الخليل ، فخضتَها   سلاماً وبرداً حولك الغَمَرات(٤)
وسرتَ وملءُ الأرض حولك أدْرُعٌ   ودرعُك قلبٌ خاشعٌ وَصَلاةُ(٥)
ضحوكا ، وأصنافُ المنايا عَوابسٌ   وقورًا ، وأنواعُ الحُتوفِ طُغاة(٦)
يحوطك إن خان الحُماةَ انتباهُهُم   ملائكُ من عند الإله حُماة(٧)
تشير بوجهٍ أحمديٍّ ، مُنوَّرٍ   عيونُ البرايا فيه مُنحسرات(٨)
يحيِّي الرعايا ، والقضاءُ مُهلِّلٌ   يحييه ، والأقدارُ معتذِرات(٩)

---

١ — زلزلت الارض : ارجفت . راد الارض : تفقدها ليرى هل تصلح للنزول بها . الوقار : الحلم والرزانة والجنبات : النواحي ، جمع جنبة .
٢ — تغذى ، من غذاه : اى اطعمه . اجساد : جمع جسد . الورى : الخلق تقات : من قاته ، أعطاه قوتا وهو ما يؤكل ليمسك الرمق — ٣ — ترتج : تضطرب . لجة الماء : معظمه . تصلى حرها : تجده وتحسه . النواحي : جمع ناحية . الجهات : جمع جهة . والمراد : يرتج منها البر والبحر ، وتخترق بها جهات الأرض ونواحيها ، أى انها نار عامة عظيمة — ٤ — تمشيت : مشيت . البرد : الثوب . الخليل : هو النبي ابراهيم عليه السلام ، وقصة خوضه النار التي اوقدها له النمروذ مشهورة . سلاما : اى سلامة . وبردا اى لا حرا . الغمرات ، الشدائد والمكاره — ٥ — ملء الشيء : ما يملؤه . ادرع : جمع درع ، وهى ثوب ينسج من زرد الحديد ، ويلبس في الحرب ، للوقاية من سلاح العدو — ٦ — الضحوك . الكثير الضحك . المنايا ، جمع منية ، وهى الموت . عوابس ، كوالح الوجوه متجهمات ، الوقور : الحليم الرزين الحتوف : جمع حتف : وهو الموت أيضا . طغاة ، جمع طاغ . وهو الظالم المسرف في ظلمه — ٧ — يحوطك : يحفظك ويتعهدك . الحماة : جمع حام . الانتباه : اليقظة للامر . والملائك : الملائكة — ٨ — وجه احمدى : منسوب الى احمد . وهو النبي صلى الله عليه وسلم ، نسبة تشريف وتنبيه . منور : مضيء . منحسرات : يريد حسيرات ، والعين الحسيرة الكليلة التى ينقطع بصرها من طول المدى — ٩ — يحيى الرعايا : يسلم عليها . ورعايا الملك : القوم الخاضعون له ، جمع رعية . القضاء هنا : تقدير الله . مهلل : من التهليل ، وهو رفع الصوت بلا اله الا الله . والاقدار : جمع قدر .

نجاتُكَ نُعْمى للالهِ سنيّةٌ ⁂ لها فيك شكرٌ واجبٌ وزكاةُ(١)

فصيِّرْ أميرَ المؤمنين ثناءها ⁂ مآثِرَ تُحيي الأرضَ وهي موات(٢)

إذا لم يُفتنا من وجودك فائت ⁂ فليس لآمالِ النفوس فوات(٣)

بَلَوْناكَ يقظانَ الصوارمِ والقَنا ⁂ إذا ضُيَّعَ الصِّيدَ الملوكُ سُبات(٤)

سهرتَ ، ولذَّ النومُ ـ وهوَ مَنيّةٌ ـ ⁂ رَعايا تولّاها الهوى ورُعاةُ(٥)

فلولاكَ مُلكُ المسلمين مُضيَّعٌ ⁂ ولولاكَ شملُ المسلمين شَتات(٦)

لقد ذهبت راياتُهم غير رايةٍ ⁂ لها النصرُ وَسْمٌ والفتوحُ شِيات(٧)

تَظَل على الأيام غرّاء ، حُرَّةٌ ⁂ مُحجَّلةٌ في ظلها الغَزَوات(٨)

حَنيفيّةٌ ، قد عزَّها ، وأعزَّها ⁂ ثلاثون مَلْكًا ، فاتِحون ، غُزاة(٩)

---

١ ـ النعمى ، كالنعمة : ما انعم به عليك ، سنية : رفيعة عظيمة .

٢ ـ صير : اى اجعل . مآثر : جمع مأثره ، وهى المكرمة . ارض موات : لاينتفع بها ـ ٣ ـ فاته الشيء : اعوزه وذهب عنه فلم يدركه . الامال : جمع امل . وهو الرجاء ـ ٤ ـ بلوناك : جربناك واختبرناك . اليقظان : المتنبه المستيقظ . الصوارم : جمع صارم ، وهو السيف القاطع . القنا : جمع قناة ، وهى الرمح . الصيد : جمع اصيد ، وهو الملك . لانه لا يلتفت من زهوه يمينا ولا شمالا ، والاصل انه الجمل الذى لا يستطيع الالتفات من داء الصيد . السبات : النوم والراحة ـ ٥ ـ سهرت : ارقت فلم تنم ، لذ النوم رعايا ورعاة : أى صار لذيذا لهم . والرعاة : جمع راع ، وهو الوالى

٦ ـ مضيع : مهمل او مفقود . الشمل : ما اجتمع من الامر وما تفرق منه . يقال : جمع الله شملهم ، اى ما تشتت من شملهم ، وفرق الله شملهم اى ما اجتمع منه ، الشتات ، المشتت المتفرق ـ ٧ ـ الراية : العلم ، جمعها رايات . الوسم : الاثر والعلامة . الفتوح : جمع فتح وهو النصر . الشيات : جمع شية ، وهى العلامة ـ ٨ ـ تظل : تبقى ، والمراد الراية . الغراء : مؤنث الاغر ، وهو الفرس بجبهته بياض قدر الدرهم ، والابيض من كل شيء ، والكريم الفعال ، الواضحه ، ومن المجاز : يوم اغر محجل ، ومثله : راية غراء محجلة . المحجلة : من التحجيل ، وهو بياض فى قوائم الفرس . والمراد ان بها بياضا كانه التحجيل . الغزوات : جمع غزوة وهى الواحدة من الغزو ، وهو المسير الى قتال العدو ـ ٩ ـ الحنيفية : المائلة الى الاسلام الثابتة عليه . وهو وصف للراية ايضا . عزها : قوامها . اعزها : جلها . ملكا : لغة فى ملك . غزاة : جمع غاز .

حماها ، وأسماها على الدهر منهمُ ... ملوكٌ على أملاكه سَرَوات(١)

غمائمُ فى مَحْل السنين ، هواطلٌ ... مصابيحُ فى ليل الشكوكِ ، هُداة(٢)

تهادت سلاماً فى ذَراك مطيفةً ... لها رغباتُ الخلقِ ، والرهبات(٣)

تموتُ سِباعُ الجوِّ غَرْثَى حِيالَها ... وتحيا نفوسُ الخَلقِ والمُهجات(٤)

سننْتَ اعتدالَ الدهر فى أمر أهله ... فبات رَضِياً فى ذَراكَ ، وباتوا(٥)

فأنتَ غمامٌ ، والزمانُ خميلةٌ ... وأنتَ سِنانٌ ، والزمانُ قَنَاة(٦)

وأنتَ مِلاك السلم إن مَادَ رُكْنُه ... وأشفقَ قُوَّام عليه ثقات(٧)

أكان لهذا الأمر غيرك صالحٌ ... وقد هَوَّنَتْه عندك السنوات؟(٨)

ومَن يَسُسِ الدنيا ثلاثين حِجَّةً ... تُعِنْهُ عليها حكمةٌ ، وأناة(٩)

---

١ — حماها : دافع عنها • اسماها : أعلاها • سروات : سادات ورؤساء ، وضمير « حماها » و « أسماها » للراية — ٢ — غمائم : سحائب ، وهى جمع غمامة . المحل : الجدب ويبس الأرض من الكلأ لانقطاع المطر. الهواطل: جمع هاطلة ، وهى السحابة التى يتتابع مطرها ، مصابيح : جمع مصباح ، وهو السراج • هداة : جمع هاد وهو المرشد الدال على الطريق

٣ — تهادت : من التهادى ، وهو أن يمشى الرجل وحده مشيا غير قوى متمايلا ، والضمير عائد الى الراية • الذرا : اعالى الأشياء ،واحدتها ذروة • مطيفة : من اطاف بالشىء الم به وقاربه او حام حوله أو احاط به . الرغبات جمع رغبة وهى ارادة الشىء والحرص عليه • الرهبات : جمع رهبة وهى الخوف — ٤ — السباع : جمع سبع ، وهو المفترس من الحيوانات مطلقا والمراد بسباع الجو سباع الطير . غرثى : جمع غرثان ، وهو الجائع . حيالها : اى قبالتها وازاءها . المهجات : جمع مهجة ، وهى الدم ، أو هى دم القلب . يقال : سالت مهجته والنفس ، يقال : بذلت له مهجتى ، والخالص من كل شىء —٥— سننت : ابنت وصورت ، والاعتدال:الاستقامة • ورضيا : راضيا . والذرا : الملجأ — ٦ — الغمام : السحاب . والخميلة : الشجر الكثير الملتف حيث كان ، وهى أيضا الموضع الكثير الشجر • السنان : نصل الرمح — القناة الرمح — ٧ — ملاك السلم : قوامه الذى يملك به ، والسلم : السلام والأمان ، وماد : تحرك واضطرب • وقوام : جمع قائم • وثقات جمع ثقة يقال هو ثقة اى موثوق به — ٨ — هونته : سهلته وخففته والسنوات : جمع سنة — ٩ — يسس : من ساس الشىء دبره وقام بأمره ، يعنه : يساعده ويظاهره . والحكمة : العدل ، والعلم ، ووضع الأمر فى موضعه وصواب الأمر وسداده ، والاناة : الرفق ، وهى الحلم أيضا •

ملكتَ ـ أميرَ المؤمنينَ ـ ابنَ هانئٍ   بفضلٍ ، له الألبابُ مُمتَلَكاتُ
وما زلتُ حَسّانَ المقام ، ولم تزل   تليني ، وتسرى منكَ لى النفحاتُ(١)
زَهدتُ الذى فى راحتيك ، وشاقنى   جوائزُ عند الله مُبْتَغَياتٌ(٢)
ومَنْ كان مثلى أحمدَ الوقتِ ، لم تجُزْ   عليه ـ ولو من مثلك ـ الصدقاتُ(٣)
ولى دُرَرُ الأخلاق فى المدح والهوى   وللمُتنبى دُرَّةٌ ؛ وحَصاةُ(٤)
نجت أُمةٌ لما نجوتَ ، ودُوركت   بلادٌ ، وطالت للسرير حياةُ(٥)
وصِينَ جلالُ الملك ، وامتدّ عزُّه   ودام عليه الحسنُ والحسناتُ(٦)
وأُمّنَ فى شرق البلادِ وغربها   يتامَى على أقواتهم ، وعُفاةُ(٧)
سلامِىَ عن هذا المقامِ مُقصِّرٌ   عليكَ سلامُ الله والبرَكاتُ(٨)

---

١ ـ ما زلت حسان المقام : اى مازلت قائما منك مقام حسان من النبى عليه الصلاة والسلام . حسان بن ثابت الشاعر والصحابى . تلينى : تدنو منى . تسرى : تتسلسل النفحات : العطايا ـ ٢ ـ زهدت الشىء : تركته ورغبت عنه . الراحتان : الكفان . شاقنى جوائز : هيجتنى . الجوائز : جمع جائزة ، وهى العطية . مبتغيات : مطلوبات ـ ٣ ـ لم تجز : لم تكن جائزة . الصدقات : جمع صدقة وهى العطية ، يراد بها الثواب ـ ٤ ـ الدرر ، جمع درة وهى اللؤلؤة العظيمة . المتنبى : أبو الطيب أحمد بن الحسين المشهور ، الحصاة : الحجر الصغير ، يريد أن للمتنبى الجيد والردىء من الشعر ، أما هو فله الجيد دائما ـ ٥ ـ نجت : خلصت . ودوركت : فعل المجهول من داركه : اذا لحقه . السرير : سرير الملك ـ ٦ ـ صين : حفظ . الجلال : التناهى فى عظم القدر ورفعة الشأن . والعز : القوة وعدم الذل . والحسن : الجمال . والحسنات : جمع حسنة ، وهى ضد السيئة ـ ٧ ـ أمن : اعطى الأمان . يتامى : جمع يتيم ، وهو من مات أبوه . اقوات : جمع قوت ، وهو ما يقوم به بدن الانسان من الطعام . العفاة : طلاب المعروف ، جمع عاف .
٨ ـ مقصر : من قصر عن الأمر ، اذا تركه ولم يقدر عليه

الى عرفات

إلى عرفاتِ اللهِ ياخيرَ زائرٍ ... عليك سلامُ اللهِ فى عرفاتِ(١)

ويومَ تُولّى وجهةَ البيت ناضرًا ... وسيمَ مجالى البشر والقسماتِ(٢)

على كلِّ أُفقٍ بالحجاز ملائكٌ ... تزُفُّ تحايا الله والبركاتِ(٣)

إذا حُديَتْ عيسُ الملوك ؛ فإنهم ... لعيسك فى البيداء خيرُ حُداةِ(٤)

لدى (الباب) جبريلُ الأمين ، براحِهِ ... رسائلُ رحمانيّةُ النَّفَحاتِ(٥)

وفى الكعبة الغرّاء ركنٌ مُرَحِّبٌ ... بكعبةِ قُصّادٍ ، وركنِ عُفاةِ(٦)

وما سكب الميزابُ ماءً ، وإنّما ... أفاض عليك الأجرَ والرّحماتِ(٧)

و (زمزمُ) تجرى بين عينيْك أعينًا ... من الكَوْثرِ المعسولِ مُنفجِراتِ(٨)

ويرمون إبليسَ الرجيمَ ، فيصطلى ... وشانيكَ نيراناً من الجمَراتِ(٩)

---

١ ــ عرفات : اسم موضع وقوف الحاج ، على مقربة من مكة ، وهو اسم واحد فى صورة الجمع ــ ٢ ــ تولى وجهة البيت :تستقبلها . والوجهة : المكان الذى يستقبله الانسان ، ناضرامن النضرة : وهى الحسن ، وسيم : جميل مجالى البشر ؛ والمراد الوجه . والبشر : طلاقة الوجه . القسمات : جمع قسمة : وهى الوجه ، وقيل : ما بين الوجنتين والأنف ــ ٣ ــ الافق : الناحية ، ملائك : جمع ملك . التحايا : جمع تحية ــ٤ ــ حديت : من الحداء: وهو سوق الابل والغناء لها ، والعيس : الابل البيض التى يخالط بياضها شىء من الشقرة . والبيداء : المفازة . الحداة : جمع حاد

٥ ــجبريل : هو أمين الوحى ، والراح : جمع راحة ، وهى الكف

٦ ــ مرحب : من رحب به : قال له : مرحبا . وقصاد : جمع قاصد . وعفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف ــ ٧ ــ سكب الماء : صبه ، الميزاب، ويقال له مئزاب ومرزاب ومزراب : ما يسيل منه الماء من مكان عال ، قالوا : ومنه ميزاب الكعبة : أى مصب ماء المطر من فوقها ، وهو المراد هنا :افاض: افرغ ــ ٨ ــ زمزم : بئر عند الكعبة ، والكوثر : نهر فى الجنة ، والكثير من الماء ، والمعسول : الحلو ــ ٩ ــ ابليس : علم جنسى للشيطان ، والرجيم : هو المطرود ، والملعون ، والمرجوم بالحجارة . ويصطلى نيرانا : يحترق بها . والشانىء : المبغض . والجمرات : الحصيات ، واحدتها جمرة .

يُحيِّيكَ (طَه) فى مضاجع طُهره ... ويعلم ما عالجتَ من عقبات(١)

ويُثنى عليك (الراشدون) بصالحٍ ... ورُبَّ ثناء من لسان رُفات(٢)

لك الدينُ يارب الحَجيج ، جمعتَهم ... لبيتٍ طَهورِ السَّاحِ والعَرَصات(٣)

أرى الناسَ أصنافاً ، ومن كل بقعةٍ ... إليك انتهوْا من غُربةٍ وشتات(٤)

تساوَوْا ، فلا الأنسابُ فيها تفاوتٌ ... لديك ، ولا الأقدارُ مختلفات

عَنَتْ لك فى التُّرْب المقدَّسِ جبهةٌ ... يَدِينُ لها العاتى من الجبهات(٥)

مُنَوَّرَةٌ كالبدر ، شَمَّاء كالسُّها ... وتُخفَض فى حقٍّ ، وعند صلاة(٦)

ويارب ، لو سخَّرتَ ناقةَ (صالحٍ) ... لعبدك ؛ ما كانت من السُّليسات(٧)

ويارب ، هل سيارة أو مطارةٌ ... فيدنو بعيدُ البيدِ والفَلَوات ؟(٨)

ويارب ، هل تُغنى عن العبد حَجَّةٌ ... وفى العمر ما فيه من الهفوات ؟(٩)

---

١ ـ يحييك : من حياه اذا قال له : حياك الله ، اى اطال عمرك . وطه : اسم النبى عليه الصلاة والسلام . ومضاجع : جمع مضطجع ، وهو مكان الاضطجاع . العقبات واحدتها عقبة : وهى الطريق الصعب فى اعلى الجبل والمراد هنا صعاب الامور ـ ٢ ـ يثنى عليك الراشدون : يذكرونك بخير ، والراشدون : الخلفاء الاربعة بعد النبى ، وهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى . والرفات : ما بلى من جسم الانسان بعد موته ـ ٣ ـ الحجيج : جمع حاج وهم الحجاج . والساح : جمع ساحة ، وهى ساحة الدار . والعرصات : جمع عرصة وهى البقعة من بين الدور ليس فيها بناء

٤ ـ الأصناف : الانواع . والغربة : الاغتراب . والشتات : التفرق .

٥ ـ عنت لك : خضعت وذلت . والترب : التراب . ويدين لها : يطيعها . والعاتى من الجبهات : أى الجبهة العاتية التى تجاوزت الحد فى الاستكبار والجبروت والخطاب لله تعالى . يريد ان جبهة الممدوح عنت لله ، وهى التى اطاعها العتاة المتكبرون ـ ٦ ـ منورة : صفة للجبهة فى البيت السابق . وشماء : مرتفعة ، صفة للجبهة أيضا . والسها : كوكب من بنات نعش الصغرى . وتخفض : من الخفض ضد الرفع ـ ٧ ـ سخرت : من التسخير ، وهو تذليل الدابة وركوبها بغير اجرة . والسلسات : جمع سلسلة ، وهى المنقادة

٨ ـ السيارة : صيغة مبالغة من السير ، جعله المتادبون اسما (للاتومبيل) . المطارة : سمى بها المركبة التى تطير فى الجو بالوسائل الصناعية . يدنو : يقرب . والبيد ، والفلوات : جمع بيداء ، وفلاة .

٩ ـ هل تغنى عن العبد حجة : اى هل تنفعه حجة فى مهم امره عند الله . والهفوات : الزلات .

وتشهدُ ما آذيتُ نفسًا ، ولم أضِرْ ولم أبْغِ في جَهري ، ولا خطراتي(١)
ولا غلبتني شِقوةٌ أو سعادةٌ على حكمةٍ آتيتَني وأناةِ(٢)
ولا جال إلا الخيرُ بين سرائري لدى سُدةٍ خيريّةِ الرغباتِ(٣)
ولا بتُّ إلا كابن مريم ، مشفقًا على حُسّدي ، مستغفراً لعداتي(٤)
ولا حُمِّلَتْ نفسٌ هوىً لبلادها كنفسيَ ، في فِعلي ، وفي نفثاتي(٥)
وإني — ولا مَنٌّ عليك بطاعة — أُجِلُّ ، وأُغلي في الفروض زكاتي(٦)
أُبلغُ فيها وهي عدل ورحمة ويتركها النُّسّاك في الخلوات(٧)
وأنت وليّ العفو ، فامحُ بناصعٍ من الصفح ما سوّدتُ من صفحاتي(٨)
وَمَنْ تضحكِ الدنيا إليه فيغترر يمتْ كقتيل الغيد بالبسمات(٩)

* * *

وركب كإقبالِ الزمان ، مُحجّل كريمِ الحواشي ، كابرِ الخطوات(١٠)

١ — وتشهد أنت يارب ما آذيت نفسا : اى لم اصل اليها بأذى ، ولم اضر : لم افعل ما يضر ، ولم أبغ : لم ارتكب البغي . والجهر : العلانيــة . والخطرات : واحدتها خطرة ، وهى مايلوح للانسان فى فكره — ٢ — الشقوة : ضد السعادة ، والحكمة العــدل ، والعدل ، والحلم ، وقيل : ما يمنع الجهل وقيل : هى كل كلام وافق الحــق ، وقيل : هى وضع الشيء فى موضــعه وصواب الامر وســـداده . والأناة : الحلم — ٣ جال : طاف غير مستقر . والسرائر : جمع سريرة ، وهى ما أسره الانسان من أمره . والسدة : البــاب

٤ — ابن مريم : عيسى عليه السلام . ومشفقا على حسدى : حريصا على صلاحهم . والحسد : جمع حاسد . مستغفرا لعداتى : طالبا لهم المغفرة . والعداة : جمع عدو — ٥ — الهوى : الحب . والنفثات : جمع نفثة ، تطلــق عــلى الشعر مجازا ، فيقال : ما أحسن نفثات فلان ، اى ما احسن شــعره .

٦ — المن : الامتنان بتعداد الصنائع ، واجل زكاتى : اعظمها ، واغليهــا : اجعلها غالية ، والفروض : ما فرضه لله من العبــادات الخمس ، والزكاة احد هذه الفروض — ٧ — ابالغ فيها : من بالغ فى الأمر : اجتهد فيه ولــم يقصر ، والنساك : جمع ناسك ، وهو العابد المتزهد . فى الخلوات : متعلق بالنساك — ٨ — ولي العفو : اى متوليه وصاحبه . والعفو : ترك العقــوبة والاعراض عن المؤاخذة . امح : أزل . الناصع : الخــالص الصــافى . والصفح : ترك الشيء والاعراض عنه — ٩ — يغتر : يخدع بالشيء ويظن بــه الامن فلا يتحفظ ، والغيد : جمــع غيداء ، وهى المرأة الطويلة العنــق ، والتى تنثنى لينا ، والتى لطفت بشرتها وكمل حسنها . والبسمات : واحدتها بسمة ، وهى الضحكة من غير صوت — ١٠ — المحجل من الخيل : ما فى =

يسيرُ بأرضٍ أخرَجتْ خيرَ أُمّةٍ ... وتحت سماء الوحي والسورات(١)

يُفيض عليها اليُمْنَ في غدواته ... ويُضفِي عليها الأمنَ في الرّوحات(٢)

• • •

إذا زرتَ — يا مولايَ — قبرَ محمدٍ ... وقبّلتَ مثوَى الأعظمِ العَطِراتِ(٣)

وفاضت مع الدمعِ العيونُ مهابةً ... لأحمدَ بين السّتر والحُجرات(٤)

وأشرق نورٌ تحت كلّ ثَنِيّةٍ ... وضاع أريجٌ تحت كل حَصاةِ(٥)

لمُظهرِ دينِ الله فوق تَنُوفَةٍ ... وبانى صروحِ المجدِ فوق فلاة(٦)

فقل لرسولِ الله : ياخيرَ مُرسَلٍ ... أبثُّك ماتدرى من الحسرات(٧)

شعوبُك في شرقِ البلادِ وغربِها ... كأصحابِ كهفٍ في عميقِ سُبات (٨)

بأيْمانهم نوران : ذكرٌ ، وسُنّةٌ ... فما بالُهم في حالِكِ الظلمات ؟(٩)

= قوائمه بياض . والمعنى ركب مطاياه محجلة ، او هو محجل ، ويكون المراد مشرق مضىء على سبيل المجاز ، كقولهم : يوم اغر محجل والحواشى : الجوانب والنواحى . والكابر : رفيع الشـان .

١ — يسير بارض : يريـد أرض الحجاز ، ويريد بخير امة العرب خاصة والمسلمين عامة . والوحى : أصله كل ما ألقيته الى غيرك ، ثم غلب عـلى مايلقى للانبياء من عند الله . والسورات : هى سورات القرآن : جمع سورة

٢ — يفيض : يسيل . واليمن : الخير والبركة ، والغدوات : جمـع غـدوة ، وهى المرة من الغدو . ويضفى عليها الأمن : يسبغه عليها . والروحـات : جمع روحة ، وهى المرة من الـرواح ، والغدو والرواح على اطلاقهمـا : الذهاب والمجىء فى اى وقت . وضمير « عليها » للارض فى البيت السابق

٣ — اذا زرت يا مولاى : الخطاب للخديو . والمثوى : المقام . والاعظم : جمع عظم . والعطرة : المتطيبات بالعطر — ٤ — فاضت : سال ماؤها . والمهابة الخوف والتوقير . واحمـد : اسم النبى أيضا . الستر : ما يستـر به . والحجرات : جمع حجرة ، وهى البيت الصغير فى الدار — ٥ — الثنية : طريق العقبة . وضاع : فاح . والاريـج : الرائحة الطيبة — ٦ — مظهر دين الله : معلنه والجاهر به — والتنوفة : المفازة وهى الارض الواسعة البعيدة الاطراف والصروح : جمع صرح ، وهو القصر ، وكل بناء عـال . والفـلاة : اى الصحراء القفر الواسعة — ٧ — ابثك : أطلعك . وما تدرى : ما تعـلم . والحسرات : جمع حسرة . وهى اشد التلهف على الفائت — ٨ — شعوبك : جمع شعب ، وهو القبيلة العظيمة من الناس . والكهف : البيت الواسع المنقور فى الجبل . والعميق : البعيد الغور . والسبات : النوم

٩ — ايمانهم : جمع يمين ، وهى الجهة المضادة لليسار ، والجارحة =

وذلك ماضي مَجدِهم وفَخارِهم فما ضرّهم لو يعملون لآتى ؟(١)
وهذا زمانٌ ؛ أرضُه ، وسماؤه مجالٌ لمِقدامٍ كبيرِ حياة(٢)
مشى فيه قومٌ فى السماء ، وأنشئوا بوارجَ فى الأبراجِ ممتنعات(٣)
فقل : ربِّ وَفِّق للعظائم أمتى وَزَيِّنْ لها الأفعالَ والعزمات(٤)

مصر تجدد نفسها بنسائها المتجددات *

قُم حىِّ هذى النَّيِّراتِ حَىِّ الحسانَ الخَيِّرات
وأخفض جبينَك هَيبةً للخُرَّد المتخفِّـــــرات(٥)
زيْنِ المقاصِر والحِجا لِ ، وزيْنِ محرابِ الصلاة(٦)
هذا مقامُ الأمها تِ ، فهل قدرت الأمهات؟

= ايضا ، وهى المرادة هنا . والمعنى معهم نوران .. الخ . والذكر : القرآن والسنة : الشريعة ، وقد تطلق عنــد الفقهــاء عــلى جملة احاديث النبى صلى الله عليه وسلم . والبال : الحال والشأن : اى ماذا غير حالهــم حتى صاروا فى الظلمات الحالكة ؟ والحالك : الشديد السواد . والظلمات : جمع ظلمة ، وهى ذهاب النور .

١ ـ المجد : العز والرفعة . والفخار : المباهاة بالمناقب والمكارم

٢ ـ المجال : مكان الجولان ، وهــو الطوف فى غير استقرار ، المقــدام أصله الكثير الاقدام على العدو ، والمراد هنا الكثير الاقدام على عظائم الامور .

٣ ـ مشى فيه : اى فى هذا الزمان . وانشئوا : احدثوا . وبوارج : جمــع بارجة ، وهى سفينة كبيرة للقتال . والأبراج : جمع برج ، وهو فى السماء بابها ، وقيل منزلة القمر ، وقيل الكوكب العظيم . وممتنعات : محتميات . والمعنى ان قوما بلغوا من العزة فى هذا الزمان ان مشوا فى جو السماء ، يريد طاروا فيه وانشئوا طيارات ترتفــع حتى تكاد تصل الى السماء

٤ ـ وفق للعظائم أمتى : الهمها اياها ، والعظائم : جمع عظيمـــة ، وهى ما عظم من الأمور . وزين لها الافعال : اجعلها زينة عندهــا ، أى غير مشينة والعزمات : جمع عزمة ، وهى الثبات والصبر فيما يعـزم عليه .

* ـ القيت هذه القصيدة فى جمع حافل من السيدات المصريات بمسرح حديقة الازبكية ـ٥ـ الخرد : العذارى ، والمتخفرات : المستحييات .

٦ ـ الزين : ضد الشين . والمقاصر : جمع مقصورة ، وهى أما الدار الواسعة المحصنة ، أو الحجرة من حجر الدار . والحجال : جمع حجل ، وهو الخلخال

لا تَلْغُ فيه ، ولا تقل غيرَ الفواصلِ مُحْكَمات(١)

وإذا خطبتَ فلا تكن خَطْباً على مصرَ الفتاة

اذكرْ لها اليابانَ ، لا أممَ الهوى المتهتّكات

ماذا لَقِيتَ من الحضا رة يا أخيَّ الترّهات(٢)

لم تلقَ غيرَ الرقّ من عُشَرٍ على الشرقِ عات

خُذ بالكتابِ ، وبالحديـ ثِ ، وسيرةِ السلَف الثّقات(٣)

وارجعْ إلى دستورِ الخليـ قةِ ، واتّبعْ نُظُمَ الحياة

هذا رسولُ الله ، لم يُنقصِ حقوقَ المؤمنات

العلمُ كان شريعةً لنسائه المتفقّهـات(٤)

رُضْنَ التجارةَ ، والسيا سةَ ، والشئونَ الأخريات(٥)

ولقد علت ببناتهِ لُجَجِ العلوم الزاخرات

كانت سُكَيْنَةُ تملأُ الدنيـــــا ، وتهزأُ بالرّواة(٦)

روت الحديثَ ، وفسرتْ آيَ الكتاب البيِّنات

وحضارةُ الإسلام تنـ طقُ عن مكان المسلمات

بغدادُ دارُ العالما تِ ، ومنزلُ المتأدّبات(٧)

---

١ ـ لاتلغ : لاتقل باطلا عن غير روية وفكر • والفواصل : جمع فاصلة ، وهي من السجع بمنزلة القافية من الشعر ـ ٢ ـ الترهات : الطرق الصغار تتشعب عن الجادة ، واحدتها : ترهة ،ثم استعيرت للباطل ـ ٣ ـ الثقات : جمع ثقة ، والثقة الموثوق به ، ويوصف به المفرد ، وغير المفرد ، والمذكر، والمؤنث ـ ٤ ـ المتفقهات : من تفقه اى تعلم الفقه وتعاطاه ، والفقه : هو علم الدين ، او من تفقه فى العلم : اذا تعلمه ـ ٥ ـ رضن : من راض الشيء : ذلله وجعله مطيعا ـ ٦ ـ سكينة : هى بنت الحسين بن الامام على وحفيـــــدة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ ٧ ـ بغداد : مقر ملك العباسيين بالعراق : والمتادبات : المتعلمات الأدب •

ودِمشقُ تحتَ أُمَيَّةٍ   أُمُّ الجوارى النابغات(١)
ورياضُ أندلسٍ نَمَيْـ   ـنَ الهاتفاتِ الشاعرات(٢)

* * *

أَدْعُ الرجالَ لينظروا   كيف اتحادُ الغانيات؟
والنفعَ كيف أَخَذْن فى   أسبابه متعاونات ؟
لما رأين نَدَى الرِّجا   لِ تفاخُرًا ، أو حبَّ ذات(٣)
ورأين عندهُمُ الصنا   ئعَ والفنونَ مُضيَّعات
والبِرَّ عند الأغنيا   ءِ من الشئون المهمَلات
أقبلن يَبْنِين المنا   بِرَ للنجاح مُوَفَّقات

* * *

للصالحاتِ عقائلِ الـ   وادى هوًى فى الصالحات(٤)
اللهُ أنبتهنَّ فى   طاعاته خيرَ النبات
فأَتينَ أطيبَ ما أتى   زَهَرُ المناقِب والصِّفات(٥)
لم يكفِ أن أحسنَّ ، حـ   ـتّى زِدْنَ حَضَّ المحصنات ؟(٦)
يمشين فى سوقِ الثوا   بِ ، مساوِماتٍ ، رابحات
يَلبَسْن ذُلَّ السائلا   تِ ، وما ذَكَرن البائسات(٧)

---

١ ـ دمشق : مقر الأمويين فى الشام . والجوارى : جمع جارية ، وهى الفتاة ـ ٢ ـ أندلس : بلاد في غرب أوربا . هى الان مملكة اسبانيـــا أو بعضها ، وكانت قديما مقر ملك اسلامى عظيم ، أول من دخلها ونقل اليها حضارة الاسلام ، وأنشأ بها ذلك الملك ، هو عبد الرحمن الداخل الأمـــوى المسمى صقر قريش . ونمين الهاتفات : من قولهم نمته عشيرته ، أى رفعته بالانتساب اليها ـ ٣ ـ الندى : الجود ـ ٤ ـ الصالحات : ذوات الصلاح من النساء . والعقائل : جمع عقيلة ، وهى الكريمة المخـــدرة . والصـــالحات ـ فى آخر البيت ـ صفة لمحذوف ، أى والأفعال الصالحات ـ ٥ ـ المناقب : المفاخر ـ ٦ ـ الحض : مصدر حضه على الأمر ، اذا حمله عليه

٧ ـ البائسات : الشديدات الحاجة

فوجوهُهُنّ وماؤها ... يِسْترُ على المتجمِّلات(١)
مصرُ تُجدِّد مجدَها ... بنسائها المتجدِّدات
النافرات من الجُمو ... د ، كأنه شَبَحُ المماتِ(٢)
هل بينهنّ جوامدًا ... فرقٌ وبين المُوميات ؟(٣)
لما حضنّ لنا القضـــيّةَ كنّ خير الحاضِنات(٤)
غذَّيْنَها في مهدِها ... بلِبانِهِنّ الطاهرات
وسبقْن فيها المُعْلَمِيـ ... ـنَ إلى الكريهة مُعْلَمات(٥)
يَنْفُثْنَ في الفِتيان من ... رُوح الشجاعة والثَّبات(٦)
يَهْوَيْنَ تقبيل المُهنَّـــد ، أو مُعانقةَ القَناة(٧)
ويَرَيْن حتى في الكرى ... قُبَلَ الرجال مُحرَّمات

خلافة الاسلام *

عادت أغاني العرسِ رَجْعَ نُواحِ ... ونُعيتِ بين معالم الأفراحِ(٨)

---

١ ـ المتجملات : الفقيرات اللاتي لم يظهرن ذل الفقر ـ ٢ ـ الجمود : التيبس ـ٣ـ الموميات : واحـــدتها موميا : وهي يونانية ، معناها حافظ الاجسام ، وتطلق اليوم على الاجسام المحنطة ـ ٤ ـ القضية : هي قضية استقلال وادى النيل .

٥ ـ المعلمون : الفرسان لهم علامة في الحـــرب لبطولتهم ـ٦ـ ينفثن من قولهم : نفث الله الشيء في القلب : القاه . ـ٧ـ المهند : السـيـــف . والقناة : الرمح .

* ـ ما كاد العالم الاسلامي يفرح بانتصار الاتراك على اعـــدائهم في ميدان الحرب والسياســـة ، ذلك النصر الحاسم ، الذى كان حـديث الدنيا ، والذى تم على يد مصـــطفى باشا كمال في ســنة ١٩٢٣ ، حتى أعلن هذا الغاء الخلافة ، ونفى الخليفة من بلاد الاتراك ، فنظم الشاعر هذه القصيدة ، يرثى فيها الخلافة ، وينبه ممالك الاسلام الى اسداء النصـــح للغازى ؛ لعله يبنى ما هدم ، وينصف من ظلم . ـ ٨ ـ الأغاني : جمع اغنية وهي ما يترنم به ويتغنى فيه من شعر ونحوه . والرجع : ما يرد في المكان الخالي على الانسان اذا رفع صـــوته . والمعالم : جمـــع معلم : وهـــو موضـــع الشيء الذى يظن فيـــه وجوده .

كُفِّنتِ فى ليلِ الزفاف بثوبه ... ودُفِنتِ عند تبلُّج الإصباح(١)

شُيِّعتِ من هَلَعٍ بَعَبْرةِ ضاحكٍ ... فى كلِّ ناحيةٍ ، وسكرةِ صاحِ(٢)

ضجَّتْ عليكِ مآذنٌ ، ومنابرٌ ... وبكت عليك ممالكٌ ، ونواحِ

الهندُ والهةٌ ، ومصرُ حزينةٌ ... تبكى عليك بمدمعٍ سَحّاحِ(٣)

والشامُ تسألُ ، والعراقُ ، وفارسٌ ... أمَحَا من الأرضِ الخلافةَ ماحِ ؟

وأتت لك الجُمَعُ الجلائلُ مأتماً ... فقعدن فيه مَقاعدَ الأنواحِ(٤)

يا لَلرِّجالِ لحُرةٍ مَوْءُودةٍ ... قُتلت بغير جريرةٍ وجُناحِ(٥)

إنَّ الَّذين أَسَتْ جراحَكِ حربُهم ... قتلتكِ سلمُهمو بغير جِراحِ(٦)

هتكوا بأيديهم مُلاءةَ فخرِهم ... مَوْشِيَّةً بمواهب الفتاحِ(٧)

نزعوا عن الأعناقِ خيرَ قِلادةٍ ... ونَضَوْا عن الأعطافِ خيرَ وِشاحِ(٨)

حَسَبٌ أتى طولُ الليالى دونَه ... قد طاح بين عشيةٍ وصباحِ(٩)

وعَلاقةٌ فُصِمَت عُرَى أسبابها ... كانت أبرَّ علائقِ الأرواحِ

جَمَعَت على البرِّ الحُضورَ ، وربما ... جمعتْ عليه سرائرَ النُّزّاحِ(١٠)

نظمت صفوفَ المسلمين وخَطْوَهم ... فى كلِّ غُدوةِ جُمعةٍ ورواحِ

---

١ ــ تبلج الاصباح : اشراقه وانارته .

٢ ــ الهلع : الجزع الشديد . والعبرة : الدمعة قبل ان تفيض . وقيل : هى تحلب الدمع . ــ ٣ ــ الوالهة : الحزينة ، او التى ذهب عقلها حزنا . وسحاح : كثير السح ، وهو أن يسيل الماء من اعلى الى أسفل .

٤ ــ الجمع : واحدتها جمعة ، وهى الصلاة المفروضة بهذا الاسم . والانواح : النائحات ــ ٥ ــ الموءودة : التى تدفن حية فى التراب والجناح : الاثم

٦ ــ است جراحك : داوتها . السلم : الصلح ، والسلام ايضا .

٧ ــ يقال : هتك الستر ونحوه : خرقه ، او جذبه فقطعه من موضعه ، اوشق منه جزءا فبدا ماوراءه . وموشية : منقوشة منمنمة ، والفتاح : من اسماء الله تعالى .

٨ ــ نضوا : خلعوا . والاعطاف : جمع عطف ، وهو الجانب من كل شىء والوشاح : شبه قلادة ينسج من جلد عريض ، ويرصع الجوهر . فتشده المراة بين عاتقها وكشحيها ــ ٩ ــ طاح : ذهب ــ ١٠ ــ البر : الصلة ، والرفق . والنزاح : البعيدون ، جمع نازح .

بكت الصلاةُ ، وتلك فتنةُ عابثٍ ... بالشرع ، عِرْبيدِ القضاء ، وَقاح(١)

أفتى خُزَعْبِلَةً ، وقال ضلالةً ... وأتى بكفر فى البلادِ بواح(٢)

إنَّ الذين جرى عليهم فقهُهُ ... خُلقوا لِفقه كتيبة وسلاح

إن حدّثوا نطقوا بخُرْسٍ كتائبٍ ... أو خوطبوا سمِعوا بصُمٍّ رِماح

أستغفرُ الأخلاقَ ، لستُ بجاحدٍ ... من كنتُ أدفعُ دونَه وألاحى(٣)

مالى أطوِّقُهُ الملامَ وطالما ... قلّدتُه المأثورَ من أمداحى ؟

هو ركنُ مملكة ، وحائطُ دُولةٍ ... وقريعُ شهباء ، وكبشُ نِطاح(٤)

أأقولُ مَن أحيا الجماعةَ مُلحِدٌ ... وأقولُ مَن رد الحقوقَ إباحى ؟

الحقُّ أولى من وليِّك حرمةً ... وأحقُّ منك بنصرةٍ وكِفاح

فامدح على الحقِّ الرجالَ ولُمْهُمو ... أو خَلِّ عنك مَواقفَ النصّاح

ومِن الرجالِ إذا انبريتَ لهدمهم ... هرمٌ غليظُ مناكِبِ الصُّفاح(٥)

فإذا قذفتَ الحق فى أجلاده ... ترك الصراعَ مُضعضَعَ الألواح(٦)

أدُّوا إلى الغازى النصيحةَ يَنتصِحْ ... إن الجوادَ يثوبُ بعد جِماح(٧)

إن الغرورَ سقى الرئيسَ بِراحِه ... كيف احتيالُك فى صريع الراح؟

---

١ — العربيد : الشرير ، والكثير العربدة ، وهى سوء الخلق من السكر . والوقاح : ذو الوقاحة ، وهى قلة الحياء .

٢ — الخزعبلة : الفكاهة ، والمزاح ، أما الباطل : فهو الخزعبيل والخزعبل . ويقال : جاء بالكفر بواحا : اى بينا ، وقيل : جهارا .

٣ — ادفع دونه : ارد عنه بالحجة الاحى : من الملاحاة ، وهى الملاعنة .

٤ — القريع : الغالب فى المقارعة ، وهى ان يضرب الابطال بعضهم بعضا . والشهباء : الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح ٥ — المناكب هنا : الجوانب والنواحى . والصفاح : حجارة عريضة رقيقة ٦ — الأجلاد والتجاليد : جسم الانسان وبدنه .

٧ — الغازى : مصطفى كمال ، وهو ايضا المراد بالرئيس فى البيت الثانى .

نقل الشرائعَ ، والعقائدَ ، والقرى ... والناسَ نقلَ كتائبٍ فى الساح(١)

تركَتْه كالشبحِ المؤلَّهِ أُمَّةٌ ... لم تَسْلُ بعدُ عبادةَ الأشباح

هُم أطلقوا يده كقيصرَ فيهمو ... حتى تناول كلَّ غيرِ مباح

غرَّته طاعاتُ الجُموعِ ، ودولةٌ ... وجد السوادُ لها هَوَى المُرتاح

وإذا أخذتَ المجدَ من أُمِّيةٍ ... لم تُعطَ غيرَ سَرابِه اللمَّاح(٢)

منْ قائِلٌ للمسلمين مقالةً ... لم يوحِها غيرَ النصيحة واح ؟

عهدُ الخلافةِ فِىَّ أوّلُ ذائدٍ ... عن حوضِها ببراعة نضَّاح(٣)

حبٌّ لذاتِ اللهِ كان ، ولم يزل ... وهوًى لذاتِ الحقِّ والإصلاح

إنى أنا المصباحُ ، لست بضائعٍ ... حتى أكونَ فراشةَ المصباح(٤)

غزواتُ (أدهم) كُلِّلَت بذوابِلٍ ... وفتوحُ أنورَ فُصِّلت بصفاحِ(٥)

ولَّتْ سيوفُهما ، وبان قناهُما ... وشَبا يَراعى غيرُ ذاتِ بَراح(٦)

لا تَبذلوا بُرَدَ النبى لِعاجزٍ ... عُزُلٍ ، يدافِعُ دونَه بالراح(٧)

بالأمس أوهى المسلمين جراحةً ... واليوم مدّ لهم يَدَ الجرَّاح(٨)

---

١ ــ الساح : جمع ساحة ، والمراد ساحة الحرب ــ٢ــ اللماح : اللماع ــ٣ــ الذائد : الحامى الدافـــــع ، والنضاح : الدافع ايضا ــ٤ــ الفراشة حيوان ذو جناحين يطير ويتهافت على السراج حتى يحترق ــ٥ــ الذوابل : صفة للرماح ، والصفاح : جمـــــع صفح ، وهو عرض السيف • وادهـم ، وانـور : هما القدائـــدان التركيـــان الكبيران . والمراد بالرماح والسيوف هنا الاقلام • ــ ٦ ــ القنا : جمع قناة . والشبا : جمع شباة ، وهى حـد كل شئ • البراح : الزوال ــ٧ــ العاجز العزل : حسين بن على شريف الحجاز ، يريد أنه طامع فى الخلافة ، فالاتراك اذا اصروا على خروجها منهم ، كانوا بذلك قد بذلوها لهذا العاجز ، الذى لا يملك لحمايتها الا يدا خاليـــة . والراح : جمع راحـة ، وهى بطن الكف ــ٨ــ بالامس أوهى •• الخ : الموصـــوف بهذا العمل هو حسين بن على ايضا ، وهو اشارة الى خروجه على المسلمين وموالاته أعداءهم فى الحرب الكبرى .

فلتسمَعُنّ بكل أرضٍ داعيًا   يدعو إلى (الكذّابِ) أو لسَجاح(١)
ولتشهدُنّ بكل أرض فِتنةً   فيها يباعُ الدِّين بيعَ سَماح
يُفتَى على ذهبِ المُعزّ وسيفِه   وهوى النفوس ، وحِقْدِها المِلْحاح(٢)

تكريم *

بأبي وروحي الناعماتِ الغيدا   الباسماتِ عن اليتيمِ نضيدَا(٣)
الرانياتِ بكلِّ أحورَ فاترٍ   يذرُ الخَلِيّ من القلوب عميدا(٤)
الراوياتِ من السُّلافِ محاجرًا   الناهلاتِ سوالفاً وخدودا(٥)
اللاعباتِ على النسيم غدائرًا   الراتعات مع النسيم قُدودا(٦)
أقبلْن في ذهب الأصيلِ ووشْيِه   مِلْءَ الغلائلِ لؤلؤاً وفريدا(٧)

---

١ ـ يريد أن تنحى الاتـــراك عن الخلافة أطمع فيها من لا يصلح لها ، وجعل الدعاة لهؤلاء الطامعين يظهرون بكل مكان ، والمراد بالكذاب : مسيلمة الكذاب • وسجاح : امرأة كانت تدعى النبوة • ـ ٢ ـ المراد بذهبه وسيفه : المال الذى كان يبذل لمن أطاعـــوه ، والعقاب الذى كان يصيب من خالفوه

* ـ فى وزارة سعد زغلول باشـا سنة ١٩٣٤ اطلق سجنـــاء ، كانت المحاكم العسكرية الانجليزية قدادانتهم فى مؤامرة شاع يومئذ انها مبالـــغ فيها ، وقد احتفل شباب البلاد بنجاة اخوانهم ، فرجوا صاحب الديوان ان يشاركهم فى هذا الاحتفال ، فنظم هذه القصيدة ، مشيرا فيها الى أهم ماكان يشغل بال الناس فى ذلك العهد من الحـــوادث ـ٣ـ بأبى وروحى : اى أفتدى بهما . والغيد : جمع غيداء ، وهى الجارية اللينة الأعطاف . واليتيم من كل شيء : مالا نظير له ، والمراد هنا الاسنان ، والنضيد : المنضـــود المتسق • ـ٤ـ الرانيات : اللاتى يدمن النظر بطرف ساكن • والاحور : من الحور ، وهو شدة ســـواد العين فى شدة بياضها . والعميد من القلوب : ماهده العشق ـ ٥ ـ الســـلاف : أطيب الخمر ، ويراد به هنـا سحر العيـــون . والناهـــل : الريان . والسوالف : صفحات الأعناق ـ ٦ ـ الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة من الشعر . والقدود : جمع قد ، وهو القامة ـ ٧ ـ الوشى : النمنمة والتحسين . والغلائل : الأثـــواب الرقيقة ، والفريد : الدر المنظـــوم ،

يَحدِجْنَ بالحدَقِ الحواسِدِ دُمْيَةً ... كظِباء وجْرةَ مُقْلَتَيْنِ وجيدا(١)

حَوَتِ الجمالَ فلو ذهبتَ تَزيدُها ... فى الوهمِ حُسنًا ما استطعتَ مزيدا

لو مرَّ بالولدان طَيْفُ جمالها ... فى الخلدِ خرّوا رُكّعًا وسُجودا

أشهى من العودِ المرنَّم منطقًا ... وألذُّ من أوتارِه تغريدا

لو كنتَ سعدًا مُطْلِقَ السجناء ، لم ... تُطْلِق لساحِرِ طرْفِها مصفودا(٢)

ما قصَّر الرؤساءُ عنه ، سعى له ... سعدٌ ، فكان مُوفّقا ورشيدا

يامصرُ ، أشبالُ العَرينِ ترعرعت ... ومشتْ إليك مِن السجونِ أُسودا

قاضى السياسةِ نَالَهمْ بعقابِه ... خَشِنَ الحكومةِ فى الشباب عَتيدا(٣)

أَتَتِ الحوادثُ دون عقدِ قضائه ... فانهار بينُةً ، ودُكَّ شهيدا(٤)

تقضى السياسةُ غيرَ مالكةٍ لِما ... حكمتْ به نقضًا ولا توكيدا

قالوا : أتنْظمُ للشباب تحيةً ... تبْقَى على جيدِ الزمان قصيدا ؟

قلتُ : الشبابُ أتمُّ عِقدَ مآثِرٍ ... من أن أزيدهمو الثناء عقودا

قَبِلَتْ جُهُودَهُم البلادُ ، وقبّلتْ ... تاجًا على هاماتِهِمْ معقودا(٥)

خرجوا ، فما مدّوا حناجِرَهم ، ولا ... مَنّوا على أوطانهم مجهودا

---

١ — حدجه بنظره : حدد النظر اليه . والحدق : الاحداق . والدمية الصورة المنقشة المزينة فيها حمرة كالدم ، ويضرب بها المثل فى الحسن ، ويراد بها هنا الحسناء . ووجرة : موضع بين مكة والبصرة ، تسكنه الظباء والوحوش ، والمراد فى هذا البيت ان اولئك الجميلات على ما اسبغ الله عليهن من نعمة الجمال ؛ وقفن ينظرن الى هذه الحسناء التى ابتدأ الشاعر فى وصفها ، يحسدنها على ما أوتيت من سحر ، ويدلك هذا الحسد على أن حظها من الحسن عظيم — ٢ — المصفود : الموثق المغلل ، وهنا يتخلص الشاعر من هذا الغزل الرقيق ، ليسوق اليك ما اراد من من تعزية السجناء عما نالهم من ظلم ، وتهنئتهم بما اتيح لهم من نجاة ، ثم شكر المحسنين الى هؤلاء السجناء — ٣ — خشن الحكومة : اى قاسيا . والعتيد الجسيم ، وهو هنا الجسيم من الظلم — ٤ — الشهيد : الشاهد . وانهيار البينة : ثبوت بطلانها . وسقوط الشهود : ثبوت تزويرهم .

٥ — الهامات : الرءوس .

خفِىَ الأساسُ عن العيون تواضعًا ... من بعد ما رفع البناء مَشيدا
ما كان أفطنَهم لكل خديعةٍ ... ولكلِّ شرٍّ بالبلاد أُريدا
لما بنى اللهُ القضيةَ منهمُ ... قامت على الحقِّ المبينِ عَمُودا(١)
جادوا بأيام الشبابِ ، وأوشكوا ... يتجاوزون إلى الحياةِ الجودا
طلبوا الجلاء على الجهادِ مَثُوبةً ... لم يطلبوا أجْرَ الجهادِ زهيدا(٢)
واللهِ : ما دون الجلاء ويومِه ... يومٌ تُسميهِ الكِنانةُ عيدا
وجَدَ السجينُ يدًا تُحَطِّمُ قيْدَهُ ... من ذا يُحطِّمُ للبلاد قيودا ؟
وبحت من (التصريح) أن قيودها ... قد صِرْنَ من ذهبٍ ، وكُنَّ حديدا(٣)
أوَ ما ترَوْن على (المنابع) عُدَّةً ... لا تنجلى، وعلى الضفاف عديدا ؟(٤)
يا فِتيةَ النيل السعيدِ : خذوا المدى ... واستأنِفوا نَفَسَ الجهادِ مَديدا
وتنكَّبوا العدوان ، واجتنبوا الأذى ... وقفوا بمصرَ الموقِفَ المحمودا(٥)
الأرضُ أليقُ منزلًا بجماعة ... يبغون أسبابَ السماء قُعودا
أنتم غدًا أهلُ الأمور ، وإنما ... كنّا عليكم فى الأمور وُفُودا
فابنوا على أُسُس الزمان وروحِه ... رُكنَ الحضارة باذخاً وشديدًا
الهدمُ أجملُ من بناية مُصْلح ... يَبْنى على الأُسُسِ العتاقِ جديدا
وجْهُ الكنانةِ ليس يُغْضِبُ ربَّكم ... أن تجعلوه كوجهه معبودا
ولُّوا إليه فى الدُّروس وُجُوهَكم ... وإذا فرغتمُ ، واعبدوه هُجودا(٦)
إنَّ الذى قسمَ البلادَ حباكمُ ... بلدًا كأوطان النجومِ مَجيدا(٧)

---

١ ـ القضية : السياسة المصرية . ٢ ـ يريد بالجلاء جلاء الجنود الانجليزية المحتلة عن أرض البلاد ـ٣ـ تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ .
٤ ـ منابع النيل .
٥ ـ تنكبوا العدوان : أى تجنبوه ـ٦ـ الهجود : جمع هاجد ، وهو النائم أو المصلى بالليل ـ٧ـ حباه : أعطاه . وأوطان النجوم : كناية عن السماء .

قد كان ـ والدنيا لُحُودٌ كُلُّها ـ للعبقريةِ والفنونِ مُهودا

* * *

مجدُ الأُمور زوالُه فى زَلَّةٍ لا تَرْجُ لِاسْمكَ بالأُمور خلودا

الفردُ بالشُّورى ، وباسم نَديِّها لُفِظَ . (الخليفةُ) فى الظلام شريدا(١)

خلعتهُ دون المسلمينَ عصابةٌ لم يجعلوا للمسلمين وجودا

يقضون ذلك عن سوادٍ غافلٍ خُلِق السوادُ مُضلَّلا ومَسودا(٢)

جعلوا مشيئَتهُ الغبيَّةَ سُلَّمًا نحو الأُمور لمَن أراد صعودا

إنى نظرتُ إلى الشعوب فلم أجدْ كالجهل داءً للشعوب مُبيدا

الجهلُ لا يلِدُ الحياةَ مواتُهُ إلَّا كما تَلِدُ الرِّمامُ الدودا(٣)

لم يخلُ من صُوَرِ الحياةِ ، وإنما أخطاهُ عُنصرُها ، فمات وليدا(٤)

وإذا سبى الفردُ المُسلَّطُ مجلساً ألفيتَ أحرارَ الرجال عبيدا

ورأيت فى صدر النَّدىِّ مُنَوَّماً فى عُصْبةٍ يتحرَّكون رُقودا

الحقُّ سهمٌ ، لاترِشْهُ بباطلٍ ما كان سهمُ المُبْطِلين سديدا(٥)

والعبْ بغير سلاحه ، فلَربَّما قتلَ الرجالَ سلاحُهُ مردودا

---

١ ـ الندى : المجمع . ولفظه : رمى به وطرحه ـ٢ـ سواد الناس : عامتهم .

٣ ـ موات الجهل : الخراب الذى يحدث بسببه . والرمام : جمع رمة ، وهى العظام البالية ، والمراد بها هنا الجيفة ؛ ومعنى البيت أن الجاهل ميت ، والميت بطبعه لا يلد ولا يأتى بعظيم ، فان ولد فكالجيفة المستحيلة لاينشأ منها الا الدود ـ٤ـ الاشارة الى الدود ، فى البيت السابق ـ٥ـ راش السهم يريشه : ألصق عليه الريش حتى يكون أكثر نفاذا

على سفح الأهرام(١)

قِف ناجِ أهرامَ الجلالِ ، ونادِ : هل من بُناتِكَ مجلسٌ أو نادِ ؟(٢)

نشكو ، ونَفزعُ فيه بين عيونهم إن الأبوّةَ مفزعُ الأولادِ(٣)

ونبثّهم عبثَ الهوى بتُراثهم من كل مُلقٍ للهوى بقِيادِ(٤)

ونُبينُ كيف تفرّقَ الإخوانُ فى وقتِ البلاء تفرُّقَ الأضدادِ(٥)

إن المغالِطَ فى الحقيقةِ نفسَه باغٍ على النفسِ الضعيفةِ عادِ(٦)

* * *

قل للأعاجيبِ الثلاثِ مقالةً من هاتفٍ بمكانهن وشادِ(٧)

لله أنتِ ، فما رأيتُ على الصفا هذا الجلالَ ولا على الأوتادِ(٨)

لكِ كالمعابدِ روعةٌ قدسيّةٌ وعليكِ روحانيّةُ العبّادِ(٩)

أُسّستِ من أحلامِهم بقواعد ورُفعتِ من أخلاقهم بعمادِ(١٠)

---

١ — امين افندى الريحاني اديب من ادباء سوريا ، وفد الى مصر فاقام له بعض الادباء حفلا على سفح الاهرام ، شاطرهم اياه صاحب الديوان . —٢— ناج : من المناجاة ، وهي المسارة . والجلال : التناهي فى عظم القدر . والبناة : جمع بان . المجلس : مكان الجلوس . والنادي اسم للمجلس حين يجتمع فيه القوم ليتحدثوا ، فاذا تفرقوا فليس ناديا —٣— نشكو : نعلن الشكوى . ونفزع نستغيث : وضمير (فيه) للمجلس او النادي . بين عيونهم : اي امامهم . والابوة : كون الرجل ابا . —٤— نبثهم: نكاشفهم • والعبث : اللعب • والهوى : ارادة النفس ، وهو غالب في الشر • القياد في الاصل حبل يقاد به . —٥— تبين : مضارع ابان الشيء : اوضحه . والبلاء : الغم يبلي الجسم — ٦ — المغالط نفسه • موقعها في الغلط . باغ : ظالم . عاد : ظالم ايضا . —٧— الاعاجيب الثلاث : يريد بها الاهرام الثلاثة ، وانما كانت اعاجيب لان الانسان يستعظمها فتعتريه روعة عند ذلك ، وهذا هو العجب ، والمفرد اعجوبة ، وهي اسم لما يكون العجب منه . هاتف : مادح، من هتف به : مدحه • شاد من شدا الشعر : غنى به وترنم . ٨ — الصفا : جمع صفاة ، وهي الحجر الصلد الضخم الذى لا ينبت . الأوتاد : الجبال .

٩ — الروعة : الفزعة ، والمسحة من الجمال . والعبادة : جمع عابد —١٠— الاحلام : العقول ، جمع حلم . وعماد الشيء : ما يسند به . والخطاب فى هذا البيت والبيتين قبله للاعاجيب الثلاث .

تلك الرمالُ بجانبيكِ بقيةٌ   من نعمةٍ ، وسماحةٍ ، ورماد(١)
إن نحن أكرمنا النزيلَ حيالَها   فالضيفُ عندك موضعُ الإرفاد(٢)
هذا (الأمين) بحائطيكِ مطوّفًا   متقدّمَ الحُجّاجِ والوُفّاد ؟(٣)
إن يعدُه منكِ الخلودُ ، فشعرُه   باقٍ ، وليس بيانُه لنفاد(٤)
إيه (أمينُ) ، لمستَ كلَّ مُحجّبٍ   في الحسن من أثر العقول وبادي(٥)
قم قبّل الأحجارَ والأيدي التي   أخذَتْ لها عهدًا من الآباد(٦)
وخُذ النبوغَ عن الكِنانة ، إنها   مَهْدُ الشموسِ ، ومَسْقَطُ الآراد(٧)
أمُّ القِرى — إن لم تكن أمَّ القُرى —   ومثابةُ الأعيان والأفراد(٨)
ما زال يغشى الشرقَ من لمحاتها   في كل مُظلِمةٍ شُعاعٌ هادي(٩)

* * *

١ — السماحة : موافقة الرجل على مايراد منه ، وهي الجود والعطاء أيضا . والرماد : ما يبقى من المواد المحترقة بعد احتراقها ، وقد كنى به عن الكرم كما يقولون : فلان كثير الرماد ، اى كريم ، لانه يكثر من ايقاد النار ، لكثرة صنع الطعام للاكلين من الاضياف —٢— النزيل : الضيف .. وحيالها : قبالتها . الارفاد ، الاعطاء . ٣ — مطوفا : دائرا حولهما . والحجاج : القصاد . والوفاد : جمع وافد ، من وفد اذاقدم — ٤ — ان يعده : اى ان يجاوزه ويفته . والخلود الدوام والبقاء ، والمراد خلود الذكر لاخلود الشخص . والنفاد : الذهاب والانقطاع —٥— ايه : اسم فعل ، معناه زدني من حديثك . المحجب : المستور .. البادي : الظاهر —٦— الاباد : جمع ابد ، وهو الدهر —٧— النبوغ : الاجادة . والكنانة : مصر . والاراد جمع راد ، والمراد الضحى ، وهو وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء في الخمس الأول من النهار . ٨ — القرى : الضيافة ، او ماقرى به الضيف : والقرى : جمع قرية . والمثابة : مجتمع القوم بعد تفرقهم . الأعيان : جمع عين ، وهو كبير القوم وشريفهم . أفراد الناس : كبارهم . ولا يقال للانسان الواحد فرد : بل يقال له فريد —٩— يغشى الشرق : يغطيه . واللمحات : جمع لمحة ، وهي النظرة الخفيفة بالعجلة ، والشعاع : ماينتشر من ضوء الشمس .

رفعوا لكَ الريحان كأسمك طيِّبًا إن العَمارَ تحيةُ الأمجاد(١)
وتخيّروا للمِهرجان مكانَه وجعلتُ موضعَ الاحتفاء فؤادى(٢)
سلفَ الزمان على المودّة بيننا سنواتُ صحوٍ بل سناتُ رقاد(٣)
وإذا جمعتَ الطيباتِ رددتَها لعتيقِ خمرٍ أو قديم وداد(٤)
يا نجمَ سوريًا ـ ولست بأوّلٍ ـ ماذا نَمَتْ من نيِّرٍ وقَّاد ؟(٥)
اُطْلُعْ على يَمَنٍ بيُمنك فى غدٍ وتجلَّ بعد غدٍ على بغداد
وأجِلْ خيالَكَ فى طُلولِ ممالِكٍ مما تجوبُ، وفى رُسُومِ بلاد(٦)
وسل القبورَ ـ ولاأقول سل القُرى ـ هل من ربيعة حاضرٌ أو بادى(٧)
ستري الديار من اختلافِ أمورها نَطَقَ البعيرُ بها، وعَيَّ الحادى(٨)

* * *

قضَّيتَ أيامَ الشباب بعالمٍ ليس السنين قشيبةَ الأبراد(٩)
ولدَ البدائعَ والروائعَ كلها وعَلَتْهُ أن يَلِدَ البيانَ عوادى

---

١ ـ الريحان : نبات طيب الرائحة . والأمجاد : جمع مجيد ، وهو الكريم الشريف ٢ ـ المهرجان : هو عيد الفرس وكان يوافق اول الشتاء ، ثم صار في الخريف ، والمراد به هنا الاحتفال ، والاحتفاء : المبالغة في الاكرام واظهار السرور والفرح ـ ٣ ـ سلف : مضى . والسنوات : جمع سنه . والسنات : جمع سنه و هي النعاس والرقاد : النوم ـ ٤ ـ رددتها : اي ارجعت نسبتها . والعتيق : القديم ـ ٥ ـ ولست بأول : احتراس من الاطلاق ، اى وان كنت نجم سوريا فلست الاول من نجومها ، الاول سواك ، أو لست أول نجم لها ، فقد سبقك أوائل آخرون . وماذا نمت : أى كم ذا رفعت بالانتساب اليها ـ ٦ ـ الطلول : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الدار . والرسوم : جمع رسم ، وهو الاثر ـ ٧ ـ ربيعة : قبيلة من العرب . والحاضر : من ينزل الحضر والبادى : من يذهب الى البادية ـ ٨ ـ عى الحادى : لم يستطع البيان والافصاح ـ ٩ ـ قضيت : خطاب للريحاني ، والعالم الذى قضى به أيام شبابه هو أمريكا التى قام بها . قشيبة الابراد : جديدتها . والابراد : جمع برد .

لم يخترع شيطانَ حسان ، ولم ... تُخرج مصانعُه لسانَ زياد(١)
اللهُ كرّم بالبيان عصابةً ... فى العالمينَ عزيزةَ الميلاد
(هوميرُ) أحدثُ من قرونٍ بعدَه ... شعرًا ، وإن لم تخلُ من آحاد(٢)
والشعرُ فى حيث النفوسُ تَلَذُّه ... لا فى الجديدِ ، ولا القديمِ العادى
حقُّ العشيرة فى نبوغِك أوّلٌ ... فانظر ، لعلك بالعشيرة بادى(٣)
لم يَكفِهم شطرُ النبوغِ ، فزدهُمُ ... إن كنت بالشطرين غيرَ جواد
أو دَعْ لسانَك واللغاتِ ، فربّما ... غنّى الأصيلُ بمنطقِ الأجداد
إن الذى ملأ اللغاتِ محاسنًا ... جعلَ الجمالَ وسرَّه فى الضاد(٤)

المطرية تتكلم*

يا ناشرَ العلم بهذى البلادْ ... وُفِّقتَ ، نشرُ العلم مثلُ الجهاد
بانىَ صَرْحِ المجدِ ، أنتَ الذى ... تبنى بيوتَ العلم فى كل ناد

١ــ لم يخترع .. الخ : يريد انه عالم لم يرتق فى اختراعه الى حيث يبتدع البلاغة اللسانية التى كرم الله بها العرب . وحسان : الشاعر الصحابى المعروف . وزياد : هو زياد بن ابى سفيان ، كان من اخطب العرب

٢ ــ هومير : شاعر يونانى قديم ، كان شعره قصصا يضمنه وصف الابطال والاشادة بذكرهم ، وهو صاحب الالياذة ، يريد ان شعره ــ على انه قديم ــ اجود من شعر الذين جاءوا بعده ، وان كانت ايامهم لم تخل من شعراء مجيدين هم آحاد فى عددهم ــ٣ــ حق العشيرة .. الخ: فى هذا البيت والابيات بعده امور اخذ بها الريحانى فى رفق ولين ، فهو يقول له ان كانت معانيك فى كتابتك جيدة ، فالفاظك فيها رديئة ، لانك اهملت جانب اللغة العربية ، وهى الشطر الثانى من شطرى النبوغ ، وايضا يقتضى الوفاء لعشيرتك وقومك ان تحسن لغتهم حتى تغنى بها ــ٤ــ الضاد : اللغة العربية ، وانما سميت كذلك لان الضاد لا توجد فى لغة سواها ، ولا يقوى اهل اللغات الاخرى على النطق بها . (*) « احس صاحب الديوان ايام كان يسكن (المطرية) بحاجة هذا البلد الى مدرسة تهذب ابناءه ، فناشد وزير المعارف يومئذ (سعد زغلول باشا) على لسان المطرية ان يقوم بانشاء هذا الاثر الجليل » .

بالعلم ساد الناسُ فى عصرهم   واخترقوا السبعَ الطِّباقَ الشِّداد(١)

أيطلب المجدَ ويبغى العلا   قومٌ لسوقِ العلمِ فيهم كساد ؟

نَقّادُ أعمالك مُغْلٍ لها   إذا غلا الدرُّ غلا الانتقاد(٢)

ما أصعبَ الفعلَ لمن رامه   وأسهلَ القولَ على من أراد ؟

سمعًا لشكوايَ ، فإن لم تجد   منك قبولًا ؛ فالشكاوى تُعاد(٣)

عدلًا على ما كان من فضلكم   فالفضلُ إن وُزِّع بالعدلِ زاد(٤)

أسمعُ أحيانًا ، وحينًا أرى   مدرسةً فى كلِّ حيٍّ تُشاد

قَدَّمْتَ قبلى مدنًا أو قُرى   كنتُ أنا السيفَ ، وكنَّ النِجاد(٥)

أنا التى كنت سريرًا لمن   ساد (كإِدْوَرْدَ) زمانًا وشاد(٦)

قد وحَّد الخالقَ فى هيكلٍ   من قبل سقراطَ ومن قبل عاد(٧)

وهذب الهندُ دياناتِهم   بكل خافٍ من رموزى وباد(٨)

ومن تلاميذى موسى الذى   أُوحِىَ مِنْ بعدُ إليه فهاد(٩)

١ــ ساد الناس : مجدوا وجلوا . والسبع الطباق : السموات السبع ، وهى طباق اى مطابقة بعضها بعضا ــ٢ــ النقاد : مبالغة من النقد ، وهو فى الكلام : اظهار ما به من العيوب . وفى غير الكلام : النظـر الى الشىء لمعرفة جيده من رديئه . ومغل لها : من اغلى الشىء : جعله غاليا ــ٣ــ سمعا لشكواى : أى اسمعها سمعا ــ٤ــ عدلا : أى اطلب عدلا زائـدا على ما حصل من فضلكم ــ٥ــ النجـاد : حمائل السيف ــ٦ــ السرير : تخت الملك . وساد : صار سيد قومـه متسلطا عليهم . وادورد : ملك الانجليز قبل الملك جورج القائم الآن . وشاد : رفع البناء ــ٧ــ الهيكل : بيت الاصنام وسقراط : حكيم من حكماء اليونان . وعاد : اسم رجـل من العرب الاولى سميت به قومه ، وهم الذين أرسـل اليهم هود نبى الله ــ٨ــ هذب الشىء : خلصه مما يشينه وطهره من العيوب . والخافى : المستتر . والبادى : الظاهر ــ٩ــ موسى : النبى عليه السـلام . واوحى اليه : انزل الله عليه الوحى . وهاد : رجع الى الحق .

وأرضعَ الحكمةَ عيسى الهدى   أيامَ تُربِي مهدُه والوساد(١)
مدرستى كانت حياضَ النُّهى   قرارةَ العرفان ، دارَ الرشاد(٢)
مشايخُ اليونان يأتونها   يُلقون فى العلم إليها القِياد
كنا نُسميهم بصِبيانه   وصِبيتى بالشيب أهلِ السداد(٣)

* * *

ذلك أمسِى ، ما به ريبةٌ   ويومىَ (القبة) ذات العِماد(٤)
أصبحتُ كالفردوس فى ظلها   من مِصرَ للخنكا لِظِلى امتداد
لولا جُلَى زيتونىَ النَّضْرِ ، ما   أقسمَ بالزيتونِ ربُّ العباد(٥)
الواحةُ الزَّهراء ذات الغِنى   تُربى التى ما مثلها فى البلاد(٦)
تُريكَ بالصبح وجُنحِ الدُّجى   بدورَ حسن ، وشموسَ اتقاد

* * *

بَنِىَّ — ياسعدُ — كزُغْبِ القَطا   لا نقَّص اللهُ لهم من عِداد(٧)
إن فاتكَ التسلُ فأكْرِمْ بهم   ورُبَّ نَسلٍ بالندى يُستفاد
أخشى عليهم من أذَى رائحٍ   يجمعهم فى الفجر والعصر غاد(٨)

١ــ الحكمة : صواب الامر ، ووضع الشيء فى موضعه ، والعلم ، والعدل ، والحلم . وعيسى : ابن مريم عليه السلام . والترب : التراب . والمهد : الموضع يهيأ للصبى . والوساد : المتكأ وكل ما يتوسد به من قماش وغيره ، اى ايام ان كان ترابى مهده ووساده ــ٢ــ مدرسة المطرية القديمة : احدى مدارس العلم الكبرى عند المصريين القدماء وكان يقصدها الطلاب من بلاد اليونان وغيرها . القرارة : القاع المستدير يجتمع فيه ماء المطر ــ٣ــ وصبيتى بالشيب : اى وتسمى صبيتى بالشيب ــ٤ــ القبة : ضاحية من ضواحي القاهرة ، بها قصر عظيم بناه الخديو عباس حلمى ، وقد غلب اسمها على هذا القصر . والعماد : الابنية الرفيعة ، تذكر وتؤنث ، مفردها عمادة ــ٥ــ الزيتون : شجر مثمر معروف ، وثمره يسمى زيتونا ايضا ، وتسمى به ضاحية أخرى من ضواحي القاهرة مجاورة للقبة ــ٦ــ الواحة الزهراء : هى واحة عين شمس ، والواحة : واد متسع منخفض فى الصحراء ــ٧ــ الزغب : جمع ازغب ، وهو ما له شعر او ريش صغير . القطا : جمع قطاة ، وهى طائر فى حجم الحمامة ــ٨ــ رائح غاد : يريد قطار البخار الذى يركبه الابناء الى المدارس فى القاهرة .

صفيرهُ يَسلُبنى راحتى ويمنعُ الجفنَ لذيذَ الرقاد(١)
يعقوبُ من ذئب بكى مُشفِقًا فكيفَ أنيابُ الحديد الحِداد؟(٢)
فانظرْ – رعاك اللهُ – فى حاجهم فنظرةٌ منكَ تُنيلُ المراد(٣)
قد بسطوا الكفَّ على أنهم فى كرم الراح كصوْب العِهاد(٤)
إن طُلب (القسط.) فما منهمُ إلا جوادٌ عن أبيه الجواد

الانقلاب العثماني وسقوط السلطان عبد الحميد

سلْ «يَلْدِزًا» ذاتَ القصورِ هل جاءها نبأُ البدور؟(٥)
لو تستطيعُ إجابةً لبكتْك بالدَّمع الغزير
أخنى عليها ما أنا خ على الخَوَرْنَق والسَّدير(٦)
ودها الجزيرةَ بعد إســـماعيل والملكِ الكبير(٧)
ذهب الجميعُ ، فلا القصو رُ تُرى ، ولا أهلُ القصور
فلكٌ يدورُ سعودُه ونحوسُه بيد المدير

١ـ صفيره : اى صفير القطار ـ٢ـ يعقوب : النبى ابو يوسف ، بكى على يوسف حين رجع اليه ابنـــاؤه اخوة يوسف ، فأخبـروه ان الـــذئب أكله ، وقد كان يخاف عليه هذا من قبل ، وقصة ذلك مبســوطة فى كتب التاريخ الدينى ـ٣ـ الحاج : جمـع حاجة . كصوب العهاد : اى كنزول المطر . والعهاد : جمع عهد . والمطر ينزل متعاقبا فيدرك آخــره أوله . ـ٥ـ يلدز ـ فى لغة الترك : اسم نجم، وقد سمى به قصر عظيم فى الأستانة ، كان يسكنه السلطان عبد الحميد أيام ملكه . والمخاطب بقوله (سل . . الخ): هو هذا السلطان ـ٦ـ اخنى عليـــه الدهر : اتى عليه واهلكه . والخورنق : قصر كان فى الحيرة بالعـــراق للملك النعمان الاكبر أحد ملوك بنى المنذر . والسدير : قصر كان بالحيرة أيضـــا للمناذرة ـ٧ـ دهاه الامر : اصـــابه . والجزيرة : هى جزيرة الروضــــة فى النيل شرقى القاهرة ، وكان بها قصر عظيم من قصور الخـــديو اسماعيل ، وهو المراد .

أينَ الأوانسُ في ذُرا ها من ملائكة وحور ؟(١)
المترَعاتُ من النعيـ مِ ، الراوياتُ من السرور(٢)
العاثراتُ من الدلا لِ ، الناهضاتُ من الغرور
الآمراتُ على الولا ةِ ، الناهياتُ على الصدور(٣)
الناعماتُ ، الطيبا تُ العَرْفِ ، أمثالُ الزهور(٤)
الذاهلاتُ عن الزما نِ بنشوة العيشِ النضير
المشرفاتُ — وما انتقلـ ن — على الممالكِ والبحور
من كل بلقيسٍ على كرسىٍّ عِزَّتِها الوثير(٥)
أمضى نفوذًا من زُبَيْـ دَةَ في الإمارةِ والأمير(٦)
بين الرَّفارف ، والمشا رفِ ، والزخارف ، والحرير(٧)
والروض في حجم الدنا والبحرِ في حجم الغديرِ
والدرِّ مؤتلقِ السنا والمسكِ فيَّاحِ العبير
في مسكنٍ فوق السِّما كِ ، وفوق غاراتِ المغيرِ(٨)
بين المعاقل ، والقَنا والخيل ، والجمِّ الغفير
سَمُّوهُ (يَلْدِزَ) ، والأُفو لُ نهايةُ النجمِ المغير

١— الاوانس : جمع آنسة ، وهي الطيبة النفس ، والحور : جمع حورية ، وهي المراة البيضاء الناعمة —٢— المترعات : جمع مترعة من أترع الاناء : ملاه —٣— الولاة : جمع وال . الصدور : جمع صدر ، ويقال له الصدر الاعظم ، وهو كبير وزراء السلطان في الدولة التركية —٤— العرفة الرائحة الطيبة —٥— بلقيس : ملكة سبأ من أرض اليمن ، وقصتها مع الملك سليمان مبسوطة في كتب التاريخ الديني . والوثير : اللين الموطا —٦— زبيدة : زوجة الخليفة هارون الرشيد —٧— الرفارف : جمع رفرف وهو الفراش . والمشارف : جمع مشرف ، وهو الموضع يشرف منه ، ومشارف الارض : أعاليها —٨— السماك : كوكب .

دارتْ عليهنّ الدّوا ئرُ فى المخادعِ والخدور(١)
أمسيْن فى رِقّ العبيــــــل وبتْنَ فى أسرِ العشير(٢)
ما ينتهين من الصلا ةِ ضراعةً ومن النذور
يطلُبن نُصرةَ ربّهن وربُّهن ' بلا نصير(٣)
صبغ السوادُ حَبيرَهُنّ وكان من يَقَقِ الحُبور(٤)
أنا إنْ عجزتُ فإن فى بُرْدَىّ أشعرَ من (جَرير)
خَطْبُ الإمامِ على النّظيـ ـم يعزُّ شرحاً والنثير
عظةُ الملوك ، وعِبْرةُ الـ أيام فى الزمنِ الأخير
شيخُ الملوكِ وإن تضعـ ـضع فى الفؤادِ وفى الضمير
تستغفرُ المولى له والله يعفو عن كثير
ونراه عند مُصابه أولى ببالِك أو عَلير
وتصونُه ، وتُجِلُّه بين الشماتةِ والنكير
عبدَ الحميد ، حسابُ مثـ لِكَ فى يدِ الملكِ الغفور
سُدْتَ الثلاثينَ الطوا لَ ، ولسْنَ بالحُكمِ القصير(٥)
تنهى وتأمر ما بدا لك فى الكبير وفى الصغير
لا تستشيرُ وفى الحِمى عددُ الكواكب من مُشير

١ـ الدوائر : جمع دائرة ، وهى النائبة من صروف الدهر . والمخادع : جمع مخــدع ، بضم الميم وكسرها . بيت يكون فى البيت الكبير يحرز فيه الشىء ـ٢ـ العبيل : الضخم الغليظ ـ٣ـ ربهن : سيدهن ، وهو السلطان عبد الحميد ـ٤ـ الحبير : النــاعم الجديد . اليقق : الشــديد البياض ـ٥ـ الثلاثين الطوال : الاعــوام التى مضت له وهو سلطان .

كم صبَّحوا لك فى الروا ح ، وألْهَوكَ لدى البُكور

ورأيتَهم لك سجدًا كسجود موسى فى الحضور(١)

خفضوا الرءوسَ ووتَّروا بالذل أقواسَ الظهور(٢)

ماذا دهاك من الأمو ر وكنتَ داهيةَ الأمور ؟

ما كنتَ إن حدثَتْ وجلَّتْ بالجزوع ولا . العَثور

أين الرَّوِيَّةُ ، والأنا ةُ ، وحكمةُ الشيخ الخبير ؟

إنَّ القضاء إذا رمى دكَّ القواعد من (ثَبير)(٣)

دخلوا السرير عليكَ يحـ تكمون فى ربِّ السرير(٤)

أعْظِمْ بهم من آسريـ نَ وبالخليفةِ من أسير

أسدٌ هَصورٌ أنشبَ الـ أظفارَ فى أسدٍ هَصور(٥)

قالوا : اعتزِل . قلتَ : اعتزلـ تُ . الحكمُ لله القدير

صبروا لدولتكَ السنيـ ن ، وما صبرتَ سوى شهور

أوذيتَ من دُستورهم وحننتَ للحكم العسير

وغضبتَ كالمنصورِ أو هارون فى خالى العصور(٦)

ضَنُّوا بِضائعِ حقِّهم وضننتَ بالدنيا الغَرور

هلا احتفظتَ به احتفا ظَ مُرحِّبٍ فرِحٍ قرير ؟

١ـ كسجود موسى فى الحضور : اى حضوره حين تجلى له الله فكلمه
٢ـ ووتروا بالذل اقواس الظهور : اى جعلوا الذل وترا لاقواس ظهورهم، يعنى ان الذل قوس ظهورهم كما يفعل الوتر بالقوس اذا شد عليه
٣ـ ثبير : جبل معروف ـ ٤ـ يحتكمون فى رب السرير : يتصرفون فيه وفق مشيئتهم ـ ٥ ـ أنشب اظفاره فى الشىء : اعلقها فيه ـ ٦ ـ ابو جعفر المنصور وهارون الرشيد : من الخلفاء العباسيين .

هو حِلْيَةُ المَلِكِ الرشيـ ـدِ ، وعِصْمَةُ المَلْكِ الغرير
وبه يُبارَك في المما لكِ والملوكِ على الدهور

* * *

يأَيُّها الجيشُ الذي لا بالدَّعِيِّ ، ولا الفَخور
يخفى ، فإن رِيعَ الحمى لفتَ البرِيَّةَ بالظهور(١)
كالليث ، يسرفُ في الفِعا لِ ، وليس يُسرف في الزئير(٢)
الخاطب العلياء بالـ أرواحِ غاليةِ المهور
عند المُهيمن ما جرى في الحقِّ من دَمِكَ الطَّهور
يتلو الزمانُ صحيفةً غرّاً مُذَهَّبَةَ السُّطور
في مدح (أنورِكَ) الجرى ء ، وفي (نيازِيكَ) الجسور
يا (شوكت) الإسلام ، بل يافاتحَ البلدِ العسير(٣)
وابنَ الأكارم من بني (عُمَرَ) الكريمِ على (البشير)(٤)
القابضين على الصَّليـ ـلِ كجَدِّهم ، وعلى الصَّرير(٥)
هل كان جدُّك في ردا ئك يوم زحفك والكرور ؟
فقنصت صيَّادَ الأسو د ، وصِدتَ قنَّاص النسور

١ــ ريع الحمى : أى راعه شىء وأفزعه ــ٢ــ الزئير : صوت الاسد ٣ــ انور ، ونيازى ، وشوكت : كانوا من كبار القواد فى الجيش العثمانى ، وكانوا على راس الحركة التى قام بها هذا الجيش لحمل السلطان عبد الحميد على اعادة الدستور وجعله اساس الحكم فى البلاد التركية ــ٤ــ عمر : هو الخليفة عمر بن الخطاب ، كان شوكت باشا من سلالته . والبشير : من اسماء النبى محمد صلى الله عليه وسلم ــ٥ــ الصليل : الصوت يسمع عند المقارعة بالسيوف ، الصرير : صوت القلم عند الكتابة به .

وأخذتَ (يَلدزَ) عَنوةً   ومَلكتَ عنقاء الثغور(١)

* * *

المؤمنون (بمصر) يُهـ   ـدون السلامَ إلى الأمير
ويُبايعونك يا (محمـــــدُ)   فى الضمائر والصدور(٢)
قد أمّلوا لهلالهم   حظَّ الأهلةِ فى المسير
فابلغْ به أوْجَ الكما   ل بقوةِ اللهِ النصير
أنت الكبيرُ ، يُقلّدو   نكَ سيفَ (عثمانَ) الكبير
شيخُ الغُزاةِ الفاتحيـ   ـنَ ؛ حُسامُه شيخُ الذكور(٣)
يمضى ويغمد بالهدى   فكأنه سيف النذير(٤)
بُشرى الإمام محمد   بخلافة الله القدير
بُشرى الخلافةِ بالإما   م العادلِ النزهِ الجدير
الباعثِ الدستورَ فى الـ   إسلام من حُفَر القبور
أوْدَى «معاويةٌ» به   ويعثتَه قبل النُشور(٥)
فعلى الخلافة منكما   نورٌ تلألأ فوق نور(٦)

١ــ اخذ الشيء عنوة : اى قهرا . العنقاء : طير معروف الاسم مجهول الجسم ، يضرب مثلا لكل عزيز ممتنع، والمراد انه ملك ثغر الاستانة الذي يشبه العنقاء فى عزته وامتناعه ــ٢ــ محمد : هو السلطان محمد رشـــاد الخامس الخليفة بعد السلطان عبـــد الحميد ــ٣ــ الذكور : جمع ذكر وهو السيف ٤ــ النذير : من اسماء النبي ــ٥ــ اودى به : ذهب به واضاعه . ومعاوية ابن ابى سفيان : اول ملوك الدولـــة الاموية ، وكان حكم الخلفاء الراشدين قبله شورى بين المسلمين ، وهى معنى حكم الدستور ، فلما اخذ معاوية الملك استقل فيه برايه ــ٦ــ منكما : اى من الخليفة ، ومن الدستور .

انتحار الطلبة*

ناشيء في الوَرْدِ من أيامِهِ ... حسبُهُ اللهُ ، أبالوَرْدِ عثر ؟(١)
سدّد السهمَ إلى صدرِ الصِّبا ... ورماه في حَوَاشِيه الغُرَر(٢)
بيدٍ لا تعرفُ الشرَّ ، ولا ... صَلحَتْ إلا لتلهُو بالأُكَر(٣)
بُسِطَتْ للسمّ والحبل ، وما ... بُسِطت للكأس يوماً والوتَر
غفرَ اللهُ له ، ما ضرّه ... لو قضى من لذّةِ العيشِ الوَطر؟
لم يُمَتَّع من صِبا أيامِهِ ... ولياليه أصيلٌ وسَحر(٤)
يَتمنى الشيخُ منه ساعةً ... بحجابِ السمع ، أو نورِ البصر(٥)
ليسَ في الجنةِ ما يشبهه ... خِفّةً في الظلّ ، أو طيبَ قِصر
فصِبا المخلد كثيرٌ دائم ... وصِبا الدنيا عزيزٌ مُختَصَر

* * *

كل يوم خبر عن حَدَثٍ ... سئم العيشَ ، ومَنْ يَسأمْ يَذَر(٦)
عاف بالدنيا بناءً بعد ما ... خَطب الدُّنيا ، وأهدَى ، ومَهر(٧)
حلَّ يومَ العُرسِ منها نفسَه ... رحِمَ اللهُ العَرُوسَ المختَضَر(٨)

(*) رأى صاحب الديوان ذلك المفزع الوبيء ، الذى يفزع اليه صغار الطلبة فى مصر بعد سقوطهم فى الامتحانات ، فنظم لهم هذه القصيدة ، يقطع عليهم فيها سبيل اليأس ، ويبسط لهم سبيل الامل —١— حسبه الله : اى كفاه الله —٢— الصبا : الميل الى جهالة الفتوة . والحواشى : الجوانب —٣— الاكر : جمع اكرة ، وهى الكرة —٤— الاصيل : وقت مابعد العصر الى المغرب . والسحر : قبيل الصبح —٥— منه : اى من صبا الايام —٦— الحدث : الشاب . ويذر : يترك —٧— عاف : كره . وبناء : من قولهم : بنى باهله ، اى زفت اليه . خطبة من خطبة الزواج . أهدى : اعطى الهدية . مهر : اعطى المهر —٨— المختضر : اى الميت فى صباه ، من اختضار الكلأ : اى قطعه وهو اخضر .

ضاقَ بالعيشةِ ذَرْعًا ، فهوَى   من شَفا اليأسِ، وبئسَ المُنحدَر(١)

راحلًا فى مثلِ أعمارِ المُنى   ذاهبًا فى مثلِ آجالِ الزَّهَر

هاربًا من ساحةِ العيش، وما   شارَفَ الغَمرةَ منها والغُدُر(٢)

لا أرى الأيامَ إلّا مَعْرَكاً   وأرى الصِّنديدَ فيهِ من صَبر(٣)

ربَّ واهي الجأشِ فيه قَصَفٌ   مات بالجبن ، وأودَى بالحذَر(٤)

* * *

لامه الناسُ ، وما أظلمَهم   وقليلٌ من تَغاضَى أو عذَر

ولقد أبلاكَ عذرًا حسناً   مُرتدى الأكفانِ مُلقًى فى الحُفر

قال ناسٌ : صَرْعَةٌ من قدر   وقديماً ظَلَم الناسُ القَدَر

ويقول الطبُّ : بل من جِنَّةٍ   ورأيتُ العقلَ فى الناسِ نَدَر(٥)

ويقولون : جفاءٌ راعَه   من أبٍ أغلظَ قلباً من حَجر(٦)

وامتحانٌ صَعَّبتهُ وَطْأَةٌ   شدَّها فى العلم أُستاذٌ نَكِر(٧)

لا أرى إلّا نِظاماً فاسداً   فَكَّكَ العلمَ ، وأودى بالأُسَر؟

مِن ضَحاياه — وما أكثرها ! —   ذلكَ الكارِهُ فى غَضِّ العُمُر(٨)

ما رأى فى العيش شيئًا سَرَّهُ   وأخفُّ العيشِ ما ساءَ وسَر

١— ضاق بالشيء ذرعا : ضعفت عنه طاقته ، ولم يجد مخلصا من مكروهه . والشفا : حرف كل شيء —٢— شارف الشيء : قاربه ودنا منه . وغمرة الشيء : شدته ومزدحمه . والغدر : جمع غدير ، وهو النهر ، او القطعة من الماء يغادرها السيل —٣— الصنديد : السيد الشجاع —٤— الواهي : الضعيف المتداعي الى السقوط . الجاش : نفس الانسان ، او هو رواع القلب منه الفزع . والقصف : الخور والضعف . أودى : هلك —٥— الجنة : الجنون —٦— الجفاء : غلظة العشرة —٧— النكر : الفطن —٨— غض العمر : اى العمر الغض الناضر .

نزل العيشَ، فلم ينزِل سوى ... شعبة الهمِّ، وبَيْداء الفِكر(١)

ونهارٍ ليس فيهِ غبطةٌ ... وليالٍ ليس فيهن سَمر(٢)

ودروسٍ لم يُذلِّل قطفَها ... عالمٌ إن نطقَ الدرس سَحر(٣)

ولقد تُنهكه نَهْكَ الضَّنَى ... ضَرةٌ منظرُها سُقمٌ وضُر(٤)

ويلاقى نَصَبًا مما انطوَى ... فى بنى العَلّاتِ من ضِغْنٍ وشر(٥)

إخوةٌ ما جَمعتهم رَحِمٌ ... بعضُهم يمشون للبعض الخَمر(٦)

لم يرفرِفْ مَلَكُ الحبِّ على ... أبَوَيهم أو يُبارِكْ فى الثَمر

خَلَقَ اللهُ من الحب الورَى ... وبنى المُلك عليه وعمَر

* * *

نَشَأَ الخيرِ، رويدًا، قتلُكم ... فى الصِّبا النفسَ ضَلالٌ وخُسُر(٧)

لو عصيتُمْ كاذبِ اليأسِ، فما ... فى صِباها ينحرُ النفسَ الضَّجَر(٨)

تُضمرُ اليأسَ من الدنيا وما ... عندها عن حادثِ الدُّنيا خَبَر

فيم تجنون على آبائِكم ... ألَمَ الثُّكلِ شديدًا فى الكِبر؟

وتعقّونَ بلادًا لم تزَلْ ... بين إشفاق عليكم وحذر.؟

١ـــ شعبة الهم: الطائفـــة منه ـــ٢ـــ الغبطة: حسن الحال. والسمر: الحديث فى الليل ـــ٣ـــ يذلل: من ذلل الشيء: جعله هينا. وقطف الثمر: جنيه وجمعه، وقطف الشيء: أخـذه بسرعة ـــ٤ـــ تنهكه: تضنيه، والضنى: المرض والهزال. وضرة المرأة: امرأة زوجها، وهمـا ضرتان، وهن ضرائر ـــ٥ـــ بنو العلات بفتح العين: هم بنو امهات شتى من رجل واحد. والضغن: الحقد ـــ٦ـــ بعضهم يمشون للبعض. الخمر، بفتح الخـاء: أى يختلونهم، ومنـه قـولهم: هو يدب له الضراء ويمشى له الخمر ـــ٧ـــ نشأ الخير: أى يا نشأ الخير. والنشأ: بفتح الشين: جمع نشء، بسكونها، وهو النسل. ورويدا: أى مهلا لتسمعوا ما اقول. والخسر: بضم الســين: الخسران ـــ٨ـــ لو عصيتم كاذب اليأس: حض، معناه: اعصوا كاذب اليأس.

فمصابُ المُلكِ فى شُبّانه … كمصابِ الأرضِ فى الزرعِ النضِر

ليسَ يدرى أحدٌ منكم بما … كان يُعطى لو تأنّى وانتظر

رُبَّ طفلٍ برّح البؤسُ به … مُطِرَ الخيرَ فَتيًّا ومطر(١)

وصبىٌّ أزرَت الدُّنيا به … شبَّ بين العزِّ فيها والخطر(٢)

ورفيعٍ لمْ يُسوِّدْهُ أبٌ … مَنْ أبو الشمس ، ومن جدُّ القمر؟

فلكٌ جارٍ ، ودُنيا لم يدُم … عندها السعدُ ، ولا النحسُ استمرّ

روِّحوا القلبَ بلذّاتِ الصِّبا … فكفى الشيبُ مجالًا للكدر(٣)

عالجوا الحكمةَ ، واستشفوا بها … وانشدوا ما ضلّ منها فى السِّير(٤)

واقرأوا آدابَ مَنْ قبلكمُ … ربّما علّمَ حيًّا مَنْ غبر(٥)

واغنموا ما سخّر اللهُ لكم … من جَمالٍ فى المعانى والصُّوَر(٦)

واطلبوا العلمَ لذاتِ العلمِ ، لا … لشهاداتٍ وآرابٍ أُخَر(٧)

كَمْ غُلامٍ خاملٍ فى درسه … صار بحرَ العلمِ ، أستاذَ العُصُر

ومُجِدٌّ فيه أمسى خاملًا … ليس فيمن غابَ أو فيمن حَضر

* * *

قاتلُ النفسِ - ولو كانت له - … أسخطَ اللهَ ، ولم يُرضِ البشر

ساحةُ العيشِ إلى اللهِ الذى … جعلَ الوِرْدَ بإذنٍ والصَّدَر(٨)

١- برح به : جهده وآذاه . ومطر الخير ، بضم الميم : اى اصابه كما يصيب المطر الارض . ومطر ، بفتح الميم : أى صدر عنه الخير كالمطر ٢- ازرت به : تهاونت ٣- روحوا القلب : أى انعشوه وطيبوه ٤- الحكمة : صواب الامر وسداده ووضع الشىء فى موضعه . السير ، بكسر السين : جمع سيرة ، وهى للانسان طريقة سلوكه بين الناس ٥- من غبر : من مضى ٦- اغنموا من غنم الشىء : فاز به من غير مشقة واخذه بغير بذل ٧- آراب : جمع أرب ، وهو الحاجة ٨- الورد : بلوغ الماء . والصدر : الرجوع عنه .

لا تموتُ النفسُ إلّا باسمه ... قامَ بالموتِ عليها وقهر

إنما يسمحُ بالروح الفتَى ... ساعةَ الرَّوْعِ إذا الجمعُ اشتجر(١)

فهناك الأجرُ والفخرُ معاً ... مَنْ يَعِشْ يُحمَدْ، ومن ماتَ أُجِر

عبث المشيب

ظلمَ الرجالُ نساءَهم وتعسفوا ... هل للنساء بمصر من أنصار؟(٢)

يامعشرَ الكتاب، أين بلاؤكم ... أين البيانُ وصائبُ الأفكار؟(٣)

أيهمُّكمْ عبثٌ، وليس يهمُّكم ... بنيانُ أخلاق بغير جدار؟(٤)

عندي على ضيم الحرائرِ بينَكم ... نبأٌ يثيرُ ضمائرَ الأحرار(٥)

مما رأيتُ وما علمتُ مسافرًا ... والعلمُ بعضُ فوائدِ الأسفار

فيه مجالٌ للكلام، ومذهب ... ليَراعِ «باحثةٍ» و«ستِّ الدار»(٦)

* * *

كثُرتْ على دارِ السعادة زُمْرَةٌ ... من مصر، أهلُ مَزارعٍ ويَسار(٧)

يتزوّجون على نساء تحتَهم ... لا صاحباتِ بُغًى، ولا بشرار(٨)

---

١ — الروع: الفزع، ويأتى بمعنى الحرب، وهو المراد هنا — ٢ — تعسفوا: ظلموا أو لم ينصفوا — ٣ — البلاء: الاختبار — ٤ — العبث: اللعب. الجدار: الحائط — ٥ — الحرائر: جمع حرة. الضمائر: جمع ضمير، وهو قلب الانسان وباطنه — ٦ — باحثة: هى المرحومة ملك ناصف، وكانت قد اتخذت لنفسها اسم «باحثة البادية» تذيل به مقالات كانت تذيعها بواسطة الصحف فى شئون اجتماعية ونسوية. وست الدار: اسم كانت تذيل به مقالات فى الصحف أيضا — ٧ — دار السعادة: هى الاستانة. الزمرة: الجماعة متفرقة. اليسار: الغنى — ٨ — البغى والبغاء، مقصور وممدود: الزنى.

شاطرتهم نِعَمَ الصِّبا ، وسقيْتهم دهرًا بكأْس للسرُورِ عُقار(١)
الوالداتُ بَنيهمُ وبناتِهم الحائطاتُ العِرْضَ كالأسوار(٢)
الصابراتُ لضرَّةٍ ومضرَّة المحييات الليلَ بالأذكار

• • •

مِنْ كُلِّ ذى سبعين ، يكتمُ شَيْبَهُ والشيبُ فى فَوْدَيْه ضوءُ نهار(٣)
يأْبَى له فى الشيب غيرَ سفاهة قلبٌ صغيرُ الهمِّ والأوطار(٤)
ما حَلَّه عَطْفٌ ، ولا رِفقٌ ، ولا بِرٌّ بأهل ، أو هوىً لديار
كم ناهدٍ فى اللاعبات صغيرةٍ ألهته عن حَفَدٍ بمصر صغار(٥)
مهما غدا أو راح فى جولاته دفعته خاطبةٌ إلى سمسار(٦)
شُغل المشايخ بالمتاب ، وشغلُه بتبدُّلِ الأزواج والأصهار(٧)
فى كلِّ عامٍ همُّه فى طَفْلَةٍ كالشمس ، إن خُطِبتْ فللأقمار(٨)
يرشو عليها الوالدين ثلاثة لم أدر أيُّهمُ الغليظُ الضارى ؟
المالُ حلَّل كلَّ غيرِ محلَّلٍ حتى زواج الشَّيب بالأبكار

١ــ شاطرتهم ، من شاطره الشيء : ناصفه اياه . والعقار : الخمر لانها تعقر العقل ، او لانها تعاقر الدن ،اى تلازمه ــ٢ــ الوالدات : اى اللاتى هن والدات ابنائهم وبناتهم . والحائطات : من حاط الشيء : حفظه وتعهده . والعرض : هو ما يصونه الانسان من نفسه ، أو سلفه ، أو من يلزمه أمره ، أو هو محل المدح والذم من الانسان . والاسوار : جمع سور ــ٣ــ الفودان : تثنية فود ، وهو معظم الرأس مما يلى الأذن ، وقيل : هو ناصية الرأس ــ٤ــ الهم : ما يهم به الانسان فى نفسه ، ويقال : رجل هم اى ذو همة يطلب معالى الامور . الاوطار : جمع وطر ، وهو الحاجة ــ٥ــ الناهد : الجارية ارتفع ثديها . والحفد ، بفتح الفاء : جمع حافد وهو ولد الولد ، كالحفيد ــ٦ــ الخاطبة : من تتوسط فى تزويج الرجال من النساء ــ٧ــ المشايخ : اى من ادركتهم الشيخوخة . والمتاب : التوبة ــ٨ــ الطفلة ، بفتح الطاء : الرخصة الناعمة

سَحَرَ القلوبَ ، فربَّ أمٍّ قلبُها ... من سحره حجرٌ من الأحجار

دفعت بُنَيَّتها لأشأم مضجَعٍ ... ورَمَتْ بها فى غُربة وإسار(١)

وتَعَلَّلَتْ بالشرع ، قلت : كذبتِهِ ... ما كان شرعُ الله بالجزار(٢)

ما زُوِّجت تلك الفتاةُ ، وإنما ... بِيعَ الصِّبا والحسنُ بالدينار

بعضُ الزواج مذمَّمٌ ، ما بالزنا ... والرقِّ إن قِيسا به من عار

فتشتُ لم أرَ فى الزواج كفاءةً ... ككفاءة الأزواجِ فى الأعمار

* * *

أسفى على تلك المحاسنِ كلما ... نُقِلت من (البالى) إلى الدَّوّار

إن الحجابَ على (فروقٍ) جنةٌ ... وحجابُ مصرَ وريفِها من نار

وعلى وجوهٍ كالأهلَّةِ ، رُوِّعَتْ ... بعد السفور ببرقع وخِمار(٣)

وعلى الذوائب وهى مِسْكٌ خولطت ... عند العناق بمثل ثَوْبِ القار(٤)

وعلى الشفاه المُحييات ، أمانَها ... ريحُ الشيوخ تَهبُّ فى الأسحار

وعلى المجالس فوق كل خَميلةٍ ... بين الجبالِ وشاطىء محبار(٥)

تدنو الزوارقُ منه ، تُنزِلُ جؤذَرًا ... بقلادة ، أو شادِنًا بسوار(٦)

يرفُلن فى أُزُرِ الحرير تنوَّعتْ ... ألوانُه ، كالزَّهر فى آذار(٧)

---

١ ـ اشام مضجع : أى اشد المضاجع شؤما • والاسار : الأسر — ٢ ـ تعلل بالشىء : تلهى به واكتفى • وكذبته : أى كذبت عليه ـ٣ـ وعلى وجوه: اى واسفى على وجوه والأهلة : جمع هلال • والخمار ـ بكسر الخاء : ما تغطى به المرأة راسها ـ٤ ـ الذوائب : جمع ذؤابة ، وهى الناصية . والقار ، قيل : هو مايسمى بالزفت ـ٥ـ الخميلة : الشجر الكثيف الملتف ، وقيل : الموضع الكثير الشجر • والمحبار : الارض السريعة النبات الحسنة ـ٦ـ الجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، تشبه به الحسان لجمال عينيه . والشادن : ولد الظبية ـ ٧ ـ يرفلن ـ من رفل فى ثيابه : اطالها وجرها متبخترا . والأزر : جمع ازار ، وهو كل ما سترك . وآذار : الشهر الثالث من السنة المسيحية .

الطاهراتُ اللَّحظِ ، أمثال المها ... الناطقاتُ الجرْسِ كالأوتار(١)
الدهرُ فرّقَ شملهن ، فمُر به ... يا ربُّ تجمعُه يدُ المقدار

أبو الهول*

أبا الهَوْلِ ، طالَ عليكَ العُصُرْ ... وبُلِّغتَ في الأرْضِ أقصى العُمُرْ(٢)
فيالِدةَ الدَّهر ، لا الدّهرُ شَبَّ ، ولا أنتَ جاوزتَ حد الصِّغَر(٣)
إلامَ ركوبُكَ متنَ الزما ... نِ لِطيِّ الأصيل وَجَوْبِ السحر؟(٤)
تُسافر منتقلا في القرو ... نِ ، فأيان تُلقِي غُبارَ السفر ؟
أبينكَ عَهدٌ وبين الجبا ... لِ ، تزولان في الموعد المنتظر؟(٥)

---

١ ــ المها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية . والجرس : الصوت .

* رفع الستار فى مسرح حديقة الأزبكية يوم افتتاحه عن تمثال ابى الهول ، يناجيه رجل بهذه القصيدة . ــ٢ــ « طال عليك العصر » العصر والعصر والعصر والعصر : الدهر . فالعصر ــ هنا ــ مفرد لا جمع . ومعنى طول الدهر على أبى الهول : أنه عمر اعمارا طوالا . وقد أوضح ذلك مع زيادة فى التوكيد بقوله :وبلغت فى الأرض اقصى العمر . والعمر ــ بضم العين والميم ــ لغة فى العمر ــ٣ــ « فيالدة الدهر » : فيا اخا الدهر وقرينه ، فكأنك والدهر توأمان ، خلقتما معا فى أوان . والبيت كما ترى آية فى الابداع وروعة البيان . « ولا انت جاوزت حد الصغر » : أى برغم انك بلغت فى الأرض اقصى العمر . ــ٤ــ « الام ركوبك » . الى : من حروف الجر دخلت على ما الاستفهامية ، فبينت بناء كلمة واحدة ، وسقطت الألف من «ما» طلبا للخفة واعتدادا بالى الموصولة بها . وكذلك يفعلون فى بم وفيم ومم ، ولا يفعلون ذلك بما الخبرية ، ومن العرب من يقف على مثل هذا بالهاء ، فيقولون الامه وعمه وفيمه ولمه ــ هذا وانه لتصوير شعرى بديع رائع ، تصوير ابى الهول راكبا متن الرمال ، يطوى الليل والنهار ، ويسافر متنقلا فى القرون والأدهار . و « جوب » فى معنى طى . ــ٥ــ « فى الموعد المنتظر » : يوم يزول كل شىء ، اى اليوم الآخر .

أبا الهول ، ماذا وراء البقا ء ـ إذا ماتطاول ـ غيرُ الضجَر؟(١)
عجبْت لِلُقمانَ فى حِرصه على لُبَد والنُّسور الأُخَر(٢)
وشكوى لبيدٍ لطول الحيا ة ، ولو لم تَطُلْ لتَشكَّى القِصَر(٣)

---

١ ـ « ماذا وراء البقاء » . يقول:ماوراء البقاء المتطاول غير السأم .
قال زهير بن أبى سلمى :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا - لا أبالك يسأم

٢ ـ « لقمان » : هو لقمان بن عادياء ، وتزعم العرب انه الذى بعثته عاد فى وفدها الى الحرم ليستسقى لها ، فلما أهلكوا ، خير لقمان بين بقاء سبع بقرات سمر ، من أظب عفر ، فى جبل وعر ، لايمسها القطر . أو بقاء سبعة انسر ، كلما اهلك نسر خلف بعده نسر ، فاستحقر الابقار وآثر النسور ، فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له : ياعم ، ما بقى من عمرك الا عمر هذا ، فقال لقمان : هذا لبد ، ولبد ـ بلسانهم : الدهر . قالوا : وكان يأخذ فرخ النسر ، فيجعله فى حوبة فى الجبل الذى هو فى أصله ، فيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أقل أو اكثر ، فاذا مات أخذ آخر مكانه ، حتى هلكت كلها الا السابع ، أخذه فوضعه فى ذلك الموضع وسماه لبدا ، وكان اطولها عمرا ، فضربت العرب به المثل فقالوا : طال الأبد على لبد ، قال الأعشى :

وانت الذى الهيت قيلا بكأسه ولقمان اذ خيرت لقمان فى العمر
لنفسك أن تختار سبعة انسر اذا ما مضى نسر خلوت الى نسر
فعمر حتى خال أن نسوره خلود وهل تبقى النفوس على الدهر؟

فعاش لقمان ـ كما زعموا ـ ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ، وقال النابغة :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا اخنى عليها الذى اخنى على لبد

وهذا لقمان بن عادياء ، غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن الكريم .
٣ ـ « وشكوى لبيد » : أى وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة ... الخ ، وهو لبيد بن ربيعة ، الشاعر الجاهلى الاسلامى المخضرم ، صاحب المعلقة المشهورة التى أولها :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

كان لبيد من المعمرين ، روى انه مات وهو ابن مائة واربعين ، وقيل وهو ابن سبع وخمسين ومائة أول خلافة معاوية ، أما شكواه التى الممع اليها ، فذلك حيث يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس : كيف لبيد؟

يقول : اذا لم يكن وراء البقاء المتطاول الا الضجر ، فانى اعجب للقمان فى حرصه على أن تطول حياته . وللبيد الذى ان مل الحياة وسئم من طولها ، فانه لا محالة كان اكثر شكاة اذا هى لم تطل ، لأن حب الحياة جبلة مركوزة فى الطباع .

ولو وُجِدَتْ فيكَ يابنَ الصَّفا ةِ لحقتَ بِصانِعكَ المقتدر(١)
فإنَّ الحياةَ تفُلُّ الحديـ ـدَ إذا لبستهُ ، وتُبْلي الحجَر(٢)

* * *

أبا الهول ، ما أنتَ في المُعضِلا تِ؟ لقدضلَّتِ السُّبْلَ فيكَ الفِكَر!(٣)
تحيَّرتِ البدوُ ماذا تكو نُ؟ وضلَّتْ بِوادي الظنونِ الحضر(٤)
فكنتَ لهم صورةَ العُنْفُوا نِ ، وكنت مِثالَ الحِجَى والبصر(٥)
وسِرُّكَ في حُجْبِه كلما أطلَّتْ عليه الظنونُ استتر(٦)
وما راعهم غيرُ رأسِ الرجا لِ على هيكلٍ من ذوات الظُّفُر
ولو صُوِّروا من نواحي الطِّبا ع تَوالَوْا عليكَ سِباعَ الصُّوَر(٧)
فيارُبَّ وجهٍ كصافي النمـيـ ـرِ تشابَهَ حامِلُه والنَّمِر(٨)

---

١ — « وجدت » اى الحيـــاة . « يابن الصفاة » . الصفاة : الحجر الصلد الذي لا ينبت شـــيئا ، وفي المثل : فلان ماتندي صـــفاته ، وفي الحديث : لا تقرع لهم صـــفاة ، اى لا ينالهم أحد بسوء وابو الهـول ابن الصفاة ، لانه من الحجر . (لحقت . الخ) : اى لادركك الموت — ٢ — فان الحياة : من المعاني المبتكرة التي لانظن صاحب الديوان قد سبق اليها عـــلى هذا الوجه —٣— ما انت في المعضلات : خبـــرني أى معضـــلة انت في المعضلات واى معمى ؟ — ٤ — تحيرت، يقول : حار الناس قاطبة في امـــرك حاضرهم والبادي —٥— صـــورة العنفوان لما ينطوي عليه جسمك الذي صور على صور الاسد من معـــاني القوة . (مثال الحجى والبصر) لمــــا يتم عنه وجهك وراسك المصوران على صورة وجه الانسان من معاني الفطنة والبصر بالأمور —٦— يقول : ومع ذلك لا يزال سرك مكتنا في حجبـــه والناس من أمرك في ظلام —٧— ولو صوروا : اى ما كان ينبغي ان يـروع الناس منك أن كان راسك على هيكل من ذوات الظفر ، لان الناس لو صوروا من نواحي شيمهم وطباعهم لتـــوالوا عليك كأنهم وحوش ، وهـــذا معنى حسن بديع ، وقد زاده حسنا واكده بقوله : فيارب وجه كصـــافي النمير —٨— النمير : الماء الناجع في الري أو النامي ، أو الكثير . والنمر : هو ذلك الحيوان المعـــروف بمـــكره ، وخبثه ، وشراسته . وهذا البيت من جوامع الكلم وروائع الحكم ، ولايخفى مافيه من الجناس بين النمير وبين النمر . وللشعراء فيما يتصل بهـــذا المعنى ويقاربه ما يخطئـــه العـد والاحصاء ، فمن ذلك ما يقول القائل :

أبا الهول وَيْحَكَ لا يُستقلْ ... لُ مع الدهر شيء ولا يُحتقَر(١)
تهزأتَ دهرًا بديك الصبا ... ح فنقَّرَ عينيك فيما نقَر(٢)

= لايغرنك ما ترى من أناس ... ان تحت الضلوع داء دويا

ويقول الأبيوردى :

يلقاك ، والعسل المصفى يجتنى ... من قوله ، ومن الفعال العلقم
يبدى الهوى ويثور — ان عرضت ... له فرص — عليك كما يثور الارقم

ويقول الشريف الرضى :

لاتجعلن دليل المرء صورته ... كم مخبر سمج عن منظر حسن

ويقول :

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه ... أبى بعد طول العمر ان يتقوما
تقبلت منه ظاهرا متبلجا ... وأدمج دونى باطنا متجهما
ولو أننى كشفته عن ضميره ... اقمت على ما بيننا اليوم مأتما

وقال آخر :

يعطيك ودا صادقا بلسانه ... ويجن تحت ضلوعه الوالنا

وقال ابو فراس :

وقد صار هذا الناس الا اقلهم ... ذئابا على أجسادهن ثياب

وقال آخر :

ظننت بهم خيرا فلما بلوتهم ... نزلت بواد منهم غير ذى زرع

ويقول أبو تمام :

ان شئت أن يسود ظنك كله ... فاجله فى هذا السواد الأعظم
ليس الصديق بمن يعيرك ظاهرا ... متبسما عن باطن متجهم

١ — لا يستقل : لا يعد قليلا ،وهذا البيت كالتمهيد لما بعده
—٢— ديك الصباح : يريد الزمن ،والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة ، وانه لتخيل شعرى جميل ، ومن بارع حسن التعليل أن جعل سبب عبث الدهر بأبى الهول وتشويهه خلقه حتى أسال بياض عينيه وسل سوادهما ،هو هزء أبى الهول به ، وسخريته منه ، وعدم اكترائه له ، ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح . هذا ، ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول : انه ورد فى بعض الآثار : لاتسبوا الديكة فانها تدعو الى الصلاة . ولابن المعتز :

بشر بالصبح هاتف هتفا ... هاج بالليل بعد ما انتصفا
مذكر بالصبوح هاج بنا ... كخاطب فوق منبر وقفا =

أسالَ البياضَ وسَلَّ السَّوادَ وأوْغلَ مِنقارَه في الحفَر
فعُدْتَ كأنك ذو المَحْبِسَيْـ ـنِ ، قطيعَ القيام ، سَليبَ البصر(١)
كأنَّ الرِّمالَ على جانِبَيْـ ـكَ وبين يديك ذنوبُ البشر
كأنك فيها لواءُ الفضا ءِ على الأرضِ ، أو دَيدبانُ القدَر(٢)
كأنكَ صاحبُ رملٍ يَرَى خَبايا الغيوبِ خِلال السَّطَر(٣)

* * *

أبا الهول ، أنت نديمُ الزما نِ ، نَجِيُّ الأوانِ ، سميرُ العُصُر(٤)

= صفق أما ارتياحة لسنـا الـ فجـر واما على الدجى اسفـا
وللمعرى :

أياديك ، عدت من اياديك صيحة بعثت بها ميت الكرى وهو نائم
هتف ، فقال الناس : أوس بن مغير أو ابن رباح بالمحلة قائم

الى أن يقول :

عليك ثياب خاطها الله قادرا بها رئمتك العاطفات الروائم
وتاجك معقود ، كأنـك هرمز يباهى به أملاكه ويوائم
وعينك سقط ما خبا عند قـرة كلمعة برق مالها الدهر شائم
ومازلت للدين القويم دعـامة اذا قلقت من حامليها الدعائم

أوس بن معير : هو مؤذن رسول الله بمكة بعد الفتح ، وابن رباح : هو بلال ، كان يؤذن لرسول الله سفرا وحضرا . ورئمتـك : عطفت عليـك ولزمتك . ويوائم : يوافق ويلائم . والسقط : ما سقط من النـار بين الزندين قبل استحكام الورى : والقرة: البرد . ـ١ـ المحبسـين . المحبس : الموضع الذى يحبس فيه ، وكان يقال عن أبي العـلاء المعـرى : رهين المحبسـين ، اى رهين عماه وبيته ، فكأنه من عماه في محبس ، وكذلك أبو الهول ، عده شاعرنا بعد ان تقر ديـك الصباح عينيه كأنه من عماه وسكونه في محبسين ـ٢ـ ديدبان : فارسية ، معربة ، أصلها ديدهبان ، ومعنى ديده: العين ، وبان : اى ذو ، اى الرقيـب والعين ، ومعناها الخاص الجنـدى المكلف بالحراسة . ـ ٣ ـ السطر :السطر . والسطر : الصف من الكتاب والشجر ونحوهمـا . ومعنى البيت ظاهـر ـ ٤ ـ نجى الأوان : النجى بوزن فعيل : الـذى تساره . وفي الحديث : اللهم بمحمد نبيك وبموسى نجيـك ، وهو النـاجي المحـدث للانسان .

بسطت ذراعيك من آدم ٍ ... ووليتَ وجهكَ شطرَ الزُمَر(١)
تُطِلُّ على عالَم ٍ يستهِلُّ ... ونُوفِ على عالَم ٍ يُحْتَضَر(٢)
فعينٌ إلى مَن بدا للوجو ... دِ ، وأخرى مشيِّعةٌ من غَبَر(٣)
فحدِّث ، فقد يُهتدى بالحديـ ... ـثِ ، وخبِّر ، فقد يؤتسَى بالخَبَر(٤)
ألم تَبْلُ فرعونَ في عِزِّه ... إلى الشمس مُعتزياً والقمر ؟(٥)
ظليلَ الحضارة في الأوّليـ ... ـنَ ، رفيعَ البناء ، جليلَ الأثر(٦)

---

١ — من آدم : ام من قديم القديم . والزمر : جمع الزمرة : الجماعة من الناس ، والمراد هنا الناس جميعا —٢— يستهل : يعنى يقدم على الدنيا ، من استهل الصبي بالبكاء رفع صوته وصاح عند الولادة . ويحتضر : حضر فلان واحتضر اذا نزل به الموت —٣— واخرى مشيعة من غبر : من مضى ، وان هذا البيت لمشبع من الروعة والجلال . —٤— فحدث : هذا البيت هو كالمدخل لما بعده —٥— ألم تبل فرعون : بلاه يبلوه بلوا وابتلاء : جربه واختبره . وفرعون : لقب يطلق على كل من ولى ملك مصر ، كالنجاشي لملوك الحبشة ، وقيصر لملوك الرومان . وفرعون أصلها في الهيروغليفية مركبة من بي ، وهي اداة التعريف كال ، ورواع أى الشمس فتكون كلمة واحدة . ورواع أو راهو : معبود قوى ، وحاكم جبار ، يقاتل احتفاظا بالحياة ، وابقاء على الكون . ومن هنا كان العتو والجبروت وما في معناهما من مدلولات كلمة فرعون عند العرب ، واذن لا يقصد بفرعون فرعونا معينا ، ولكن جميع فراعنة مصر ، وقد ابتلاهم أبو الهول . الى الشمس معتزيا ، تقول : الم تبل يا أبا الهول فرعون وهو في عزه ، حتى لكأنه من العز والمنعة بحيث يناطح الشمس والقمر ، لان من اعتزى الى شيء قاربه وشاكله ، وقد كان اكثر الفراعنة يضعون على تيجانهم صورة اوزيريس الشمس ، وايزيس القمر ، لانهما من اصنامهم ، فلعله يشير الى هذا مع ارادة معنى العز والمنعة —٦— ظليل الحضارة : مكان ظليل : ذو ظل دائم يستظل به يريد أن حضارة فرعون كانت من الكمال بحيث تظل الناس ، ويرتعون في ذراها وكنفها ، والحضارة ، بكسر الحاء وفتحها : الاقامة في الحضر . والحضر والحضرة والحاضرة : خلاف البدو والبادية ، وهي المدن والقرى والريف ، سميت بذلك لان أهلها حضروا الامصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار ، قال القطامي :

فمن تكن الحضارة أعجبته ... فأى رجال بادية ترانا

وقال المتنبي :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حسن غير مجلوب

ولكن الحضارة هنا بمعنى التمدين .

يؤسِّسُ في الأرضِ للغابريـ نَ ، ويغرِسُ للآخرين الثَّمر(١)
وراعك ما راعَ من خيلِ قمْبيـ زَ ، ترى سَنابكُها بالشرَرْ(٢)
جوارفُ بالنارِ تغزو البلا دَ ، وآونةً بالقنا المشتجر
وأبصرْتَ إسكندرًا في الملا فَشيبَ العلا في الشباب النَّضِر(٣)

---

١ ــ « للغابرين » الغابر : من الاضداد ، فيكون بمعنى الباقي ، ويكون بمعنى الماضي ، ومن ثم يكون معنى البيت : أما ان فرعون يخلد ذكر الماضين باقامة الاثار لهم والتماثيل .ويغرس للاتين ما يجنون ثمره من دور العلم والعرفان وما اليها ، واما أن فرعون يؤسس ويغرس لهم كل ما يجدي ويثمر ــ ٢ ــ « قمبيز » :هو ابن كورش الأكبر الذى اسس دولة الفرس العظيمة ، ومعلوم ان الفرس من الدول التى غزت مصر ، واستولت عليها حينا من الدهر ،قال المؤرخون : اخذ الفرس في غزو مصر ازمان الأسرة السادسة والعشرين ، وذلك حين ولى الملك « ابسمتيك الثالث » أحد ملوك هذه الأسرة ، فأعد الفرس لهذه الغزاة المعدات الكبيرة ، وجاء ملكهم « قمبيز » بجيش جرار ، لفتح البلاد التى طالما تاقت نفس ابيه كورش الى اخضاعها ، وكانت مصر اذ ذاك حصينة غاية في المنعة . يقول مؤرخو الاغريق :ان أحد الجنود اليونانية : هو الذى خان مصر والمصريين ، ودل الفرس على اسهل الطرق التي يمكنهم بواسطتها ان يدخلوا البلاد . فهوجمت مدينه « بلوز » (الفرما) بحرا ، وزحفت الجنود الفارسية على مصر برا ، وبعد مقاومة عنينة جهتي بلوزومنف ، سقطت البلاد ، واخذ قمبيز ابسمتيك اسيرا ، وكان ذلك سنة ٥٢٥ ق.م ، ثم سار قمبيز أول أيامه سيرة حسنة ، وعامل الصريين معاملة طيبة ، يحترم دياناتهم وتقاليدهم ، ولكنه بعد ذلك لبس لهم جلد النمر ، وحنق على البلاد ومن فيها ، فكر على المعابد والهياكل ، فهدمها ، وقتل بيده العجل ابيس اثناء احد الاحتفالات الكبيرة ، وعند عودته الى فارس مات في الطريق سنة ٥٢١ ق . م ، ولما ولى ملك فارس دارا الأول زار مصر ، وأراد أن يصلح ما افسده قمبيز ، فأبدى احتراما كبيرا للديانة المصريين ومعبوداتهم ، وشيد هيكلا عظيما للمعبود آمون بواحة سيوة الكبرى ، وعضد التجارة ، وشيد كثيرا من المدارس ، وفتح الخليج الموصل مابين النيل والبحر الاحمر ،ورأى المصريون آخر ايامه ما لحقه من الخسائر في واقعة « مرتون » في حربه مع الأغريق ، فخرجوا عن طاعته ، وطردوا الفرس من البلاد بقيادة أحد الأمراء الوطنيين سنة ٤٨٦ ق.م ، ثم غزا الفرس مصر ثانية ، وما زالوا بها حتى طردهم المصريون سنة ٤٠٥ ق.م ــ ٣ ــ « اسكندر » : هو الاسكندر الاكبر المقدوني الفاتح العظيم ؛ قال المؤرخون : بعد ان هزم الاسكندر الفرس في واقعة ايسوس ، زحف على مدينة صور ، فأخذها عنوة =

تبلّجَ في مصرَ إكليلُه ... فلم يَعْدُ في المُلْك عُمْرَ الزَّهَر(١)
وشاهدتَ قيصرَ ، كيف استبـــدّ ، وكيف أذلَّ بمصرَ القَصَر؟(٢)
وكيف تجبّرَ أعوانُه ... وساقوا الخلائقَ سوْقَ الحُمُر ؟
وكيف ابتُلوا بقليل العديـ ... ـدِ من الفاتحين كريم النَّفَر ؟

= وبذلك تم استيلاؤه على الشام ، ثم قدم الى مصر ، وكان الفرس قد استدعوا حاميتها منها بســـبب حروبهم مع الاسكندر ، فلما وصـل الاسكندر الى « بلوز » (الفرمـا)سنة ٣٣٢ ق٠م٠ رحب به المصريون ، لما سمعوه عن عدالة حكمه ، ولمالاقوه من الذل والهوان في حكم الفـرس ؛ ففتحت له مصر ابوابها ، ودخلها دون عناء ، حتى ان الوالى الفــارسى لم يجرؤ على مقاومته ، وقابله في منـف بترحاب ، ومن ثم سار الاسكندر الى واحة آمون الكبرى ، ودخل معبـد آمون ، ولقبه الكهنة بابن امــون ، فاحتـــرم ديانة المصريين ، وقـــدم القرابين لمعبوداتهم ، ولم يهمل مع ذلك التقاليد الاغريقية ، فادخل منها في مصر الموسيقى والألعاب النظامية . ولما راى الاسكندر أن قرية « راقوده » ـ وهى قرية صـــغيرة كانت بقــرب الاسكندرية ـ ذات موقع بحـــرى موفق ، أنشــا بجـــوارها حاضرة جديدة له هى الاسكندرية ، وبعد أن استوثق الأمر للاســكندر فى مصر ، خرج الى فتـوحاته الاخـــرى فى المشرق ، وكانت وفاته سنة ٣٢٣ ، وكان عمره اذ ذاك ٣٢ سنة ونيفـا ، ولم يقم بمصر كما ترى الا قليـــلا ، فذلك حيث يقول فى البيت التـالى * فلم يعد فى الملك عمر الزهـــر * وخلف الاسكندر على مصر البطالسة ، وما زالوا بها الى أن استولى الرومان عليها .

١ ـ اكليله : تاجه ٠ ـ ٢ ـ قيصر : اسلفنا ان قيصرا هذا لقب ملـــوك الرومان ، قال المؤرخون : ما كادت دولة الرومان تظهر بين ممالك الأرض ، حتى أخذت العلائق تنشـا بينها وبين البطالســـة فى مصر ، ولبثــت بين الدولتين مدة طويلة من أيام مجـــد البطالسة الى انقراضهــم ، تطـــورات اثنائها فى عدة أطوار : ابتدأت بمصادقة الرومان للبطالســـة ، ثم انتقلت الى حمايتهم لهم ، ثم السيطرة عليهم ، ثم انتهت باستيلائهم على مصر سنة ٣٠ ق٠م فى عهد اغسطس ، ودخلت مصر باستيلاء الرومان عليها فى عهد خمول سياسى طويل ، امتد نحـــوا من ٦٧ سنة ، لم يكن لها فيها شيء يذكر فى التاريخ ، بل كانت كحقـــل لانتـاج الحبوب وتصديرها الى رومية ، لسد اهم جزء من الخراج ، وما زال الرومان بمصر حتى اذال الله منهم بالعـرب سنة ٦٤١ م على يد عمرو بن العاص ، فذلك حيث يقـول « وكيف ابتلوا بقليل العديد . . الخ » ، القصر : اى الاعناق ، قال الشاعر :

لاتدلك الشمس الا حذو منكبه ... فى حومة تحتها الهامات والقصر

رَمَى تاجَ قيصرَ رَمْىَ الزُّجا ج ، وفَلَّ الجموعَ ، وثَلَّ السُّرُر(١)

فدع كلَّ طاغيةٍ للزما نِ ، فإن الزمانَ يُقيم الصَّعَر(٢)

رأيتَ الدّيانات في نظْمِها وحينَ وَهَى سِلكُها وانتثر(٣)

تُشاد البيوتُ لها كالبرو ج ، إذا أخذَ الطرْفُ فيها انحسر(٤)

تَلاقَى أساساً وشُمّ الجبا ل ، كما تتلاقَى أصولُ الشجر(٥)

وإيزيسُ خلْفَ مقاصيرِها تخطَّى الملوكُ إليها السُّتُر(٦)

تضيء على صفحات السما ء ، وتُشرقُ في الأرض منها الحُجَر(٧)

---

١ ــ رمى : اى هذا النفر القليل ،وهم اصحاب عمرو بن العاص · وفل الجموع : هزمها . وثل السرر :كسرها . والسرر : جمع سرير ، والمراد هنا العروش التى يجلس عليها القياصرة ــ٢ــ الصعر : ميل فى العنق وانقلاب فى الوجه الى احد الشقين ، وقد صعر خده ، اماله من الكبر ، قال المتلمس :

وكنا اذا الجبار صعر خده أقمنا له من ردئه فتقوما

والزمان يقيم الصعر : يعدل الطغاة، يقال : أقمت الشيء فقام : اى استقام

٣ ــ فى نظمها وحين وهى سلكها :فى حالتى قوتها وضعفها ــ٤ــ انحسر : كل ، والبصر يحسر عند اقصى بلوغ النظر ــ٥ــ تلاقى : تتلاقى ، بحذف احدى التاءين ، يريد أنها راسخة رسوخ الجبال ــ٦ــ ايزيس : هى من معبودات قدماء المصريين ، وهى اخت اوزيريس ، وزوجته فى الوقت نفسه وأم عوروس وهاربوقراط · يرى قدماء المصريين أن ايزيس هذه وليت أمر مصر مع اخيها وزوجها أوزيريس حينا من الدهر ازدهرت فيه الزراعة ، ويؤخذ من تقاليد ايزيس انها عندهم رمز للقمر . وأوزيريس رمز الشمس ، ومن هنا يريد « بايزيس » القمر . وقوله : « تخطى » أى تتخطى ، بحذف احدى التاءين ــ٧ــ قوله « تضيء على صفحات السماء » : أى ايزيس بمعنى قمر السماء الحقيقى . وقوله «وتشرق فى الأرض منها الحجر » ، اى القمر ، بمعنى المعبود فى الارض . وعلى ذلك يكون فى الكلام استخدام ، وهو عند علماء البيان أن يراد بلفظ له معنيان احدهما ، ثم يراد بضميره الآخر ، أو يراد بأحد ضميرين احدهما ، ثم بالآخر الآخر فالأول كقول معوذ الحكماء :

اذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه ، وان كانوا غضابا

فانه أراد بالسماء الغيث ، وبضميره النبت ، والثانى كقول البحترى :

وآبيسُ في نيرهِ العالمو ن ، وبعضُ العقائدِ نِيرٌ عسِر(١)
تُساس به مُعْضِلاتُ الأُمو ر ، ويُرجى النعيمُ ، وتُخشى سقَر
ولا يشعُرُ القومُ إلّا به ولو أخلفته المُدى ماشعر
يَقِلُّ أبو المسكِ عَبدًا له وإن صاغَ أحمدُ فيه الدُّرَر(٢)
وآنستَ موسى وتابوتَه ونورَ العصا ، والوصايا الغُرَر(٣)
وعيسى يُلمُّ رداءَ الحيا ة ، ومريم تجمع ذيلَ الخَفَر(٤)
وعمرو يسوقُ بمصرَ الصِّحا بَ ،ويُزجِي الكتابَ ،ويحدو السُّوَر(٥)

= فسقى الغضا والساكنية وانهم شبوه بين جوانح وقـلوب
فانه أراد بضمير الغضا في قوله« والساكنيه » المكان ، وفي قوله « شبوه » أى أوقدوا الشجـر ، والحجر : جمع حجرة كغرفة وغرف .

١ — وآبيس : هو العجـل أبيس ،رووا ان تيفون اله الشر تغلب اخيرا على أوزيريس اله الخير وقتـله ،فتقمصت روحه جسد عجل ، وكان هذا العجل عندهم يمثل الخصـب والتوليد الخلقي ، وكانوا يعتقدون ان العجل الذى تقمصته روحه هو ابن بقرة حملت به ، بواسطة شـعاع من الشمس وشعاع من القمر ، وله علامات ظاهرة في جسده ، فانه يكون أسود اللون ، وفي جبهته سمة بيضاء مربعة أو مثلثة ، وصـورة نسر على ظهره ، وصورة خنفساء تحت لسانه، وكان الكهنة عندما يجدون العجل بعد موت سلفه ، يركبون مركبة حـربية ،ويسيرون به باحتفـال عظيم الى هليوبوليس ، وكانوا يضعونه فيها في هيكل يتركونه مفتوحا للعبادة اربعين يوما ، وكان الاهالي عند موته ينوحون ويلبسون ثوب الحداد ، ويضعونه في تاووس ثمين جدا ، وكانـوا يقومون بالاحتفال بأيامه المقدسة كل سنة عند ارتفاع النيل ، وذلك باقامـة الولائم والافراح ، وكانوا يطرحون في ذلك الوقت اناء من الذهب في النيـل ،لاخماد غضب التماسيح ، « في نيره » النير : هو الخشبة المعترضة على عنق الثورين المقرونين بالحراثـة بأداتها : وهم يقولون : فلان تحت نير فلان ، يريدون الخضوع والاستخذاء .

٢ — أبو المسك : كافور الاخشيدى « واحمد » : ابو الطيب المتنبى .

٣ — التابوت الذى وضع فيه موسى وقذف به في النيل ، وعصـا موسى وما كان منها من الايات ، والوصـايا العشر ، كل أولئك معروف فلا حاجـة بنا الى الافاضة فيه —٤— « وعيسى يلم رداء الحياة » . يقول : وشاهدت عيسى وهو المثل الاعلى للحياة ، ومثله في ذلك العذراء —٥— « وعمـرو » . يقول : وقد رأيت عمرو بن العاص اذ يسوق المسلمين لفتح مصر ، ويزجي كتاب الله وآياته .

فكيف رأيتَ الهُدى ، والضَّلا ... لَ ، ودنيا الملوكِ ، وأخرى عُمَر؟(١)

ونبْذَ المُقَوْقِسِ عهدَ الفُجو ... رِ ، وأخذَ المقَوقِسِ عهدَ الفَجر(٢)

وتبديلَه ظلمَاتِ الضلا ... لِ بصبحِ الهداية لما سَفر(٣)

وتأليفَه القِبْطَ والمسلمي ... نَ كما أُلِّفَتْ بالولاء الأُسَر(٤)

أبا الهول ، لَو لم تكن آيةً ... لكان وفاؤك إحدى العِبر(٥)

أطلتَ على الهرمين الوقو ... فَ ، كثاكلة لا تَريم الحفر(٦)

تُرجِّى لبانيهما عودةً ... وكيف يعودُ الرميم النَّخِر؟(٧)

تجوس بعين خِلَالَ الديا ... رِ ، وترى بأُخرى فضاء النهر(٨)

تَرومُ بمنفيس بيضَ الظُّبا ... وسُمْرَ القنا ، والخميسَ الدثر(٩)

---

١ — فكيف رايت . يقول : خبرني يا أبا الهول كيف رايت فرق ما بين هدى المسلمين واخرى عمر ، أي دنياه التي كأنها الاخرى في الاصلاح وما اليه من كل ما كان ماثلا أيام الفاروق رضي الله عنه وأرضاه ، وما بين الضلال ودنيا الملوك من القياصرة والفرس والروم ومن اليهم .

٢ — « المقوقس » : هو سيروس ، بطريق الطائفة الملكانية بالاسكندرية ، والحاكم الاداري بمصر من قبل الرومان ، والذى فتح عمرو بن العاص مصر في عهده ، وفي المقريزى : انه يسمى المقوقس بن قرقفت ، ولعله محرف عن سيروس . عهد الفجور عهد الانحراف عن الصراط السوى ، عهد الاسراف في المعاصي والاثام ، عهد الرومان الذى استبدل به المقوقس . عهد الفجر : أي عهد الخير العميم ، عهد النور ، عهد التقى والاصلاح ، عهد الاسلام ، اذ مالأ المسلمين ، وعبد لهم طريق الفتح .

٣ — وتبديله : في معنى البيت قبله : « لما سفر » سفر الصبح واسفر : أضاء — ٤ — وتاليفه : اى المقوقس . والأسر : جمع الأسرة ، وأسرة الرجل : عشيرته ورهطه الأدنون — ٥ — احدى العبر : احدى الايات — ٦ — اطلت ٠٠ الخ : بيان لوفاء أبي الهول ، كثاكلة . يقول : انك في اطالتك الوقوف على الهرمين وفاء منك ، كثاكلة ولدها ، لا تبرح قبره ولا تزايله ، والثاكلة هي التى فقدت ولدها . ولا تريم : اى لاتبرح . والحفر : جمع حفرة ، وهي ما يحفر في الأرض ، والمراد بها هنا القبر — ٧ — لبانيهما : اى لباني الهرمين . — ٨ — تجوس : تطوف وتتخلل . والنهر والنهر : واحد الأنهار : يعني نهر النيل — ٩ — تروم : تنشد وتطلب . ومنفيس : منف ، وموضعها اليوم البدرشين وميت رهينة : هي عاصمة ملك الفراعنة ، والذى بناها هو مينا مؤسس الأسرة المالكة ، وكانت قال شاعرنا :

ومَهْدَ العلومِ الخطيرَ الجلا ... لِ ، وعهدَ الفنونِ الجليلَ الخَطَر

فلا تستبين سوى قريةٍ ... أجَدَّ محاسنها ما اندثر(١)

= ومهد العلوم الخطير الجلال ... وعهد الفنون الجليل الخطر
ولا يخفى ما في هذا البيت من العكس ، والعكس هذا من المحسنات البديعية ، وهو ان تقدم في الكلام جزءا ، ثم تعكس ، فتقدم ما اخرت ، وتؤخر ما قدمت ، مثل قول الحماسي :

فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودا

وقول ابي الطيب :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ... ولامال في الدنيا لمن قل مجده

وقول الآخر :

ان الليالي للانام مناهيل ... تطوى وتنشر دونها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة ... وطوالهن مع السرور قصار

الخميس الدثر : الجيش الكثير . يقول انك ياابا الهول لأوفى الاوفياء اذ كاني بك وقد فقدت تلك الحضارة الباهرة ، والمدنية الزاهرة ، التي تحليت بها حينا من الدهر ، وشاهدت عصرها الذهبي ، ثم ذهبت ، وذهب اهلوها ، واصبحت منفردا وحيدا

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
فأبى عليك وفاؤك الا ان تطيل الوقوف على الهرمين ، شأن الثكول فقدت وحيدها ، فأبى عليها وجدها أن تريم قبره ، وكأنك في وقوفك هذا ، ترجى لباني الهرمين عودة تعود معها تلك المعاني الساميات ، وتنشد بمنفيس — وهي منك عن كثب — عهد القوة والعظمة والسلطان ، وعهد العلوم والعرفان ، وعهد الفنون الخطير الجلال مما رأيت في الزمن الخالي ، فلا تصيب شيئا من ذلك ، ولا تقع عينك من منفيس هذه ، الا على قرية قد اندثرت ، ودمنة قد عفت ، تكاد لاغراقها في الجمود ، اذا الارض دارت بها لم تدر . فترى في هذه الابيات صورة أبي الهول في وقوفه هذا ، صورة شعرية آية في الابداع والتخيل الشعرى ، ثم ترى فيها وصف عظمة المصريين ، وأن مصر كانت مهد الحضارة والتمدين ، ولا جرم فقد أمها ، وجاور فيها للاستفادة أمثال ليكرغ وصولون من كبار المتشرعين ، وفيثاغورس وافلاطون واقليدس من شيوخ الفلسفة ، كما تؤم اليوم بلاد المغرب للمجاورة فيها والافادة منها ، ومن هنا قال بعد ذلك : « فهل من يبلغ عنا الأصول » .

١ — « أجد محاسنها ما اندثر » . يقول : ان طلولها الدوارس ورسومها المندثرة البوالي أجدت محاسنها . وهو معنى دقيق عجيب ، ولعله ينظر الى قول أبي نوس :

لمن دمن تزداد حسن رسوم ... على طول ما اقوت وطيب نسيم
تجافى البلى عنهن حتى كأنما ... لبسن على الاقواء ثوب نعيم

هذا ويجوز ان يكون « أجد » مبتدأ و « ما اندثر » خبر ، أى أن أجد مابقي من هذه القرية واجله ، هو آثارها الدوارس .

تكاد لإغراقِها فى الجمو دِ إذا الأرض دارتْ بها لم تدُر
فهل مَنْ يبلِّغ عنا الأُصو لَ بأنّ الفروع اقتدت بالسير ؟(١)
وأنّا خَطبنا حِسانَ العلا وسقنا لها الغالىَ المدخَر
وأنّا ركبنا غمارَ الأُمو رِ ، وأنّا نزلنا إلى المؤتمر(٢)
بكل مُبين ٍ شديد اللدا د ، وكل أريب ٍ بعيد النظر(٣)
تطالب بالحق فى أُمة جرى دَمُها دونه وانتشر(٤)
ولم تفتخر بأساطيلها ولكن بدستورها تفتخر(٥)
فلم يبقَ غيرُك من لم يَخِف ولم يبقَ غيرُك من لم يَطِر
تحرّكْ أبا الهَول ، هذا الزما نُ تحرّك ما فيه ، حتى الحجر

* * *

« فلما أتمها أجابه آخر كان يختفى وراء التمثال وينطق بلسانه » :

نَجىَّ أبى الهول آن الأوا نُ ، ودان الزمانُ ، ولانَ القدر
خبأْتُ لقومك ما يستقو نَ ، ولا يَخبأُ العذبَ مثلُ الحجر
فعندى الملوكُ بأعيانِها وعندَ التوابيتِ منها الأثر
محا ظلمةَ اليأس صُبحُ الرجا ء ، وهذا هو الفَلَقُ المنتظَر

---

١ ـ الأصول : أصولنا وآباؤنا الذين وصف . الفروع : نحن المصريين أبناء هذا الجيل . واقتدت بالسير : حذت حذو أصولها ، اذ كان منا فى هذه الاونة ماقصه بعد . ـ٢ـ غمار الأمور : شدائدها ، جمع غمرة . المؤتمر : مؤتمر الصلح الذى عقد على اثر انتهاء الحرب الاوربية العامة سنة ١٩٢٠ الذى فزعنا اليه فى شخص الوفد المصرى ـ٣ـ الشديد اللداد : اى الشديد الخصومة والجدل الذى لايغلب . والاريب : العاقل البعيد النظر ـ٤ـ تطالب : أى الفروع . ودونه : دون هذا الحق ـ٥ـ ولم تفتخر . أى أنها مع ذلك لم تعتز بقوتها المادية من جيش واسطول وما الى ذلك . ولكنها تعتز بحقها الطبيعى الذى ليس الابه كيانها .

وثم انشق صدرُ أبي الهول عن فتى وفتاة ، مَثَلا أمامَه ، وأنشدا هذا النشيد » :

اليوم تَسود بوادينا ونُعيد محاسنَ ماضينا
ويشيدُ العزّ بأيدينا وطنٌ نَفديه ويَفدينا
وطنٌ بالحقّ نُؤيّدُه وبعين الله نشيّده
ونحسّنُه ، ونزيّنُه بمآثرنا ومساعينا
سرُّ التاريخ ، وعُنصرُه وسريرُ الدهرِ ومِنبرُه
وجِنانُ الخلد ، وكوثرُهُ وكفى الآباءُ رياحينا
نتخذُ الشمسَ له تاجا وضُحاها عرشاً وهاجا
وسماءَ السُّؤددِ أبراجا وكذلك كان أوالينا
العصرُ يراكُمْ ، والأمم والكرنك يلحظُ ، والهرمُ
أبنى الأوطان ألا هِمَمُ كبناء الأولِ يبنينا ؟
سعياً أبدًا ، سعياً سعياً لأثيل المجد وللعلْيا
ولنجعلْ مصرَ هي الدنيا ولنجعل مصر هي الدينا

مملكة النحل

مملكةٌ مُدَبَّرَهْ بامرأةٍ مُؤمَّره
تحملُ في العمال والصناع عبء السيطره
فاعجب لعمال يُوَلُّون عليهم قَيْصَره

تحكمهم راهبةٌ ذكّارةٌ مُغبِّرهْ (١)
عاقدةٌ زُنّارَها عن ساقها مُشمِّره
تلثّمت بالأرجوا نِ ، وارتدته مئزره
وارتفعت كأنها شرارةٌ مُطيَّره
ووقفت لم تختلج كأنها مُسمَّره (٢)

* * *

مخلوقةٌ ضعيفةٌ من خُلُق مُصوَّره
يا ما أقلَّ ملكَها وما أجلَّ خطره
قف سائل النحلَ به بأيِّ عقل دبَّره ؟
يُعجبكَ بالأخلاقِ وهـ يَ كالعقولِ جوهره
تغنى قوى الأخلاق ما تغنى القوى المفكّره
ويرفعُ اللهُ بها مَن شاء ، حتى الحشره

* * *

أليس فى مملكة النحلِ لقومٍ تبْصِره ؟
مُلكٌ بناه أهلُهُ بهمةٍ ومَجْدَره (٣)
لو التمست فيه بطَّالَ اليدين ، لم ترَه
تُقتلُ ، أو تنفى الكُسا لى فيه غيرَ مُنْذَره
تحكم فيه قيصره فى قومها موقَّره
من الرجالِ وقيو دِ حُكمِهم مُحرَّره

---

١ — التغبير : ترديد الصوت بالقراءة . ٢ — الاختلاج : الاضطراب
٣ — يقال : هذا الأمر مجدرة ذلك ، أى جدير به .

لا تورثُ القومَ ولو كانوا البنينَ البرَره
الملكُ للاناثِ فى الدّستور ، لا للذكره(١)
نيِّرةٌ تنزلُ عن هالتها لنيِّرهْ
فهل تُرى تخشى الطّما عَ فى الرجال والشَّرَه؟(٢)
فطالما تلاعبوا بالهَمَج المصيَّره
وعبروا غفلتها إلى الظهور قنطره
وفى الرجال كرمُ الضعفِ،ولؤمُ المقدره
وفتنةُ الرأى ، وما وراءها من أثَرَه
أنثى ، ولكن فى جنا حَيْها لَبَاةٌ مُخْدِرَه(٣)
ذائدةٌ عن حوضِها طاردةٌ مَن كدَّره
تقلَّدتْ إبرتَها وادّرعتْ بالحبَرَه
كأنَّها تُرْكيَّةٌ قد رابطت بأنقرهْ
كأنّها (جاندرك) فى كتيبة مُعسكِره
تَلقى المُغير بالجنو دِ الخُشُنِ المنمَّره
السابغين شِكَّةً البالغين جَسَرَه(٤)
قد نَشرتهم جُعبةٌ ونفضتهم مِثبره(٥)
مَن يَبْن مُلكا أو يذُد فبالقنا المجرَّره
إن الأُمورَ هِمّةٌ ليس الأُمورُ ثرثره
ما الملكُ إلا فى ذرى الأ ألوية المُنشَّره

١ ـ الذكرة : الذكور .
٢ ـ الطماع : الطمع .
٣ ـ اللباة : اللبؤة .
٤ ـ الشكة : السلاح . والجسرة : الجسارة .
٥ ـ المثبرة : بيت الابرة .

عرينُهُ مُذْ كان لا يحميه إلا قَسوَره(١)
رَبُّ النيوب الزُّرْق ، والـ ـمخالبِ المذكَّره

* * *

مالكةٌ ، عاملةٌ مُصلحةٌ ، مُعمِّره
المالُ في أتباعها لا تَستبينُ أثره
لا يعرفون بينهم أصلًا له من ثمره
لو عَرفوه عرفوا من البلاء أكثَرَه
واتخذوا نقابةً لأمرهم مسيِّره
سبحان من نزَّه عنـ ـهُ ملكهم وطهَّره
وساسه بحُرَّةٍ عاملةٍ ، مسخره
صاعدةٍ في معملٍ من معملٍ مُنحدِره
واردةٍ دَسْكَرَةً صادرةٍ عن دسكره(٢)
باكرةٍ ، تستنهضُ الـ ـعصائب المبكره(٣)
السامعين ، الطائعيـ ـنَ ، المحسنين المهَرَه
من كلِّ من خطَّ البنا ء ، أو أقام أسْطُره
أو شدَّ أصلَ عقدِهِ أو سدَّه ، أو قوَّره(٤)
أو طاف بالماء على جدرانه المجدَّره(٥)

* * *

وتذهب النحلُ خِفا فاً ، وتجيءُ مُوقَره

---

١ ــ القسورة : الاسد ــ٢ ــ الدسكرة : القرية ــ ٣ ــ العصائب : جمع عصابة ــ٤ــ قور الشيء : قطعه من وسطه خرقا مستديرا ــ٥ــ المجــدرة : أي المشيدة ٠

جوالبَ الشمع من الـ خمائلِ المنوّره
حوالب الماذِيّ من زهر الرياض الشيّره(١)
مشدودةً جيوبُها على الجَنَى مُزرّره
وكلُّ خُرطومٍ أدا ةُ العسلِ المُقطّره
وكل أنف قانئٍ فيه من الشُّهد بُرَه(٢)
حتّى إذا جاءت به جاست خلالَ الأدوره(٣)
وغيبتْه كالسُّلا فِ في الدِّنانِ المحضره(٤)
فهل رأيتَ النحلَ عن أمانةٍ مُقصِّره ؟
ما اقترضت من بقلةٍ أو استعارت زَهَرَه
أدّت إلى الناس به سُكّرةً بسكره

في سبيل الهلال الأحمر

جبريلُ ، هلِّلْ في السماء ، وكبِّرِ واكتبْ ثوابَ المحسنينَ وسطِّرِ
سلْ للفقيرِ على تكرُّمِهِ الغنى واطلب مزيدًا في الرخاء لمُوسِرِ
وادع الذى جَعَلَ الهلالَ شِعَارَه يفتحْ على أُمَمِ الهلالِ وينصرِ
وتولَّ في الهيجاءِ جندَ محمّدٍ واقعدْ بهم في ذلك المستمطَرِ
يا مِهرجانَ البرِّ ، أنت تحيةٌ للهِ من ملإٍ كريمٍ خيِّرِ
هم زينوكَ بكلِّ أزهر في الدجى واللهُ زانكَ بالقبول الأنورِ

١ ــ الماذى : العسل . والشيرة : الجميلة الحسنة ــ٢ــ البرة : الحلقة في الأنف ــ٣ــ الادورة : الديـــار ، يراد بها الخلايا هنا ــ٤ــ السلاف : افضل الخمر .

حَسُنتْ وجوهُكَ في العيونِ وأشرقتْ ... من كلِّ أبلجَ في الأكارمِ أزهرِ

كثُرتْ عليكَ أكفُّهم في صَوْبِها ... فكأنَّها قِطَعُ الغمامِ المُمطِرِ

لو يعلمونَ (السوقَ) ما حسناتُها؟ ... بيعَ الحصى في السوقِ بيْعَ الجوهرِ

جبريلُ يَعرِضُ، والملائكُ باعةٌ ... أينَ المساومُ في الثوابِ المشترى ؟

ومجاهدينَ هناكَ عندَ مُعسكرٍ ... ومِنَ المهابةِ بينَ ألفِ معسكرِ

مُوفينَ للأوطانِ بينَ حياضِها ... لا يسمحونَ بها وبينَ الكوثرِ(١)

عرَبٌ على دينِ الأُبوّةِ في الوغى ... لا يطعنونَ القِرْنَ ما لم يُنْذَرِ(٢)

أَلِفوا مصاحبةَ السيوفِ، وعُوِّدوا ... أخذَ المعاقلِ بالقنا المتشجِّرِ(٣)

يمشونَ من تحتِ القذائفِ نحوَها ... لا يسألونَ عن السعيرِ الممطِرِ

في أعيُنِ البارى، وفوقَ يمينهِ ... جَرْحَى نُجِلُّهمُ: كجرحى خَيْبَرَ

من كلِّ ميمونِ الضِّمادِ، كأنَّما ... دمُ أهلِ بدرٍ فيه، أو دَمُ حَيْدَرِ(٤)

جَذلانُ، هَيِّنةٌ عليه جِراحهُ ... وجِراحهُ في قلبِ كلِّ غضنفرِ

ضُمِدَتْ بأهدابِ الجفونِ، وطالما ... ضُمِدتْ بأعرافِ الجيادِ الضُّمَّرِ(٥)

عُوّادُه يتمسَّحونَ بِرُدْنهِ ... كالوفدِ مَسَّحَ بالحطيمِ الأطهرِ(٦)

وتكادُ من نورِ الإلهِ حِيالَه ... تبيضُّ أثناءَ (الهلالِ الأحمرِ)

---

١ — اى لا يسمحون بالكوثر بديلا منها لو خيروا بين حياض نيلها وبينه.
٢— القرن: المكفء والنظير —٣— القنا: الرماح، والمتشجر: المشتبك. —٤— الحيدر: الأسد، ولقب من القاب الامام على بن ابى طالب. والضماد: عصابة الجرح —٥— الضمر: جمع ضامر، وهو من الخيل القليل اللحم الدقيق. والاعراف: جمع عرف، وهو شعر عنق الفرس —٦— الردن: اصل الكم.

الأزهر (*)

قمْ فى فَمِ الدُّنيا وَحىِّ الأَزهرا ... وانثُرْ على سَمْعِ الزّمانِ الجوهرا

واجعل مكانَ الدرِّ ـ إنْ فصَّلتَه ... فى مدحِهِ ـ خَرَزَ السماءِ النيِّرا

واذكُرْه بعد المسجِدَيْن ، مُعظِّمًا ... لمساجدِ اللهِ الثلاثةِ مُكْبِرا(١)

واخشع مَلِيًّا ، واقضِ حقَّ أئمةٍ ... طلعوا به زُهْرًا ، وماجوا أبحُرا

كانوا أجلَّ من الملوكِ جلالةً ... وأعزَّ سلطاناً ، وأفخمَ مظْهرَا

زمنُ المخاوفِ كان فيه جَنابُهم ... حَرَمَ الأمانِ ، وكان ظِلُّهمُ الذَّرا(٢)

من كلِّ بحرٍ فى الشريعة زاخرٍ ... ويُرِيكَهُ الخُلُقُ العظيمُ غضنفرا

لا تَحْذُ حذْوَ عِصابةٍ مفتونةٍ ... يجدون كل قديمِ شىءٍ منكرا

ولو استطاعوا فى المجامع أنكروا ... من مات من آبائِهم أو عُمِّرا

من كلِّ ماضٍ فى القديمِ وهَدْمِهِ ... وإذا تقدَّم للبنايةِ قصَّرا

وأتى الحضارةَ بالصناعةِ رَثَّةً ... والعلمِ نَزْرًا ، والبيانِ مُثَرْثِرا(٣)

* * *

يا معهدًا أفنى القرونَ جِدارُه ... وطوَى اللياليَ رَكْبُهُ والأَعْصُرا

ومشى على يَبَسِ المشارقِ نُورُه ... وأضاءَ أبيضَ لُجِّها والأحمرا

وأتى الزمانُ عليه يحمِى سُنّةً ... ويذُودُ عن نُسُكٍ ، ويمنع مَشْعَرا(٤)

(*) قيلت هذه القصيدة بمناسبة اصلاح الازهر الشريف والبدء فيه فى سنة ١٩٢٤

١ ـ المسجدان : المسجد الحرام والمسجد الاقصى . ٢ ـ الذرا : الملجا

٣ ـ النزر : القليل . والمثرثر : المخلط . ٤ ـ النسك : العبادة . والمشعر : موضع من مناسك الحج .

في الفاطميين انتمى ينبوعُه ... عذبَ الأُصولِ كجَدِّهم متفجِّرا(١)

عينٌ من الفرقان فاض تَميزُها ... وحياً من الفصحى جرَى وتحدَّرا(٢)

ما ضرَّني أن ليس أُفقُكَ مَطلعي ... وعلى كواكِبِهِ تعلمتُ السُّرَى

لا والذي وكَلَ البيانَ إليكَ ، لم ... آلُ دون غاياتِ البيانِ مُقصِّرا

لمَا جرى الإصلاحُ قمت مُهنئًا ... باسمِ الحنيفةِ بالمزيد مُبشِّرًا(٣)

نَبأٌ سَرَى ، فكسا المنارةَ حَبْرَةً ... وزها المُصلَّى ، واستخفَّ المِنبَرا(٤)

وَسَما بأَرْوِقةِ الهُدى ، فأَحلَّها ... فرعَ الثُّريَّا ، وهي في أَصلِ الثرى

ومشى إلى الحَلقاتِ ، فانفرجَتْ له ... حلقاً كهالاتِ السماء مُنَوَّرا

حتى ظنَنَّا الشافِعيَّ ، ومالكاً ... وأبا حنيفة ، وابن حنبل حُضَّرا

إنَّ الذي جعل العتيقَ مثابةً ... جعل الكنانيَّ المباركَ كوثرا(٥)

العلمُ فيه مناهِلًا ومجانيًا ... يلْقَى له النُّزَّاعُ يبغون القِرى(٦)

* * *

يا فِتيةَ المعمورِ ، سار حديثُكم ... نَدًّا بأفواهِ الركاب وَعنبَرا(٧)

المعهدُ القدسِيُّ كان نديَّه ... قُطبًا لدائرة البلاد ومِحْورا

وُلِدَتْ قضيَّتُها على محرابِه ... وحَبَتْ به طفلًا ، وشبَّتْ مُعصِرا(٨)

وتقلمت تُزجِي الصفوفَ ، كأنَّها ... (جانْدَرْكُ) في يدها اللواءُ مُظَفَّرا

* * *

---

١ ــ جد الفاطميين : امير المؤمنين علي بن ابى طالب ، وقد كان مضرب المثل في التبحر في العلوم . ــ٢ــ الفرقان : القرآن . والحيا : المطر . والفصحى : اللغة العربية . ــ٣ــ الحنيفة : الشريعة ــ٤ــ المنارة : المئذنة . والحبرة : السرور . ــ٥ــ العتيق : المسجد الحرام . والمثابة : مجمع الزمر . ــ٦ــ النزاع : القصاد . والقرى : الضيافة . ــ٧ــ المعمور : الازهر . ــ٨ــ طفلا : اى طفلة ، والمعصر : الفتاة المدركة :

هُزُّوا القرى من كهفِها ورَقيمِها   أنتم ـ لعمْرُ اللهِ ـ أعصابُ القرى
الغافِلُ الأُمّيُّ ينطِقُ عندكم   كالببّغاء ، مردّدًا ، ومُكرِّرا
يُمسِي ويصبحُ فى أوامِر دينهِ   وأمور دنياه بكم مُستبصِرا
لو قلتم : اختَرْ للنيابة جاهلاً   أو للخطابةِ باقلاً ، لتخيَّرا(١)
ذُكِرَ الرجالُ له ، فَأَلّهَ عصبةً   منهم ، وفسَّق آخرينَ ، وكفَّرا(٢)
آباؤكم قرءُوا عليه ، ورتّلوا   بالأمس تاريخَ الرِّجال مُزوَّرا
حتى تلفّتَ عن محاجر رومةٍ   فرأى (عرابى) فى المواكب قَيْصَرا
ودعا لمخلوقٍ ، وألّهَ زائلاً   وارتدَّ فى ظُلَمِ العصور القهقرى
وتَفَيّئوا الدستورَ تحت ظِلالهِ   كنفًا أهَشَّ من الرِّياض وأنضرا
لا تجعلوه هوًى ، وخُلْقًا بينكم   ومَجَرَّ دنيا للنفوسِ ، ومَتْجَرا
اليومَ صَرَّحَتِ الأمورُ ، فأظهرتْ   ما كانَ من خُدَعِ السياسة مُضمرَا
قد كان وَجْهُ الرأى أن نبقى يدًا   ونرى وراءَ جنودِها إنكلترا
فإذا أتتنا بالصفوف كثيرةً   جئنا بصفٍّ واحدٍ لن يُكسَرا
غضِبتْ ، فغضَّ الطرفَ كلُّ مُكابرٍ   يلقاكَ بالخدِّ اللطيمِ مُصعِّرا
لم تلقَ إصلاحاً يُهابُ ، ولم تجِد   من كُتلةٍ ما كانَ أعيا مِلْنَرا(٣)
حَظٌّ رجونا الخيرَ من إقباله   عاث المُفرِّقُ فيه حتى أدبرا
دار النيابة هيِّئت درجاتُها   فليرْقَ فى الدرَجِ الذوائبُ والذُّرا(٤)

---

١ ــ باقل : عربى يضرب به المثل فى العى والفهاهة . ــ٢ــ فسقه : رماه بالفسق . وكفره : نسبه الى الكفر . ــ٣ــ المراد بالكتلة : الأمة مجتمعة . واللورد ملنر : هــو احــد الوزراء الانجليز ، وكان قــدم الى مصر فى جماعة من قومه سنة ١٩٢٠ ليتقصوا رغائبها وامالها ، فقاطعتهم البــلاد واحالتهم على الوفد المصرى الــذى كانت وكلته فى الدفاع عن حقها انذاك ــ٤ــ المراد بالذوائب والذرا : عليــة القوم واكفاؤهم .

الصارخون إذا أسيء إلى الحِمَى … والزائرون إذا أُغيرَ على الشرى
لا الجاهلون العاجزون ، ولا الأُلى … يمشون فى ذَهَب القيود تبَخْتُرا

وداع فروق

تجلدَ للرحيل ، فما استطاعا … وداعاً جَنّةَ الدنيا وداعا(١)
عسى الأيامُ تجمعني ، فإني … أرى العيشَ افتراقاً واجتماعا
ألا ليتَ البلادَ لها قلوبُ … – كما للناسِ – تنفطرُ التِياعا(٢)
وليتَ لدى (فروقٍ) بعضَ بثِّي … وما فعلَ الفراقُ غداةَ راعا(٣)
أما واللهِ ، لو علِمتْ مكانى … لأنطقت المآذنَ والقلاعا
حَوَتْ رِقَّ القواضب والعَوالى … فلما ضِفتُها حوت اليَراعا(٤)
سألتُ القلبَ عن تلك الليالى … أكُنَّ لياليًا أم كُنَّ ساعا ؟(٥)
فقال القلبُ : بل مرّت عِجالاً … كدقّاتى لذكراها سِراعا
أدارَ (محمد) وتراثَ (عيسى) … لقد رَضِياكِ بينهما مشاعا(٦)
فهل نبذ التعصُّبَ فيكِ قومٌ … يمد الجهلُ بينهم النِزاعا ؟
أرى الرحمنَ حصَّنَ مسجديه … بأطولِ حائط منكِ امتناعا
فكنتِ لبيته المحجوجِ ركناً … وكنتِ لبيتِه الأقصى سِطاعا(٧)

---

١ ـ تجلد : تكلف الجلد واظهره . والجلد : قوة الصبر .
ـ٢ـ تنفطر : تنشق . والالتياع : احتراق القلب من الهم أو الشوق .
ـ٣ـ فروق : الاستانة والبث : أشد الحزن . راع : أفزع ـ٤ـ القواضب : السيوف القاطعة . مفردها : قاضب . والعوالى : جمع عالية ، وهى من الرمح أعلى رأسه ، أو نصفه الذى يلى السنان ، أو ما دخل منه تحت السنان الى ثلثه . ـ٥ـ الساع : جمع ساعة

٦ـ المشاع (بفتح الميم وضمها) : المشترك غير المقسوم .
٧ ـ السطاع : عمود البيت .

هواؤكِ والعيونُ مُفجّراتٌ   كفى بهما من الدنيا متاعا(١)
وشمسُكِ كلما طلعتْ بأفْقٍ   تخطّرتِ الحياةُ به شُعاعا
وغيدُك ، هنّ فوق الأرض حورٌ   أوانسُ ، لا نقابَ ولا قِناعا
حَوالَىْ لُجّةٍ من لازَوَرْدٍ   تعالى اللهُ خَلْقًا وابتداعا
يروح لُجَيْنُها الجارى ويَغدو   على الفِردوسِ آكاماً وقاعا(٢)

رحالة الشرق(*)

أقدِمْ ، فليس على الإقدام مُمتنع   واصنع به المجدَ ، فهو البارعُ الصَّنَعُ(٣)
للناس فى كل يومٍ من عجائبه   ما لم يكن لامرئٍ فى خاطرٍ يقع
هل كان فى الوهم أن الطير يخلُقها   على السماء لطيفُ الصُّنع ، مُختَرِع؟
وأن أدراجَها فى الجوّ يسلكها   جنٌّ ، جُنودُ سليمانٍ لها تَبَع ؟
أعيا العُقَابَ مَداهُم فى السماء ، وما   راموا من القُبّة الكبرى ، وما فرَعوا(٤)
قل للشباب بمصر : عَصْرُكم بطَلٌ   بكل غايةِ إقدامٍ له وَلَع
أُسُّ الممالك فيه هِمّةٌ وحِجًى   لا الترهاتُ لها أُسٌّ ، ولا الخدع
يُعطى الشعوبَ على مقدار ما تبغوا   وليس يبخَسُهم شيئًا إذا برعوا

---

١ — العيون : هى عيــــون الماء . —٢— لجينها : اى اللجنة . واللجين : الفضة . والاكام : التلال . والقاع :ارض سهلة مطمئنــة انفرجت عنها الجبال والآكام .

(*) بعد رحلة طويلة شـــاقة فى صحراء ليبيا ؛ استطاع الرحالة المصرى الكبير احمد حسنين ، ان يســدى الى العلم يدا بيضاء ، وان يكشــف للناس عن مجاهل هذه البيداء ، فلما عاد قابلته البلاد بالحفاوة والترحاب ، واحتفل به القوم احتفالا فخما القيت فيه هذه القصيدة . —٣— الصنع : الحاذق . —٤— فرع الجبل : صعده .

ماذا تُعِدُّون بعد البرلمان له ... إذا خِيارُكمُ بالدَّولة اضطلعوا ؟(١)

البَرُّ ليس لكم فى طوله لُجُمُ ... والبحر ليس لكم فى عرضه شُرُعُ(٢)

هل تنهضون عساكُم تلحقون به ؟ ... فليس يلحق أهلَ السير مُضطَجِع

لا يُعجبنَّكمُ ساعٍ بتفرقةٍ ... إن المِقَصَّ خفيفٌ حين يقتطع

قد أشهدوكم من الماضى وما نبشت ... منه الضغائنُ ما لم تشهد الضُّبُعُ

ما للشباب وللماضى تمرُّ بهم ... فيه على الجيف الأحزابُ والشيَع ؟

إنّ الشبابَ غدٌ ، فليهْدِهِم لغدٍ ... وللمسالك فيه الناصحُ الوَرِع

لا يَمنعنَّكُمُ برُّ الأبوّةِ أن ... يكون صُنعكمُ غيرَ الذى صنعوا

لا يُعجبنَّكُمُ الجاهُ الذى بلغوا ... من الولاية ، والمالُ الذى جمعوا

ما الجاهُ والمالُ فى الدنيا وإن حَسُنا ... إلّا عوارىُّ حظٍّ ثم تُرتجَع(٣)

عليكُمُ بخيال المجد ، فأْتَلِفوا ... حِيالَهُ ، وعلى تِمثاله اجتمعوا

وأَجْمِلوا الصبرَ فى جِدٍّ وفى عمل ... فالصبر ينفعُ ما لا ينفعُ الجزَع

وإن نَبَغْتُمْ ففى علم ، وفى أدب ... وفى صناعات عصرٍ ناسُه صُنُع

وكلُّ بنيان قومٍ لا يقوم على ... دعائم العصرِ من رُكنيهِ ؛ مُنْصَدِع

شريفُ مكة حُرٌّ فى ممالكه ... فهل تُرى القومُ بالحرّية انتفعوا ؟

* * *

كم فى الحياة من الصحراء من شَبَهٍ ... كلتاهما فى مُفاجاة الفتى شَرَع(٤)

وراء كلٍّ سبيلٍ فيهما قَدَرٌ ... لا تعلمُ النفسُ ما يأتى وما يَدَع

---

١ ــ اضطلعوا : اى نهضوا بهـا ــ ٢ــ الشرع : جمع الشراع . والمراد بها هنا السفن ، من اطلاق الجـزء على الكل . واللجم ، والشرع : يراد بها قوة البر ، وقـوة البحـر . ــ٣ــ العوارى : جمـع عارية ، وهى العطية بلا عوض . ــ٤ ــ شرع : أى سواء .

فلستَ تدرى — وإن كنتَ الحريصَ — متى ... تهُبُّ رِيحاهما ، أو يَطلعُ السبعُ ؟

ولستَ تأمنُ عند الصحو فاجئةً ... من العواصف ، فيها الخوفُ والهَلَع

ولست تدرى — وإن قدَّرتَ مجتهِدًا — ... متى تحطُّ رحالًا ، أو متى تَضَع ؟

ولست تملكُ من أمر الدليل سوى ... أنّ الدليلَ — وإن أرداك — متَّبَع

وما الحياةُ إذا أظمَت ، وإن خدَعت ... إلّا سرابٌ على صحراء يلتمِع

* * *

أكبرتُ من (حَسَنَيْنٍ) هِمَّةً طمَحَتْ ... تَرومُ ما لا يرومُ الفِتيةُ القُنُع

وما البطولةُ إلّا النفسُ تدفعها ... فيما يبلِّغُها حَمْدًا ، فتندفع

ولا يُبالى لها أهلٌ إذا وصلوا ... طاحوا على جنَباتِ الحمدِ أم رجَعوا

رَحَّالةَ الشرق ، إن البيدَ قد علمتْ ... بأنك الليثُ لم يُخلَق له الفَزَع

ماذا لقيتَ من الدوِّ السحيق ، ومن ... قَفْرٍ يَضيقُ على السارى ، ويتسع ؟(١)

وهل مررْتَ بأقوامٍ كفِطرتِهم ... من عهد آدمَ لا خُبْثٌ ولا طَبَع ؟(٢)

ومن عجيبٍ لغير اللهِ ما سجدوا ... على الفَلا ، ولغير الله ما ركَعوا

كيف اهتدى لهمُ الإسلامُ ، وانتقلتْ ... إليهمُ الصلواتُ الخمسُ والجُمع ؟

جَزتْكَ مصرُ ثناءً أنتَ موضِعُه ... فلا تذُبْ من حياءٍ حين تستمِعُ

ولو جزَتْك الصحارى جِئتَنا مَلِكًا ... من الملوك ، عليك الريشُ والوَدَع(٣)

---

١ — الدو : المفازة . — ٢ — الطبع : الشين ، والعيب ، والدنس .
— ٣ — الريش والودع : عنوان العظمة فى أواسط افريقيا .

بـــراءة (*)

النّاسُ للدنيا تَبَع ... ولمن تُحالِفُه شِيَع
لا تهجعنَّ إلى الزما ... ن ، فقد يُنَبَّه مَنْ هجع(١)
واربأْ بحلْمكَ فى النوا ... زلِ أن يُلِمَّ به الجزع
لا تخلُ من أملٍ ، إذا ... ذهب الزمانُ فكَمْ رجَع
وانفع بوسعِك كلّه ... إنّ الموفَّقَ مَنْ نفع

* * *

مصر بنت لقضائها ... ركنًا على النجمِ ارتفع
فيه احتمى استقلالُها ... وبه تحصّن وامتنع
فليهنِها ، وليهنِنا ... أن القضاء به اضطلع(٢)
اللهُ صانَ رجَالَه ... مما يُدنِّس أو يَضع
ساروا بسيرة منذرٍ ... وأبى حنيفة فى الورَع
وكأنّ أيام القضا ... ء جميعها بهمُ الجُمَع
قل للمبرَّإ مُرْقُصٍ : ... أنت النَّقيُّ من الطَّبَع(٣)
هذا القضاءُ رماكَ بال ... يُمنَى ، وباليسرى نزع
هذا قضاءُ اللهِ ثمَّ ... تَنَلُ الحكومةِ ، مُتَّبَع
عُد للمحاماة الشريـ ... ـفة عَوْدَ مشتاقٍ وَلِع

(*) حرم الاستاذ مرقص فهمي حينا من الاشتغال بالمحاماة ، ثم برأه القضاء من تلك التهمـــة التي عزيت اليه ، فاحتفل بعـــودته الى المحاماة احتفالا القيت فيه هذه القصـــيدة .

١ ـ الهجوع : النوم . ٢ ـ اضطلع : قوى .
٣ ـ الطبع : الشين والعيب ..

والبسْ رِداءكَ طاهرًا   كرداء مرقصَ فى البِيَعِ(١)
وادفع عن المظلوم وال   محروم أبلغَ مَنْ دفع
واغفر لحاسِدٍ نعمةٍ   بالأمسِ نالك أو وقع(٢)
ما فى الحياةِ لأن تعا   تِبَ أو تُحاسِبَ ، مُتَّسع

الصحافة(*)

لكلِّ زمانٍ مضى آيةٌ   وآيةُ هذا الزمانِ الصُّحُف
لسانُ البلادِ ، ونبضُ العباد   وكهفُ الحقوق ، وحربُ الجنَف(٣)
تسيرُ مسيرَ الضحى فى البلاد   إذا العلمُ مزَّق فيها السَّدف(٤)
وتمشى تُعلِّمُ فى أمةٍ   كثيرةِ مَنْ لا يخُطُّ الألِف!
فيا فتيةَ الصحْف ، صبرًا إذا   نبا الرزقُ فيها بكم واختلف
فإنّ السعادةَ غيرُ الظهو   رِ ، وغيرُ الثراء ، وغيرُ الترف
ولكنها فى نواحى الضمير   إذا هو باللؤم لم يُكتنف
خذوا القصدَ ، واقتنعوا بالكفاف   وخلوا الفضولَ يغلْها السَّرف(٥)
وروموا النبوغَ ، فمن ناله   تلقَّى من الحظِّ أسنى التحَف
وما الرزقُ مجتنِبٌ حِرْفَةً   إذا الحظُّ لم يهجر المحترف

---

١ ــ البيع : جمع بيعة ، وهى متعبد للنصارى . ــ٢ــ وقع فلان فى فلان : سبه وعابه . (*) ألف اصحاب الصحف العربية نقابة تجمع كلمتهم ، وقد ألقيت هذه القصيدة فى الاحتفال بانشائها . ــ٣ــ الجنف : الحيف . ــ٤ــ السدف : الظلام ــ٥ــ الفضول : فضلات المال الزائدة عن الحاجة وغالها السرف بقولها : اتى عليها .

إذا آخت الجوهريّ الحظوظ كفلنَ اليتيمَ له في الصَّدف(١)
وإن أعرضت عنه لم يحلُ في عيونِ الخرائد غيرُ الخزف(٢)

* * *

رعى اللهُ ليلتكم ، إنها تلت عنده ليلةَ المنتصَف(٣)
لقد طلع البدرُ من جُنْحها وأوما إلى صُبحِها أن يقف
جلوتم حواشيَهَا بالفنون فمن كل فنٍّ جميل طَرف
فإن تسألوا : ما مكانُ الفنون؟ فكم شرفٍ فوق هذا الشرف(٤)
أريكةُ (موليير) فيما مضى وعرشُ (شِكسبيرَ) فيما سلف
وعودُ (ابن ساعدةٍ) في عُكاظ إذا سال خاطره بالطُّرَف(٥)
فلا يَرْقَيَنْ فيه إلاّ فتًى إلى درجات النبوغ انصرف
تُعلِّمُ حكمتُه الحاضرين وتُسْمِعُ في الغابرين النُّطف(٦)

* * *

حمدنا بلاءكُم في النضالِ وأمسِ حمدنا بلاء السلف
ومن نسيَ الفضلَ للسابقين، فما عرف الفضلَ فيما عرف
أليس إليهم صلاح البناء إذا ما الأساس سما بالغرف ؟
فهل تأذنون لذى خَلَّةٍ يَفضُّ الرياحين فوق الجيف؟
فأين (اللواء) ، وربُّ اللواء إمامُ الشباب ، مثالُ الشرف ؟(٧)

---

١ ـ اليتيم : اللؤلؤ المنقطع النظير ٠ ـ٢ـ الخرائد : العذارى . ـ٣ـ المنتصف : منتصف شعبان . ـ٤ـ الشرف أولا : العلو والمجد . والشرف ثانيا : الموضع العالى ، وهو هنا المسرح ـ٥ـ عود ابن ساعدة : أى منبر قس بن ساعدة ، وهو اخطب خطباء الجاهلية ـ٦ـ الغابرين : الآتين ٠ والنطف : جمع نطفة ، وهى اصل النسل . ـ٧ـ رب اللواء : المرحوم مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء

وأين الذى بينكم شِبْلُه … على غاية الحق نِعْمَ الخلف ؟

ولا بدّ للغرس من نقله … إلى من تعهّد ، أو من قطف

فلا تجحدنَّ يدَ الغارسين … وهذا الجَنى فى يديك اعترف

أُولئك مَرُّوا كدود الحرير … شجاها النَّفاعُ وفيه التلف(١)

عيــد الفداء(*)

أما العتابُ ، فبالأحبّة أخلَقُ … والحبُّ يصلُحُ بالعتاب ويصدُق

يا من أُحِبُّ ، ومن أُجِلُّ ، وحسْبه … فى الغيدِ منزلةً يُجَلُّ ويُعشَق

البُعْدُ أدنانى إليكَ ، فهل تُرى … تقسو وتنفرُ ، أم تلين وترفُق ؟

فى جاهِ حسنِك ذِلَّتى وضراعتى … فاعطِف ، فذاك بجاهِ حُسنكَ أليق !

* * *

خَلُقَ الشباب ، ولا أزال أصونُه … وأنا الوفىُّ ، مَوَدّتى لا تَخلُق(٢)

صاحبته عشرين غيرَ ذميمةٍ … حالى به حالٍ ، وعَيْشِىَ مُونِق(٣)

قلبى ، اذّكرتَ اليوم غير مُوَفَّقٍ … أيامَ أنتَ مع الشبابِ موفَّق

فخفقتَ من ذكرى الشبابِ وعهدِه … لهفِى عليك ! لكل ذكرى تخفُق

كم ذُبتَ من حُرَقِ الجوَى ، واليوم من … أسفٍ عليه وحسرةٍ تتحرَّق

---

١ ــ النفاع : النفع . (*) كان لهذه القصيدة يوم نشرت ضــجة هائلة ، ولعلها اســـتمدت معظمها من تلك الابيات التى تنطق فيها ذكرى الشباب، والتي قلما وفق الى مثلها شـــاعر ،ولقد نظمت هذه القصيدة معارضـة لأخرى من رويها للمرحوم اسـماعيل صبرى باشا . ــ٢ــ خلق الشيء : بلى .

٣ ــ الحالى : الحلو ، او المزين .

كنتَ الشِّباكَ ، وكان صيدًا في الصِّبا ... ما تسترِقُ من الظباءِ وتُعتِقِ
خدَعتْ حبائلكَ المِلاحَ هُنيةً ... واليومَ كلُّ حِبالةٍ لا تَعلَقِ
هل دون أيامِ الشبيبة للفتى ... صفوٌ يحيطُ به ، وأُنسٌ يُحدِقِ ؟

نكبة بيروت

يا ربِّ ، أمرُكَ في الممالكِ نافذٌ ... والحكمُ حكمُكَ في الدمِ المسفوكِ
إن شئتَ أهرقْهُ ، وإن شئتَ احمِهِ ... هو لم يكن لسواكَ بالمملوكِ
واحكم بعدلِكَ ، إن عدلَكَ لم يكن ... بالمُمترَى فيه ، ولا المشكوكِ
ألِأجلِ آجالٍ دنتْ وتهيَّأتْ ... قدَّرتَ ضربَ الشاطئِ المتروكِ ؟
ما كان يحميه ، ولا يُحمَى به ... فُلكانِ أنعَمُ من بواخرِ « كوك »(١)
هذي بجانبِها الكسيرِ غريقةٌ ... تهوى ، وتلك بركنِها المدكوكِ

* * *

بيروتُ ، مات الأُسْدُ حتفَ أنوفِهم ... لم يُشهِروا سيفًا ، ولم يحموكِ
سبعون ليثًا أُحرِقوا ، أو أُغرِقوا ... يا ليتهم قُتِلوا على « طبروكِ »
كلٌّ يصيد الليثَ وهو مقيَّدٌ ... ويعزُّ صيدُ الضَّيغمِ المفكوكِ
يا مضرِبَ الخِيَمِ المنيفةِ للقِرى ... ما أنصفَ العُجمُ الأُلى ضربوكِ(٢)
ما كنتِ يوماً للقنابلِ موضعاً ... ولو انَّها من عسجدٍ مسبوكِ
بيروتُ ، ياراحَ النزيلِ ، وأُنسَهُ ... يمضي الزمانُ عليَّ لا أسلوكِ

---

١ ــ قيلت على أثر ضرب الأسطول الايطالى مدينة بيروت . ــ ١ ــ أى لم تكن تستطيع حمايته هاتان السفينتان الصغيرتان اللتان اعدتا به للرياضـــة والتنعم : لا للحـرب والقتـــــال . ــ٢ــ القرى : الضيافة .

الحسنُ لفظٌ في المدائنِ كلِّها ... ووجدتُه لفظًا ومعنًى فيك

نادمتُ يوماً في ظِلالِكِ فتيةً ... وسَمُوا الملائكَ في جلالِ ملوك(١)

يُنسونَ (حساناً) عصابة (جِلِّقٍ) ... حتى يكاد بجلق يفديك(٢)

تالله ما أحدثتِ شراً أو أذىً ... حتى تُراعِي ، أو يُراعَ بَنوك

أنتِ التي يحمي ويمنع عِرضَها ... سيفُ الشريفُ ، وخِنجرُ الصُّعلوك

إن يجهلوكِ ، فإنَّ أمَّك سوريا ... والأبلقَ الفردَ الأشمَّ أبوك(٣)

والسابقين إلى المفاخر والعُلا ... بَلْهَ المكارمَ والندى أهلوك

سالت دماءٌ فيكِ حول مساجدٍ ... وكنائسٍ ، ومدارسٍ و « بُنوك »

كنا نؤمِّل أن يُمَدَّ بقاؤها ... حتى تَبِلَّ صدَى القنا المشبوك

للكِ في رُبَى النيلِ المبارَك جِيرةٌ ... لو يقدِرون بدمعهم غسلوك

تكليل أنقرة وعزل الآستانة

قُمْ ناد (أنقرةً) وقل: يَهنيك ... مُلْكٌ بَنَيْتِ على سيوفِ بَنِيكِ

---

١ ـ واسمه في الحسن فوسمه : أي غلبه فيه ـ٢ـ حسان بن ثابت : شاعر النبي صلى الله عليه وسلم . وبعصابة جلق : هم ملوك غسان . وجلق : هي دمشق . وكان حسان بن ثابت كثيرا ما يفد على آل غسان، ويمدحهم ، وينال منحهم ، فمما يناسب هذا المقام قوله :

لله در عصابة نادمتهم ... يوما بجلق في الزمان الأول

اولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

بيض الوجوه ، كريمة احسابهم ... شم الانوف ، من الطراز الأول

يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لايسالون عن السواد المقبل

(٣) الابلق : جبل لبنان .

أعطيتِه ذَوْدَ اللبَاةِ عن الشرى ... فأخاتَيه حُرًّا بغير شريك(١)
وأقمتِ بالدّم جانبيْه ، ولم تزلْ ... تُبنَى الممالكُ بالدّم المسفوك
فعقدتِ تاجَكِ من ظُبًى مسلولة ... وحللت عرشكِ من قنًا مشبوك(٢)
تاجٌ ترى فيه إذا قلّبته ... جهدَ الشريفَ ، وهمةَ الصُّعلوك(٣)
وترى الضحايا من معاقد غاره ... وعلى جوانب تِبْرِهِ المسبوك(٤)
وتراه في صَخَبِ الحوادث صامتاً ... كالصخر في عَصْفِ الرياح النُّوك(٥)
خرزاتُه دَمُ أُمّةٍ مهضومة ... وجهودُ شعب مُجْهَدٍ منهوك
بالواجب التمس الحقوقَ ، وخاب مَن ... طلب الحقوقَ بواجب متروك
لا الفردُ مَسّ جبينَكِ العالى ، ولا ... أعوانُه بأكفِّهم لمَسوك(٦)
لمّا نفرْتِ إلى القتال جماعةً ... أصلَوْك نارَ تلصُّصٍ وفُتوك(٧)
هدروا دماء الأُسْدِ في آجامها ... والأُسْدُ شارعةُ القَنا تحميك(٨)

---

١ — الذود : مصدر ذاده عن الشيء : دفعه عنه . واللباة أنثى الاسد . والشرى : مكان في جانب الفرات ، تكثر فيه الاسود ، ويضرب به المثل في ذلك —٢— الظبى : جمع ظبة : وهي حد السيف والسنان ونحوهما —٣— الجهد ، بضم الجيم وفتحها : الطاقة . وقيل المشقة —٤— المعاقد : مواضع الانعقاد . والغار : شجر عظيم ، واحدته غارة ، وكان الاغريق الاقدمون والرومان ايضا يضفرون منه أكاليل لابطالهم المنتصرين في الحروب . والتبر : الذهب غير المضروب . المسبوك : المذوب المفرغ في القالب —٥— الصخب : الصوت شديدا وعصف الرياح : اشتدادها . والنوك : جمع نوكاء ، وهى الحمقاء —٦— لا الفرد : أي لا الفرد المستبد بالحكم ، والخطاب لانقرة ، ويريد بالفرد : السلطان محمد وحيد الدين واعوانه : وزراؤه الذين ارادوا أن يخمدوا حركة الاناضول ضد اليونان والانجليز —٧— نفرت الى القتال : ذهبت اليه مسرعة . واصلوك : أحرقوك ، اى اولئك الاعوان . والتلصص : أن يصير الانسان لصا . وأن يتخلق بأخلاق اللصوص . والفتوك : مصدر فتك : اى بطش ، وفتك فلان في الخبث : اذا بالغ فيه —٨— الاجمة : الشجر الكثير الملتف ، جمعها أجم بفتح الجيم ، وجمع الجمع آجام ، وهو الوارد في البيت . وهو يشير الى فتوى شرعية كانت حكومة الاستانة قد اذاعتها في اول امر الفاتحين في الاناضول ، تحلل بها قتالهم .

يابنت (طوروسَ) المرَّدِ، طأطأتْ ... شُمُّ الجبال رءوسَها لأبيك(١)

أَمنتُما فى العزّ ، واستعْصَمْتُما ... هو فى السحاب ، وأنت فى أهليك(٢)

نحتَ الشعوبُ من الجبال ديارَهم ... والقومُ من أخلاقِهم نحتوك

فلو انَّ أخلاقَ الرجالِ تَصَوَّرتْ ... لرأيتِ صخرتَها أساساً فيك

إنَّ الذين بَنَوْكِ أشبهُ نيَّةً ... بشباب (خيْبرَ) ، أوكهولِ (تَبُوك)(٣)

حَلفوا على الميثاق ؛ لا لمَعوا الكرى ... حتى تذوق النصرَ ، هل نصروك ؟(٤)

زَعموا (الفرنسىُّ) المحجّل صورةً ... فى حلْبةِ الفرسان من حاميك(٥)

(النسرُ) سَلَّ السيفَ يَبْنى نفسَه ... وفتاكِ سَلَّ حسامه يَبنيك(٦)

والنسرُ مملوكٌ لسلطان الهوى ... ووجدتُ نسرَكِ ليس بالمملوك

يادولةَ الخلُق التى تاهت على ... ركن السِّماكِ بركنِها المسموك(٧)

بينى وبينك ملّةٌ وكتابُها ... والشرق يَنْميني كما يَنْميك

قد ظنَّنى اللاحى نطقت عن الهوى ... وركبت متنَ الجهلِ إذ أطريك(٨)

لم يُنقِذِ الإسلامَ أو يرفعْ له ... رأساً سوى النفرِ الأُلى رفعوك

رُدُّوا الخيالَ حقيقةً ، وتطلعوا ... كالحق حَصْحَصَ من وراء شكوك(٩)

١ـ طوروس : جبل عظيم فى آسيا الصغرى . والمرد : المطول الملس ـ٢ـ امنتما : ابعدتما . واستعصمتما : امتنعتما ـ٣ـ خيبر اسم مكان كان به سبعة حصون ، غزاه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتبوك : ارض بين المدينة والشام نسبت اليها غزوة من غزوات النبى ايضا ـ ٤ـ الميثاق : امور كان القائمون بدعوة القتال قد اخذوا على انفسهم ان يقاتلوا حتى لتتم للامة ـ٥ـ الفرنسى : نابليون بونابرت ـ٦ـ النسر : لقب نابليون . يريد بفتاك ـ فى هذا البيت ، وبحاميك ـ فى البيت قبله ـ مصطفى كمال ـ٧ـ السماك : كوكب معروف . والمسموك : المرفوع ـ٨ـ اللاحى : اللائم . متن الجبل : ظهره ـ٩ـ حصحص الحق : بان بعد كتمانه .

لم أكذِبْ التاريخَ حين جعلتُهم رُهبانَ نسْك ، لا عجُولَ نسيك(١)
لم ترضَني ذَنَبًا لنجْمكِ همّتي إن البيان بنجمه يُنبيك(٢)
قلمي — وإن جهل الغبيُّ مكانَه — أبقى على الأحقاب من ماضيك(٣)
ظفرتْ بيونانَ القديمةِ حكمتي وغزا الحديثة ظافِرًا غازيك

* * *

منى لَعهدكِ يا (فروقُ) تحيّةٌ كعيونِ مائك ، أو رُبَى واديك(٤)
أو كالنسيم غدا عليك ، وراح من فُوفِ الرياضِ ، ووَشْيِها المحبوك(٥)
أو كالأصيل جرى عليك عقيقُه أو سالَ من عِقْيانه شاطيك(٦)
تلك الخمائلُ والعيونُ ، اختارها لك من رُبَى جنّاتهِ باريك(٧)
قد أفرَغت فيك الطبيعةُ سحرها من ذا الذى من سحرها يَرْقيك ؟
خلعت عليكِ جمالَها ، وتأمّلت فإذا جمالُكِ فوق ما تكسوك
تالله ما فَتَنَ العيونَ ولذّها كقلائدِ الخُلجانِ فى هاديك
من جيدكِ الحالى تلفّتتِ الرُّبى واستضحكتْ حُورُ الجِنانِ بفيك
إن أنسَ لا أنسَ الشبيبةَ ، والهوى وسوالفَ اللذاتِ فى ناديك(٨)
ولياليًا لم ندر أين عِشاؤها من فجرها لولا صياحُ الديك

١— النسيك : الذهب والفضــة —٢— ينبيك : يخبرك —٣— الاحقاب : جمع حقب ، بضم الحــاء ، قيل : هو ثمانون عاما ، وقيل : هو الدهر —٤— فروق : هى الاســـتانة —٥— فوف الرياض : زهرها ، تشبيهالها بفـــوف الثياب ، وهى نوع من برود اليمن . والوشى : نمنمة الثــوب وتحسينه ، وهو أيضا نوع من الثياب الموشــية ، تسميةلها باسم المصدر . والمحبوك — من حبك الحائك الثــوب : حسن أثر الصنعة فيه —٦— الاصيل : هو مابعد العصر الى المغرب . والعقيان : الذهب الخالص —٧— الخمائل : جمع خميلة ، وهى الشجر الكثير الملتف —٨— ان انس لا انس : أى ان نسيت شيئا فلست أنسى الشبيبة .. الخ .

وصَبُوحَنا من (بَندِلارَ) وشِرشِرٍ ... وغَبُوقَنا (بترابيا) و (بيوك)(١)
لو أن سلطانَ الجمالَ مخلَّدٌ ... لمليحة ، لعذلتُ من عذلوك
خلعوكِ من سلطانِهم ، فسليهمُ ... أمن القلوب ومُلكِها خلعوك ؟
لا يَحزُنَنَّكِ من حُماتِكِ خطةٌ ... كانت هي المُثلى ، وإن ساءوك
أيُقالُ : فتيانُ الحمى بك قصّروا ... أم ضيّعوا الحرماتِ ، أم خانوك؟
وهمُ الخفافُ إليك ، كالأنصار إذ ... قلَّ النصير ، وعزَّ مَنْ يفديك
المشترُوكِ بمالهم ، ودمائهم ... حين الشيوخُ بجُبّة باعوك
هدروا دماء الذائدين عن الحمى ... بلسان مفتى النارِ ، لا مُفتيك(٢)
شربوا على سرِّ العدوِّ ، وغرّدوا ... كالبُوم خلف جدارك المدكوك(٣)
لو كنتِ (مَكّةَ) عندهم لرأيتِهم ... (كمحمدٍ) و (رفيقِه) هجروك(٤)

* * *

يا راكب الطامى يجوبُ لجاجَه ... مِن كل نَيِّرة وذات حُلوك(٥)
إن جئتَ (مرمرةً) تحثُّ الفُلْكَ فى ... بَهج ، كآفاق النعيم ، ضحوك(٦)
وأتيت (قرن التبر) ثُمَّ تحفُّهُ ... تُحفُ الضحى من جوهرٍ وسلوك(٧)
فأطلع على (دار السعادة) ، وابتهل ... فى بابها العالى ، وأدِّ ألوكى(٨)

١ــ الصبوح : شراب الصباح . والغبوق : شراب العشى . وبندلار ، وترابيا ، وبيوك : أســـماء أمكنة فى الاسـتانة ــ٢ــ الذائدين عن الحمى : جمع ذائد ، وهو المدافـع . ومفتى النار : شــيخ الاســلام الذى افتى بقتالهم ــ٣ــ شربوا : اى الشــيوخ ــ٤ــ عندهم : عند فتيان الحمى الذين اشتروك بمالهم ودمائهم ــ٥ــ الطامى: البحر . واللجاج : جمع لجة . من كل نيرة : اى كل لجة نيرة بيضاء ، يكنى بذلك عن البحر الابيض المتوســط . وذات حلوك : اى ومن كل لجة سوداء ذات حلوك ، يكنى بذلك عن البحــر الاسود ــ٦ــ مرمرة : هو بحر مرمرة تدخله من مضيق الدردنيل ، ويصــله بالبحر الاسود مضيق البسفور ــ ٧ــقرن التبر : هو القرن الذهبى ، وهو جزء من البسفور ــ٨ــ دار الســعادة : هى الاستانة . والالوك : الرسالة .

قُل للخلافةِ قولَ باكٍ شمسَها ... بالأمس لما آذنت بدُلوكِ(١)

يا جذوةَ التوحيدِ ، هل لكِ مُطفِئٌ ... واللهُ جلّ جلالُه مُذكيك ؟(٢)

خلتِ القرونُ ، وأنت حربُ ممالكٍ ... لم يغفِ ضدُّك ، أو ينَم شانيكِ(٣)

يرميكِ بالأممِ الزمانُ ، وتارةً ... بالفرد واستبدادِه يرميك

عودي إلى ماكنتِ في فجر الهدى ... عُمَرٌ يسوسُك ، (والعتيقُ) يليك(٤)

إن الذين توارثوكِ على الهوى ... بعد (ابن هندٍ) طالما كذبوك(٥)

لم يلبسوا بُردَ النبي ، وإنما ... لبِسوا طقوسَ الروم إذ لبِسوك

إني أعيذُكِ أن تُرَىْ جبارةً ... كالبابَوِيَّةِ في يَدَىْ (رُدريك)

أو أن تَزُفَّ لكِ الوراثةُ فاسقًا ... (كيزيدَ) ، أو كالحاكم المأفوك(٦)

فُضّي نُيوبَ الفردِ ، ثم خذى به ... في أيّ ثَوْبَيْه به جاءوك(٧)

لا فرق بين مُسَلَّطٍ متتوّجٍ ... ومُسَلَّطٍ في غير ثوب مليك

إني أرى الشورى التي اعتصموا بها ... هي حبلُ ربِّكِ ، أو زمام نبيكِ

١— الدلوك : غروب الشمس —٢— مذكيك : موقدك —٣— لم يغف : لم ينم . والشانيء : المبغض —٤— يشير الى ترك الملك المحصور في اسرة واحدة ، والرجوع الى جعله حقا يتولاه من تبايعه الامة ، كما كان لعهد الخلفاء الراشدين —٥— ابن هند : هو معاوية بن ابي سفيان اول الخلفاء من بني أمية —٦— يزيد : هو يزيد بن الوليد ، من ملوك بني امية ، كان من أصحاب الدعارة والفسوق . والحاكم : هو الحاكم بأمر الله احد الملوك الفاطميين في مصر ، كان فاسقا مختبلا وكانت له بدع وضلالات يحمل الناس عليها قسرا —٧— فضي نيوب الفرد : إنثريها ، ومنه قولهم فض الله فم فلان : اي نثر اسنانه . والنيوب : جمع ناب .

عيد الدهر وليلة القدر(*)

الملكُ بين يديكَ فى إقبالهِ ... عوَّذتُ مُلكَك بالنبى وآله(١)

حُرٌّ ، وأنت الحرُّ فى تاريخهِ ... سمحٌ ، وأنت السمحُ فى أقياله(٢)

فيضا على الأوطانِ من حُريةٍ ... فكِلاكما المفتكُّ من أغلاله(٣)

سعِدَت بعهدكما المباركِ أمةٌ ... رَقّت لحالِكَ حقبةً ، ولحاله(٤)

يَفديكَ نصرانيُّه بصليبه ... والمنتمى (لمحمدٍ) بهلاله

وفتى الدروزِ على الحُزونِ بشيخه ... والموسَوىُّ على السهولِ بماله(٥)

صدَقوا الخليفةَ طاعةً ومحبة ... وتمسكوا بالطُّهر من أذياله

يجدون دولتَك التى سَعِدوا بها ... من رحمةِ المولى ، ومن أفضاله

جدَّدت عهد (الراشدين) بسيرةٍ ... نسجَ (الرشادُ) لها على مِنواله

بُنيت على الشورى كصالح حكمهم ... وعلى حياةِ الرأى واستقلاله

حقٌّ أعزَّ بك المهيمنُ نصرَه ... والحقُّ منصورٌ على خُذَّاله(٦)

شرُّ الحكومةِ أن يُساسَ بواحدٍ ... فى الملك أقوامٌ عِدادُ رماله

مُلكٌ تُشاطِرُهُ ميامنَ حالِه ... وترى بإذن الله حُسنَ مآله(٧)

(*) « قيلت فى احتفال بالمولد النبوى الشريف » ـ ١ ـ الملك بين يديك : الخطاب للخليفة محمد رشاد الخامس ـ ٢ ـ حر : أى الملك ، يريد أنه غير مقيد بسلطة الفرد المستبد . وأنت الحر فى تاريخه ، لان الخليفة محمد رشاد اول خليفة دستورى . وسمح ، يقال : رجل سمح ، أى ذو سماحة وعطاء . والاقيال : جمع قيل ، وهو الملك ـ ٣ ـ كلاكما : اى أنت والملك والمفتك : المطلق ، والاغلال : جمع غل بضم الغين ، وهو طوق من حديد يجعل فى العنق ـ ٤ ـ الحقبة : المدة من الدهر ـ ٥ ـ الحزون : جمع حزن ، بفتح الحاء ، ما غلظ من الارض ـ ٦ ـ الخذال : جمع خاذل ، وهو الذى لا ينصرك ـ ٧ ـ الميامن : جمع ميمنة ، وهى اليمن والبركة .

أخذتْ حكومتُكَ الأمانَ لظبيه … فى مُقفرات البيدِ من رِئباله (١)

مكنتَ للدستور فيه ، وحُزتَه … تاجًا لوجهك فوقَ تاج جلاله (٢)

فكأنك (الفاروقُ) فى كرسيِّه … نَعِمتْ شعوبُ الأرضِ تحت ظلاله (٣)

أو أنت مثلُ (أبى ترابٍ) ، يَتْبَعُ … وبهابُه الأملاكُ فى أسماله (٤)

عهدُ النبيِّ هو السماحةُ والرضى … (بمحمد) أولى وسَمحِ خلاله

بالحق يحملُه (الإمامُ) ، وبالهدى … فى حاضرِ الدستورِ ، واستقباله

يابْنَ الخواقينِ الثلاثينَ الأُولى … قد جمّلوا الإسلام فوق جَماله (٥)

المبلغين الدِّين ذِروةَ مجده … الرافعين الملكَ أوجَ كماله (٦)

الموطِئين من الممالك خيلَهم … ما لم يفُز (إسكندرٌ) بوصاله (٧)

فى عدلِ (فاتحهم) و (قانونيِّهم) … ما يَحتذى الخلفاءُ حلوَ مثاله (٨)

أما الخلافةُ فهى حائطُ بيتكم … حتى يُبين الحشرُ عن أهواله

أُخِذَت بحدّ المشرفىّ ، وحازها … لكمُ القنا بقِصاره وطِواله (٩)

لا تسمعوا للمُرجِفين وجهلِهم … فمصيبةُ الإسلامِ من جُهّاله (١٠)

طمعُ القريبِ أو البعيد بِنَيْلِها … طمعُ الفتى من دهرِه بمحاله

١ـ الرئبال : الاسد ـ٢ـ مكنت للدستور : اى جعلته مكينا ثابتا . والدستور : هو القانون الذى ينظم حكم الشورى ـ٣ـ الفاروق : لقب عمر بن الخطاب ـ٤ـ ابو تراب : كنية على ابن ابى طالب . والاسمال : الثياب البالية واحدها سمل بفتح الميم ـ٥ـ الخواقين : جمع خاقان ، وهو اسم لكل ملك من ملوك الترك ـ٦ـ الأوج : العلو ـ٧ـ اسكندر : هو المقدوني الفاتح العظيم ـ٨ـ فاتحهم وقانونيهم : لقبان اولهما للسلطان محمد الفاتح ، لقب به لانه اول ملك فى الاسلام استطاع ان يفتح القسطنطينية ويقضى على كل سلطة للروم بها . وثانيهما للسلطان سليمان القانونى ، لقب به لانه اول واضع قانون للدولة التركية ـ٩ـ المشرفى : السيف ، نسبة الى موضع فى اليمن كانت تصنع به السيوف ـ١٠ـ المرجفون : من يخوضون فى الاخبار السيئة ليوقعوا الناس فى الاضطراب .

ما الذئبُ مُجترئًا على ليثِ الشّرى ... فى الغالب مُعتدياً على أشباله(١)
بأضلّ عقلا — وهى فى أيْمانكم — ... مِمّن يُحاول أخذَها بشماله

* * *

رضى المُهيمنُ ، والمسيحُ ، وأحمدٌ ... عن جيشِك القادى ، وعن أبطاله
الهازئين من الثرى بسهوله ... الدائسين على رءوس جِباله
القاتلين عدوّهم فى حصنه ... بالرأى والتدبير قبل قتاله
الآخذين الحصنَ عزّ سبيلُه ... مثلَ السها أو فى امتناعِ مَناله(٢)
المعرضين — ولو بساحة يَلْدز — ... فى الحرب عن عِرْضِ العدوّ وماله
القارئين على (علىّ) علمها ... وعلى الغزاةِ المتقين رجاله(٣)
الملكُ زُلزِلَ فى (فروق) ساعةً ... كانوا له الأوتادَ فى زلزاله
لولا انتظامُ قلوبهم ككفوفِهم ... لنثرتُ دمعى اليومَ فى أطلاله(٤)
والمرءُ ليس بصادقٍ فى قوله ... حتى يؤيِّدَ قولَه بِفعاله
والشعبُ إن رامَ الحياةَ كبيرةً ... خاض الغمارَ دماً إلى آماله(٥)
شكرُ الممالك للسَّخىِّ بروحه ... لا السخىّ بقِيله أو قاله
إيهٍ (فروق) الحسن نجوى هائم ... يسمو إليك بجدّه وبخاله(٦)
أخرجتِ للعربِ الفِصاحِ بيانَه ... قبسًا يُضىءُ الشرقَ مثلَ كماله(٧)

---

١ — الاشبال : جمع شبل ، وهو ولد الاسد — ٢ — السها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى — ٣ — على : هو على بن ابى طالب ، والضمير للحرب — ٤ — الاطلال : ما شخص من آثار الديار — ٥ — الغمار ، بضم الغين وفتحها لغيف الناس — ٦ — ايه : اسم فعل للاستزادة من الحديث . والنجوى : المسارة بالكلام ، وهى السر ايضا . والهائم : المحب والذاهب من العشق ، او غيره لايدرى اين يتوجه ، يريد نفسه ، اى انه هائم بحب فروق ، وهى الاستانة ، لما بها من حسن . ومعنى « يسمو اليك بجده وبخاله » : انه من اصل تركى من ناحية ابويه — ٧ — اخرجت : الخطاب لفروق ، والضمير للهائم فى البيت قبله .

لم تُكثر (الحمراءُ) من نظرائِه ... نَسْلًا ، ولا (بغدادُ) من أمثاله(١)

جعل الإلهُ خيالَهُ (قيسَ) الهوى ... وجُعلتِ (ليلى) فِتنةً لخياله(٢)

فى كلِّ عامٍ أنتِ نزهةُ روحِه ... ونعيمُ مهجته ، وراحةُ باله

يَغشاكِ قد حنَّت إليكِ مَطيُّه ... ويَئوبُ ، والأشواقُ ملءُ رحاله

أفراحُه لمّا رآكِ طليقةً ... أفراحُ (يوسفَ) يوم حلِّ عقاله(٣)

وسرورُه بك من قيودك حرّةً ... كسرورِ (قيس) بانفلاتِ غزاله(٤)

الله صاغَكِ جنتين لخلقه ... محفوفتين بأنعمٍ لِعياله

لو أنَّ لله اتخاذَ خميلةٍ ... ما اختار غيرَكِ روضةً لجلاله(٥)

فكأنما الصفتان فى حسنيهما ... ديباجتا خدٍّ يتيهُ بخاله(٦)

وكأنما (البوسفورُ) حوضُ (محمدٍ) ... وسطَ الجنان وهنَّ فى إجلاله(٧)

وكأن شاهقةَ القصور حيالَه ... حُجراتُ (طَه) فى الجنان وآله(٨)

وكأن عيدَكِ عيدُها لما مشى ... فيها البشيرُ ببِشره وجماله(٩)

١– الحمراء : هى مدينة غرناطة بالاندلس . وبغداد : حاضرة العراق –٢– قيس : هو ابن الملوح ، وقيل هو قيس بن معاذ المعروف بالمجنون وليلى هى محبوبته التى جن بها ، يقول : ان الله صرف خياله فى الشعر الى الاستانة ، فهو يجيد المعانى فى وصفها ، حتى شغف بها كشغف قيس بليلى –٣– يقول : انه فرح لها كما فرح يوسف عليه السلام بخروجه من السجن –٤– يشير بقوله : « كسرور قيس بانفلات غزاله » الى ما قيل من ان المجنون رأى ظبية فى حبالة صيادين فسألهما أن يطلقاها ويضع مكانها شاة من غنمه ، ففعلا –٥– الخميلة : الشجر الكثير الملتف . والروضة : ما اجتمع من الحدائق –٦– الديباجتان : تثنية ديباجة ، وهى الوجه يقال : فلان يصون ديباجته ، والديباجتان (أيضا) : الخدان . والخال : شامة فى الخد –٧– حوض محمد : يريد الحوض المورود يوم القيامة . ومحمد هو النبى صلى الله عليه وسلم –٨– حياله : اى قبالته وازاءه . والحجرات : جمع حجرة ، وهى الغرفة . وطه : اسم من اسماء النبى صلى الله عليه وسلم أيضا –٩– البشير : من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم أيضا .

تيهى بعيدكِ فى الممالك ، واسلمى ... فى السلمِ للآلاف من أمثاله

واستقبلى عهدَ الرشادِ مُجمِّلا ... محاسن الدستور فى استهلاله

دارُ السعادة أنتِ ، ذلك بابُها ... شُلَّت يدٌ مُدَّت إلى إقفاله

وداع اللورد كرومر

أيامُكم ، أم عهدُ إسماعيلا ؟ ... أم أنت فرعونٌ يسوسُ النيلا ؟(١)

أم حاكم فى أرض مصر بأمره ... لا سائلاً أبدًا ولا مسئولا ؟

يا مالكا رِقَّ الرقاب ببأسه ... هلَّا اتَّخذتَ إلى القلوب سبيلا؟ (٢)

لما رحلتَ عن البلادِ تشهَّدت ... فكأنَّكَ الداءُ العياءُ رحيلا

أوسعتَنا يومَ الوداعِ إهانةً ... أدبٌ لعمرك لا يُصيبُ مثيلا

هلَّا بدا لك أن تجاملَ بعد ما ... صاغ الرئيسُ لك الثَّنا إكليلا؟(٣)

انظر إلى أدب الرئيس ولطفِه ... تجد الرئيسَ مُهذَّبا ، ونبيلا

* * *

فى ملعبٍ للمُضحكات مُشيَّدٍ ... مثَّلتَ فيه المُبكياتِ فصولا(٤)

شهد (الحسينُ) عليه لعنَ أصوله ... ويُصَدِّر (الأعمى) به تطفيلا(٥)

١ــ اسماعيل : هو الخديو اسماعيل باشا . وفرعون : لقب كل ملك من ملوك مصر الاقدمين ــ٢ــ رق الرقاب: استعبادها . والبأس : الشدة والقوة ــ٣ــ الرئيس : هو مصطفى باشــــا فهمي ، كان رئيس مجلس الوزراء لعهد اللــورد كرومر ، وهو الذى اقام له حفلة توديع فى دار الاوبرا يوم خروجه من مصر ، وخطب له يودعــه ويثنى عليه ، ثم خطب اللورد فاهان الامة ، واهان الخديو اسماعيل فى وجه الامير حسين كامــل « السلطان حسين » ، ولم يراع شيئا من الادب ولا المجاملة ــ٤ــ يريد ملعب دار الاوبــرا ــ٥ــ الحسين : هو السلطان حسين كامل. والاعمى : هو الشيخ عبد الكريم سلمان ، وكان قد ضعف بصره وكاد يكف .

جُبنٌ أقلُّ وحظٌّ من قدرَيْهما ... والمرءُ إن يَجبُن يَعِش مَرذولا

لما ذَكرتَ به البلادَ وأهلها ... مثّلتَ دورَ مماتها تمثيلا(١)

أنذرتَنا رِقًّا يدوم ، وذِلّةً ... تبقى ، وحالاً لا تَرى تحويلا

أحسِبتَ أن الله دونكَ قدرةً ؟ ... لا يملك التغييرَ والتبديلا ؟

الله يحكم في الملوكِ ، ولم تكن ... دولٌ تنازعه القُوى لتَدولا(٢)

فرعونُ قبلكَ كان أعظمَ سطوة ... وأعزَّ بين العالمينَ قبيلا(٣)

اليوم أخلفَت الوعودَ حكومةٌ ... كنا نظُن عهودَها الإنجيلا

دخلَتْ على حكمِ الوداد وشرعه ... مصرًا ، فكانتْ كالسُّلالِ دخولا(٤)

هدَمتْ معالمَها ، وهدّت رُكنَها ... وأضاعت استقلالها المأمولا(٥)

قالوا : جلبتُ لنا الرفاهة والغنى ... جحدوا الإلٰهَ ، وصُنعَه ، والنيلا(٦)

كم مِنّةٍ موهومةٍ أتبعتَها ... منًّا على الفَطِنِ الخبير ثقيلا(٧)

في كلّ تقرير ، تقولُ : خلقتكم ... أفهل ترى تقريرَكَ التنزيلا ؟(٨)

هل من نَداكَ على المدارس أنها ... تذَرُ العلومَ ، وتأخذ (الفُوتبولا) ؟(٩)

أم من صِيانتِك القضاء بمصر أن ... تأتي بقاضي دِنشِواي وكيلا ؟(١٠)

---

١ ــ لما ذكرت به : أي بذلك الملعب ــ٢ــ لتدول : لتظهر على غيرها ويحالفها اقبال الحظ ــ٣ــ القبيل : الجماعة من اصل واحد ــ٤ــ السلال بضم السين : هو داء السل ــ٥ــ المعالم : جمع معلم ، وهو موضع الشيء الذى يظن الناس فيه وجوده ــ٦ــ قالوا جلبت : الخطاب للورد كرومر ــ٧ــ المن : أن تعد لغيرك ما فعلته معه من الصنائع ، كان تقول : فعلت لك كذا ، واعطيتك كذا ، وهو قبيح مذموم ــ٨ــ كان اللورد كرومر يضع كل سنة تقريرا مطولا عن الحالة العامة فى مصر والسودان ، وكان فى كل تقرير يدعى لنفسه من وجوه الاصلاح فى مصر ما يكذبه الواقع ــ٩ــ الندى : الكرم . تذر : تترك . والفوتبول : كلمة من لغة الانكليز معناها كرة القدم ــ١٠ــ قاضى دنشواى : هو احمد فتحى زغلول باشا . كان قاضيا فى المحكمة المخصوصة التى عاقبت اهل دنشواى بالشنق والجلد والسجن ، جعله اللورد كرومر بعد هذه المحاكمة وكيلا لوزارة الحقانية ، وقد كان رئيسا لمحكمة مصر الابتدائية الاهلية.

أم هل يَمُدُّ لك الإضاعةَ منةً ... جيشٌ كجيشِ الهند ، بات ذليلا ؟

انظر إلى فِتيانِه ، ما شأنُهم ؟ ... أَوَ ليس شأناً في الجيوش ضئيلا ؟

حرّمتهم أن يبلُغوا رتبَ العُلا ... ورفعتَ قومَك فوقهم تفضيلا

فإذا تطلعتِ الجيوشُ ، وأمّلت ... مستقبلاً ، لم يملِكوا التأميلا

من بعد ما زَفّوا لإدْوَرْدَ العُلا ... فتحاً عريضاً في البلادِ ، طويلا(١)

* * *

لو كنتُ من حُمْرِ الثيابِ ، عبدتُكم ... من دونِ عيسى ، مُحسِنًا ، ومُنيلا(٢)

أو كنتُ بعضَ الإنكليز ، قبلتُكم ... مَلِكًا ، أُقطِّعُ كفَّه تقبيلا

أو كنتُ عضوًا في (الكلوب) ، ملأتُه ... أسفًا لفرقتكم ، بُكًا ، وعويلا(٣)

أو كنتُ قسيساً يَهيمُ مُبشرًا ... رتّلتُ آيةَ مَدْحِكم ترتيلا(٤)

أو كنتُ صرّافاً بلندن دائنًا ... أعطيتُكم عن طيبةٍ تحويلا

أو كنتُ (تيمسكم) ، ملأت صحائفي ... مدحاً ، يُردَّد في الورى موصولا(٥)

أو كنتُ في مصرٍ نزيلاً جاهدًا ... سبّحتُ باسمك بُكرةً وأصيلا

أو كنتُ (سِريوناً) ، حلفتُ بأنّكم ... أنتم حَيَوْتُم بالقناةِ الجيلا(٦)

ما كان من عقباتِها ، وصِعابِها ... ذللتموه بعزمكم تذليلا

١ـ يشير الى فتح السودان ، وأن الجيش المصري هو الذي قام بعبئه كله ، ولم يكن لجنود الانكليز فيه من اثر يذكر . وادوارد : هو ملك الانكليز ـ٢ـ حمر الثياب : هم الانكليز ، يقول : لو كنت انكليزيا لعبدتك ولم اعبد عيسى لانك انلت الانكليز واحسنت اليهم بما لا مثيل له من انالة واحسان ، والخطاب للورد كرومر ـ٣ـ الكلوب : دار ندوة في القاهره ، يشترك في الانفاق عليه كل من يشاء من السراة المصريين وكبار الموظفين الانكليز ـ٤ـ ذلك لان اللورد كرومر كان يؤيد التبشير بالمسيحية في مصر ، ويحمي القسوس القائمين به ـ٥ـ او كنت تيمسكم : اى لو كنت جريدة التيمس الخاصة بكم ـ٦ـ المسيو دي سريون : مدير شركة قناة السويس .

عهدُ الفرنج ـ وأنت تعلم عهدَهم ـ   لا يبخسون المحسنين قَتيلا

فارحل بحفظِ الله جل صنيعُه   مستعفيًا إن شئتَ ، أو معزولا

واحمل بساقك ربطة فى لندن   واخلف هناك غِرایَ أو كمبيلا (١)

أو شاطر الملكَ العظيمَ بلادَه   وسُس الممالك ، عرضَها والطولا

إنا تمنينا على الله المنى   والله كان بنيلهنّ كفيلا

من سب دين محمد ، فمحمد   متمكن عند الإلٰه رسولا (٢)

بين الحجاب والسفور

صدّاحُ ، يا ملكَ الكَنا   رِ ، ويا أميرَ البُلبلِ (٣)

قد فزتُ منك (بمعبد)   ورُزقتُ قربَ (الموصلى) (٤)

وأُتيحَ لى (داودُ) مِز   مارًا ، وحسن ترتُّل (٥)

فوق الأسرةِ والمنا   بر قطُّ لم تترجّل (٦)

تهتز كالدينار فى   مُرتَجِّ لَحظِ الأحول (٧)

---

١ ـ واحمل بساقك ربطة : يشير الى نشان عند الانكليز يسمى نشان ربطة الساق ، قيل يوم عزل كرومر انه انعم عليه به ، وغراى وكمبيل : وزيران من وزراء الانكليز ـ ٢ ـ كان اللورد كرومر قد طعن على الدين الاسلامي فى تقريره سنة ١٩٠٦ ، فزعم انه دين لا يصلح لهذا العصر ، فشاعرنا يشير الى ذلك بقوله : من سب دين محمد .. الخ ـ ٣ ـ الصداح : الصياح الرفيع الصوت . والكنار : الكنارى : طائر حسن الصوت ، ريشه ابيض يضرب الى الصفرة ، وقوادم جناحيه طويلة الى الخضرة ، وينسب الى جزائر كناريا ، وهى الجزائر الخالدات . والبلبل : طائر صغير سريع الحركة ، يضرب به المثل فى طلاقة اللسان ـ ٤ ـ معبد : مغن مشهور ، كان أيام الدولة الاموية . والموصلى : يطلق على اسحاق الموصلى وابنه ابراهيم ، وكانا مغنيين وكان لهما مع ذلك فقه وادب ـ ٥ ـ داود : النبى . ومزاميره : ما كان يترنم به من الادعية والاناشيد ـ ٦ ـ الترجل : ان ينزل المرء عن ركوبته ويمشى ـ ٧ ـ الاحول : من فى عينيه حول .

وإذا خطرتَ على الملا عبٍ ؛ لم تدع لممثّل (١)
ولك ابتداءاتُ (الفرز دقِ) ، فى مقاطع (جرول) (٢)
ولقد تَخِذْتَ من الضُّحى صُفرَ الغَلائلِ والحلِي (٣)
ورويتَ فى بيض القلا نس عن عذارى الهيكل (٤)

* * *

ياليت شعرىَ يا أسيـ رُ شَجٍ فؤادُك ، أم خَلِى ؟ (٥)
وحليفُ سهدٍ ، أم تنا مُ الليلَ حتى يَنجلى ؟ (٦)
بالرغم منى ما تُعا لجُ فى النحاس المقفَل (٧)
حرصى عليك هوىً ، ومَن يُحرِزْ ثمينًا يبخل
والشحُّ تُحدِثُه الضرو رةُ فى الجوادِ المُجزِل (٨)
أنا إن جعلتُكَ فى نُضا رٍ بالحريرِ مُجلَّل (٩)

---

١ — لم تدع لممثل : اى لم تترك له ما يجيده من التمثيل والغناء ، لانك اجود صوتا وفنا من كل مغن وممثل — ٢ — الفرزدق : لقب همام بن صعصعة الشاعر المشهور ، كان فى صدر الدولة الاموية ، وجـــرول : اسم الحطيئة ، وهو شاعر أدرك الجاهلية والاسلام . والابتداءات : أوائل القصـــائد . والمقاطع : جمع مقطع ، وهو آخر بيت من القصيدة — ٣ — الغلائل : واحدتها غلالة ، بكسر الغين ، وهى شعار يلبس تحت الثوب ، يشير بهذا المجاز الى ان طائره الصداح أصفر اللون — ٤ — القلانس : جمع قلنسوة نوع من لباس الرأس . والعذارى : جمع عـــذراء ، وهى البكر . والهيكل : معناه هنـــا الموضع فى صدر الكنيسة ، يقرب فيه القربان كما تزعم النصارى ، وفى هذا البيت انواع من المجاز ، ثم كناية عن المعنى المقصود ، وهو يريد ان طائره ابيض الرأس كأنه يلبس قلنسوة بيضاء كالعذارى الراهبات المنقطعات لخدمة الهيكل — ٥ — الشجى : المشـــغول . والخلى : الخالى من الهم — ٦ — الحليف : كل شىء لزم شيئا آخر فلم يفارقه . والسهد : الارق وعـــدم النـــوم . وينجلى : يمضى — ٧ — ما تعالج ، اى ما تزاول وتمارس . والمراد بالنحاس المقفـــل : القفص الذى حبس فيه الطائر — ٨ — الجـــواد : الـــكريم . والمجـــزل : المكثر من العطاء — ٩ — النضار : الذهب . والمجلل : المغطى .

ولففتُه في سَوسنٍ وحففتُه بقَرنفُلِ(١)

وحرقتُ أزكى العودِ خو لَيْه ، وأغلى الصَّندل

وحملتُه فوقَ العيو نِ ، وفوق رأس الجدول(٢)

ودعوتُ كل أغرَّ في مُلك الطيورِ محجّل

فأتتك بين مُطارحٍ ومحبّذٍ ، ومدلّل(٣)

وأمرت بِابنى فالتقا كَ بوجهه المتهلّل(٤)

بيمينه فالوذَجٌ لم يُهدَ (للمتوكّل)(٥)

وزجاجةٌ من فضةٍ مملوءةٌ من سَلسل(٦)

ماكنتُ يا (صدّاحُ) عند دكَ بالكريم المفضل

شهْدُ الحياةِ مشوبةً بالرِّق ، مثلُ الحنظل(٧)

والقيدُ لو كان الجما نَ منظما لم يُحمَل(٨)

ياطيرُ ، لولا أن يقو لوا : جُنَّ ، قلتُ : تعقَّل

اسمع ، فرُبَّ مُفصِّل لك ، لم يفدك كمجمِل

صبرًا لما تشقى به أو ما بدا لك فافعل

أنت ابنُ رأيٍ للطبيـ ـعة فيك غيرِ مُبدَّل

أبدًا مرَوَّعٌ بالإسا ر ، مهدَّدٌ بالمقتل(٩)

١ـ السوسن ـ بفتح السين الاولى وضمها : نبات طيب الرائحة ـ٢ ـ العيون هنا : عيون الماء ، والجدول : النهر الصغير ـ٣ـ المدلل، بفتح اللام : المرفه ـ٤ـ المتهلل : المتلالىء ـ٥ـ الفالوذج : حلواء من دقيق وعسل وماء ، والمتوكل احد الخلفاء العباسيين ـ٦ـ السلسل : الخمر اللينة ـ٧ـ الشهد ـ بضم الشين وسكون الهاء : العسل ـ ٨ ـ الجمان : اللؤلؤ ـ٩ـ الاسار : الاسر .

إن طرتَ عن كنفي وقعـ تَ على النّسورِ الجُهَّل(١)

* * *

يا طيرُ ، والأمثالُ تضـــربُ للّبيبِ الأمثل(٢)
دنياك من عاداتِها ألّا تكونَ لأعزل(٣)
أو للغبي ، وإن تعلّـــل بالزمانِ المقبل
جُعِلَتْ لِحُرٍّ يُبتَلي في ذي الحياةِ ويَبتلي
يَرى ، ويُرَى في جها دِ العيشِ غيرَ مغفَّل
مُستجمعٍ كالليثِ ، إن يُجهَل عليه يَجهل(٤)
أسمعتَ بالحكَمَيْن في الـ إسلامِ يومَ (الجندَل)؟(٥)
في الفتنة الكبرى ، ولو لا حكمةٌ لم تُشعَل(٦)
رَضِيَ الصحابةُ يومَ ذ لك بالكتاب المُنزَل(٧)
وهمُ المصابيحُ ، الروا ةُ عن النبي المرسل
قالوا : الكتابُ ، وقام كـــلٌّ مفسر ومؤوِّل
حتى إذا وَسِعتْ (معا وية) ، وضاق بها (علي)(٨)

١ــ الكنف : الجانب والناحيــة ــ٢ــ الامثل : الافضل ــ٣ــ الاعزل : من لا سلاح عنده ــ٤ــ المستجمع :من يبذل غاية امكانه . ويجهل عليه ، يتسافه عليه ــ٥ــ الحكمان : همــاابو موسى الاشعرى ، ارتضاه الامــام على حكما له ، وعمرو بن العــاص ،اختاره معاوية حكما له ، وقصة هذا التحكيم مشهورة . ويوم الجنــدل :وهو احــد ايــام الحــرب بين عــلى ومعاوية . والجنـــدل : اسم مــكان ــ٦ــ ولولا حكمة : اى ولولا حكمــة ارادها الله تعالى لم تشعل تلك الفتنة ــ٧ــ رضي الصحابة .. الخ : ذلك ان اصحاب معاوية لما راوا أن الهزيمــة ستكون لهم ، رفعوا المصاحف عــلى اطراف الاسنة ، ونادوا عليا واصحابه أن ينزلوا واياهم على كتاب الله ، فأمر على اصحابه ان يكفوا عن الحــرب ــ٨ــ حتى اذا وسعت معــاوية : اى حتى اذا وسعت ولاية الامر معــاوية بسبب ان الحيلة التى فعلها عمرو بن العاص جازت على ابي موسى الاشعرى رجعوا للظلم .. الى آخر ما في البيتين التاليين .

رجعوا لظلم كالطبا ئع فى النفوس مؤصّل
نزلوا على حكم القوىّ ، وعند رأى الأحيَل(١)
صدّاحُ ، حتى ما أقو ل ، حفِلتَ ، أم لم تحفل
جاورتَ أندى روضةٍ وحللتَ أكرمَ منزل
بين الحفاوةِ من حُسَيْ نٍ ، والرعايةِ من على
وحنانِ (آمنةٍ) كأُمِّــــك فى صباكَ الأول(٢)
صِحْ بالصّباح ، وبشّر الـ أبناء بالمستقبل
واسأل لمصرَ عنايةً تأبى وتهبطُ من عَلِ
قل : ربنا افتح رحمةً والخير منك فأرسل
أدرِك كنانتَك الكريـ ـمةَ - ربّنا - وتقبّل

العلم ، والتعليم ، وواجب المعلم(*)

قمْ للمعلّم وفِّه التبجيلا كاد المعلمُ أن يكون رسولا
أعلمتَ أشرفَ ، أو أجلَّ مِن الذى يبنى ، ويُنشِئُ أنفساً وعقولا ؟
سبحانك اللّهمّ خيرَ مُعلّم علّمتَ بالقلم القرونَ الأُولى
أخرجتَ هذا العقل من ظلماتِه وهديتَه النورَ المبينَ سبيلا
وطبعتَه بيدِ المعلم تارةً صدِئَ الحديد ، وتارةً مصقولا(٣)

١ـ الاحيل : الاكثر حيلة ـ٢ـ حسين ، وعلى ، وآمنة : ابنــاؤه
(*) القيت هذه القصيدة فى حفل قام به نادى مدرسة المعلمين العليـا ـ٣ـ طبع السيف : صـاغه . وصـدىء الحديد : اى غير مجلو ولا مصقول .

أرسلتَ بالتّوراةِ موسى مُرشِدًا ... وابنَ البتولِ فعلَّم الإنجيلا(١)
وفجّرتَ ينبوعَ البيان محمدًا ... فسقى الحديثَ ، وناولَ التنزيلا(٢)
علَّمتَ يونانًا ومصرَ ، فزالتا ... عن كل شمسٍ ما تُريد أفولا
واليومَ أصبحنا بحالِ طُفولةٍ ... فى العلمِ ، تلتمسانِه تطفيلا(٣)
من مَشرقِ الأرضِ الشموسُ تظاهرتْ ... ما بالُ مغربِها عليه أُديلا؟(٤)
يا أرضُ ، مُذ فقدَ المعلِّمُ نفسَه ... بين الشموسِ وبين شرقِك حِيلا
ذهب الذين حَمَوْا حقيقةَ علمِهم ... واستعذبوا فيها العَذابَ وَبيلا
فى عالَمٍ صحِبَ الحياةَ مقيدًا ... بالفردِ ، مخزومًا به ، مغلولا(٥)
صرعته دنيا المستبد ، كما هوتْ ... من ضربةِ الشمسِ الرءوسُ ذُهولا
سُقراطُ أعطى الكأسَ وهى مَنيّةٌ ... شفتَى محِبٍّ يشتهى التقبيلا
عرضوا الحياة عليه وهى غباوةٌ ... فأبى ، وآثر أن يموت نبيلا(٦)
إن الشجاعة فى القلوبِ كثيرةٌ ... ووجدتُ شجعانَ العقولِ قليلا

* * *

إن الذى خلق الحقيقةَ علقمًا ... لم يُخل من أهل الحقيقةِ جيلا
ولربما قتل الغرامُ رجالَها ... قُتِل الغرامُ ، كم استباحَ قتيلا
أوَكُلُّ مَن حامى عن الحقِّ اقتنى ... عند السوادِ ضغائنًا وذُحولا؟(٧)
لو كنتُ أعتقدُ الصَّليبَ وخَطْبه ... لأقمتُ من صَلْبِ المسيح دليلا

* * *

١ — البتول : لقب السيدة مريم عليها السلام — ٢ — التنزيل : القرآن — ٣ — التطفيل : التطفل — ٤ — اديل المغرب على المشرق : اى فاقه وانتزع منه الدولة — ٥ — مخزوما به : اى مسخرا له — ٦ — النبل : الذكاء — ٧ — الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر .

أَمُعلِّمي الوادي ، وساسةَ نَشْئِهِ والطابعينَ شَبابَه المأمولا

والحاملينَ – إذا دُعوا ليُعلِّموا – عبءَ الأَمانةِ فادحاً مبثولا

كانتْ لنا قدمٌ إليه خفيفةٌ وَرِمَتْ بدنلوبٍ فكان الفيلا(١)

حتى رأينا مصرَ تخطو إصبَعًا في العلمِ ، إن مشتِ الممالكُ ميلا

تلك الكفورُ – وَحَشْوُها أُمِّيَّةٌ – من عهد «خوفو» لم ترَ القنديلا

تجدُ الذين بنَى «المسلَّةَ» جدُّهم لا يُحسنون لإبرةٍ تشكيلا

ويُدَلَّلون إذا أُريدَ قِيادُهم كالبُهْم تأنسُ إذ ترى التدليلا

يتلو الرجالُ عليهمُ شهواتِهم فالناجحون أَلَدُّهم ترتيلا

الجهلُ لا تحيا عليه جماعةٌ كيف الحياةُ على يَدَيْ عِزريلا؟

واللهِ لولا أَلسُنٌ وقرائحٌ دارت على فِطَنِ الشباب شَمولا(٢)

وتعهَّدتْ من أربعين نفوسَهم تغزو القنوطَ ، وتغرِسُ التأميلا

عرفتْ مواضعَ جدبهم ، فتتابعتْ كالعينِ فيضًا ، والغمامِ مسيلا

تُسدى الجميلَ إلى البلاد ، وتستحي

من أن تُكافَأَ بالثناء جميلا

ما كان دنلوبٌ ، ولا تعليمُه عند الشدائد ، يُغنيان فتيلا

• • •

رَبُّوا على الإنصافِ فتيانَ الحِمَى تجدوهُمُ كهفَ الحقوقِ كهولا

فهو الذي يبني الطباعَ قويمةً وهو الذي يبني النفوسَ عُدولا

ويقيمُ منطقَ كلِّ أعوجِ منطقٍ ويُريه رأيا في الأمور أصيلا

١– الفيل : ورم يصيب الساق ، ودنلوب : مستشار انجليزى منيت به نظارة المعارف المصرية ، فأســاء الى العلم والتعليم –٢– الفطن : جمــع فطنة ، وهى الحــذق والــذكاء . والشمول : الخمر .

وإذا المعلّمُ لم يكن عدلا ، مشى ... روحُ العدالةِ فى الشباب ضئيلا

وإذا المعلّم ساء لحظَ بصيرةٍ ... جاءت على يده البصائرُ حُولا(١)

وإذا أتى الإرشادُ من سبب الهوى ... ومن الغرورِ ، فسمِّه التضليلا

وإذا أُصيب القومُ فى أخلاقهم ... فأَقِمْ عليهم مأتما وعويلا

إنى لأعذُركم وأحسبُ عِبْئكم ... من بين أعباء الرجال ثقيلا

وجد المساعدَ غيرُكم ، وحُرِمتمُ ... فى مصرَ عونَ الأمهاتِ جليلا

وإذا النساءُ نشأْن فى أُمّيّة ... رَضَع الرجالُ جهالةً وخمولا

ليس اليتيمُ من انتهى أبواهُ من ... همِّ الحياةِ ، وخلَّفاه ذليلا

فأصاب بالدنيا الحكيمةِ منهما ... وبحسن تربيةِ الزمانِ بديلا!

إنّ اليتيم هو الذى تَلقى له ... أُمًّا تخلَّتْ ، أو أبا مشغولا(٢)

* * *

مصرٌ إذا ما راجعتْ أيامَها ... لم تلقَ للسّبت العظيم مثيلا(٣)

(البرلمانُ) غدًا يُمدُّ رواقَه ... ظلاً على الوادى السعيدِ ظليلا

نرجو إذا التعليم حرّكَ شجوَهُ ... ألا يكون على البلاد بخيلا

قل للشباب : اليومَ بُورك غرسُكم ... دنت القطوفُ ، وذُلِّلَتْ تذليلا

حيّوا من الشهداء كلَّ مغيّبٍ ... وضعوا على أحجاره إكليلا

ليكون حظُّ الحيِّ من شُكرانكم ... جمًّا ، وحظُّ الميْتِ منه جزيلا

١ــ الحول : جمع حولاء ، والحولاء : من فى عينها حول ، والحـول : اقبال الحدقة على الانف ، وهو عيب ــ٢ــ أما تخلت عن تربيتـــه ، وأبا مشغولا عن العناية به وتهذيبه ــ٣ــ السـبت : ١٥ مـارس ١٩٢٤ ، وهو اليــوم الذي افتتح فيه (البرلمـان) الأول ، وقد كان هذا اليوم قريبا من يوم الاحتفال .

لا يلمسُ الدستورُ فيكم روحَه — حتى يرى جنديَّه المجهولا(١)

ناشدتُكم تلك الدماء زكيةً — لا تبعثوا للبرلمان جَهولا

فليسألَنَّ عن الأرائكِ سائلٌ — أحملنَ فضلًا ، أم حملنَ فُضولا؟

إنْ أنتَ أطلعتَ الممثِّل ناقصًا — لم تلقَ عند كماله التمثيلا

فادعوا لها أهلَ الأمانة ، واجعلوا — لأولى البصائرِ منهم التفضيلا

إن المقصِّرَ قد يَحُولُ ، ولن ترى — لجهالةِ الطبعِ الغبيِّ محيلا

فلرُبَّ قولٍ في الرجالِ سمعتمُ — ثم انقضى ، فكأنه ما قيلا

ولكم نصرتم بالكرامة والهوى — مَن كان عندكمُ هو المخذولا

كرمٌ وصفحٌ في الشبابِ ، وطالما — كرُمَ الشبابُ شمائلًا وميولا

قوموا اجمعوا شُعَبَ الأبوةِ ، وارفعوا — صوتَ الشباب مُحبَّبًا مقبولا

ما أبعدَ الغاياتِ !! إلا أنني — أجدُ الثباتَ لكم بهنَّ كفيلا

فكِلوا إلى اللهِ النجاحَ ، وثابروا — فالله خيرٌ كافلًا ووكيلا

بنك مصر (*)

قِفْ بالممالكِ ، وانظرْ دولةَ المالِ — واذكرْ رجالًا أدالوها بإجمال

وانقلْ ركابَ القوافى فى جوانبها — لا فى جوانب رسمٍ المنزلِ البالى

ما هيكلُ الهرم الجيزىِّ من ذهبٍ — فى العين ، أزينَ من بُنيانِها الحالى

علا بها الحرصُ أركاناً ، وأخرجها — على مثالٍ من الدنيا ، ومِنوال

---

١ — يريد بالجندى المجهول : من يعمل فى غير جلبة ، ولا ضوضاء ، وفى غير انتظار مكافأة ، أو جزاء .

(*) قيلت هذه القصيدة فى الاحتفال بانشاء بنك مصر بدار (الاوبرا) الملكية .

فيها الشقاءُ لقومٍ ، والنعيمُ لهم ... وبؤسُ ساعٍ ، ونُعمَى قاعدٍ سالى

والمالُ — مُذْ كان — تمثالٌ يطافُ به ... والناسُ — مذ خُلقوا — عُبَّادُ تمثال

إذا جفا الدورَ ؛ فانْعَ النازلين بها ... أو الممالكَ ؛ فانْدُبْها كأطلال

يا طالباً لمعالى الملك مجتهداً ... خُذْها من العلم أو خُذْها من المال

بالعلمِ والمالِ يَبنى الناسُ مُلْكَهُمُ ... لم يُبْنَ ملكٌ على جهلٍ وإقلال

سراةَ مصرَ ، عهدناكم إذا بُسطتْ ... يدُ الدعاء سراعاً غيرَ بُخَّال

تبيَّنَ الصدقُ من بينِ الأُمور لكم ... فامضوا إلى الماء ، لا تُلْوُوا على الآل(١)

لا يذهبِ الدَّهرُ بين التُّرَّهاتِ بكم ... وبين زَهْرٍ من الأحلام قتَّال

هاتوا الرجال وهاتوا المال ، واحتشدوا ... رأياً لرأى ، ومِثْقالاً لمثقال

هذا هو الحجرُ الدُّرِّىُّ بينكم ... فابنوا بِناء قريشٍ بيتَها العالى

دارٌ إذا نزلتْ فيها ودائعكُم ... أودعتمُ الحَبَّ أرضاً ذاتَ إغلال

آمالُ مصرَ إليها طالما طمحتْ ... هل تبخلونَ على مصر بآمال ؟

فابنوا على بركات الله ، واغتنموا ... ما هيَّأَ اللهُ من حظٍّ وإقبال

مرحبا بالهلال (*)

العامُ أَقبلَ ، قُمْ نُحَىِّ هلالا ... كالتاج فى هامِ الوجود جلالا

طُغْرَى كتابِ الكائناتِ لقارئٍ ... يزِنُ الكلامَ ، ويَقْدُرُ الأقوالا

مَلَكَ السماء ، فكان فى كُرْسيِّهِ ... بين الملائكِ والملوك مِثالا

١ — الآل : السراب

* — قيلت هذه القصيدة فى راس سنة ١٣٢٩ الهجرية .

تتنافسُ الآمالُ فيه ، كأنّه ثغرُ العنايةِ ضاحَكَ الآمالا
والشمسُ تُزلِف عيدَها ، وتزفُّه بشرَى بمطلعهِ السعيدِ ، وفالا(١)
عيدُ المسيح ، وعيدُ أحمد ، أقبلا يتباريان وضاءةً وجمالا
ميلادُ إحسانٍ ، وهجرةُ سُؤدَدٍ قد غيّرا وجه البسيطةِ حالا

* * *

قمْ للهلالِ قيامَ مُحتفلٍ به أثنى ، وبالغ فى الثناء ، وغالى
نورُ السبيلِ هَدَى ، لكلِّ فضيلةٍ يَهدى الحكيمُ لها ، وسَنَّ خِلالا
ما بينَ مولِدِه وبين بلوغه ملأَ الحياةَ مآثرًا وفعالا
متواضعٌ ، واللهُ شرَّف قدرَه بالشمسِ نِدًّا ، والكواكبِ آلا(٢)
متودِّدٌ عند الكمالِ ، تخالُه فى راحتَيْكَ ، وعَزَّ ذاك مَنالا
وافٍ لجارةِ بَيْتِهِ ، يرعى لها عهدَ السَّمَوْءَلِ ، عُرْوَةً ، وحِبالا(٣)
عَونُ السُّراة على تصاريفِ النوى أَمِنوا عليه وحْشَةً وضلالا(٤)
وبُصانُ من سرِّ الصبابةِ عندَه ما باتَ عند الأكثرين مُذالا(٥)
ويُشَكُّ فيه ، فلا يكلِّف نفسَه غيرَ الترفُّع والوقار نِضالا
ساءت ظنونُ الناس حتى أحدثوا للشكِّ فى النور المبين مجالا
والظنُّ يأخذ فى ضميرك مأخذًا حتى يُريكَ المستقيمَ محالا
ومن العجائبِ عند قِمَّةِ مجدِه رام المزيدَ ، فجدَّ فيه ، فنالا
يطوى إلى الأَوْجِ السماواتِ العُلا ويشدُّ فى طلب الكمالِ رِحالا
ويَخُلُّ من هُوج الرياحِ عزائمًا ويَدُكُّ من موْج البحار جبالا

---

١ — تزلفه : اى تقربه .
٢ — الند : النظير . والآل : الاهل
٣ — جارة بيته : هى الزهرة التى تلازمه دائما . وبيته : هو الهالة التى تحيط به .
٤ — السراة : السائرون ليلا .
٥ — السر المذال : الذى لا يكتم .

ويُضيءُ أثناءَ الخمائل والرُّبَى حتّى ترى أسحارَها آصالا
ويَجُولُ فى زُهْرِ الرياضِ، كأنّه صيِّبُ الربيعِ، مشى بهنّ، وجالا

* * *

أممَ الهلالِ، مقالةٌ من صادقٍ والصدقُ أليقُ بالرجال مقالا
متلطِّفٍ فى النصحِ، غيرِ مُجادِلٍ والنصحُ أضيعُ ما يكون جدالا
من عادة الإسلام يرفعُ عاملا ويسودُ المِقدامَ والفعّالا
ظلمتْه ألسنةٌ تؤاخذُه بكم وظلمتموه مُفرِّطين، كسالى
هذا هلالُكمُ تكفَّلَ بالهُدى هل تعلمون مع الهلال ضلالا ؟
سرَتِ الحضارةُ حقبةً فى ضوئه ومشى الزّمانُ بنورِه مختالا
وبنى له العربُ الأجاودُ دُولةً كالشمس عرشاً، والنجومِ رجالا
رفعوا له فوق السماكِ دعائماً من عِلْمِهِمْ ومن البيانِ، طوالا
اللهُ جلَّ ثناؤه بلسانِهم خلق البيانَ وعلَّم الأمثالا
وتخيَّرَ الأخلاقَ أحسنَها لهم ومكارِمُ الأخلاقِ منه تعالى
كالرُّسلِ عَزْماً، والملائِك رحمةً والأُسْدِ بأْساً، والغيوثِ نوالا
عَدلوا، فكانوا الغيثَ وقعاً، كلما ذهبوا يميناً فى الورى، وشمالا
والعدلُ فى الدُّولاتِ أُسٌّ ثابتٌ يُفنِى الزمانَ، ويُنفِد الأجيالا
أيامَ كان الناسُ فى جَهلاتِهم مثلَ البهائمِ، أُرْسِلت إرسالا
من جهلِهم بالدين والدنيا معاً عبدوا الأصمَّ، وألّهوا التمثالا
ضلوا عقولا بعد عرفانِ الهدى والعقلُ إن هو ضلَّ كان عِقالا[1]
حتى إذا انقسموا تقوَّض ملكهم والملكُ إن بطلَ التعاونُ زالا
لو أن أبطالَ الحروب تفرقوا غلب الجبان على القَنا الأبطالا

---

(١) العقال فى الأصل يشد به البعير، وهنا بمعنى القيد .

يا شباب الديار (*)

غالوِ فى قيمةِ ابن بُطْرُسَ غالى ... علم اللهُ ليس فى الحقّ غالى(١)

نحتفى بالأديب ، والحق يقضى ... وجلالُ الأخلاق والأعمال

أدبُ الأكثرين قولٌ ، وهذا ... أدب فى النفوس والأفعال

يُظهرُ المدحُ رونَقَ الرجلِ المآ ... جدِ ، كالسيفِ يزدهى بالصِّقال(٢)

رُبَّ مدحٍ أذاع فى الناس فضلا ... وأتاهم بقُدوةٍ ومِثال

وثناءٍ على فتى عمَّ قوماً ... قيمةُ العِقْدِ حُسنُ بعضِ اللآلى

إنما يقدُرُ الكرام كريمٌ ... ويقيمُ الرجالَ وزنَ الرجال(٣)

وإذا عظَّمَ البلادَ بَنوها ... أنزلتهم منازلَ الإجلال

توَّجتْ هامَهم كما توَّجوها ... بكريم من الثناء وغالى

إنما (واصفٌ) بناءٌ من الأخـ ... ـلاقِ ، فى دولةِ المشارق عالى

ونجيبٌ ، مهذَّبٌ ، من نجيبٍ ... هذَّبتْه تجاربُ الأحوال

واهبُ المالِ والشبابِ لما يَنـ ... ـفع ، لا للهوى ، ولا للضلال

ومليقُ القولِ فى الغرب مما ... عَصَرَ الغَرْبُ فى السنينَ الخوالى

---

* — قيلت هذه القصيدة فى تكريم واصف غالى باشا سنة ١٩٠٦ (واصف غالى بك يومئذ) ولعلهـــا كانت أول دعوة الى اتحاد عنصرى هذه الأمـــة الكريمين . ولعل صاحب الديوان كان يتكشف له الغيب ، فيرى خيال هذا الاتحاد ، ويدعو اليه ، والناس عنـــه عمون . وحديث المؤتمرين مـــا زال يومئذ ملء الافواه والاسماع ، ولقد شاء الله ان يستجيب دعـــاءه ، وان يربط بين الأخوين برباط مقدس ، كان لصاحب الديوان فضل الخيط الاول فى نسيجه .

١ — غال فى المدح : بالغ فيه . وغالى (الثانية) اما ان يراد بها الامـــر ، أو يراد بها اسم والد المكرم المرحـــــوم بطرس باشا غالى .

٢ — صقل السيف صقالا : جلاه . ٣ — قدره : عظمه .

فى كتابٍ حوى المحاسنَ فى الشِّـ ـعر، وأوعى جوائزَ الأمثال(١)
من صفاتٍ ، كأنها العينُ صدقاً فى أداء الوجوه والأشكال
ونسيب ، تحاذِرُ الغِيدُ منه شَرَكَ الحسنِ أو شباكَ الدلال
ونظامٍ ، كأنه فَلَكُ الليـ ـلِ إذا لاحَ وهو بالزهر حالى
وبيانٍ ، كما تجلى على الرُّشْـ ـل تجلَّى على رعاةِ الضال(٢)
ما علِمنا لغيرهم من لسان زال أهلوه ، وهْو فى إقبال
بليتْ هاشِمٌ ، وبادتْ نزارٌ واللسانُ المبين ليس ببالى
كلَّما همَّ مجدهُ بزوالٍ قام فحلٌ ، فحالَ دون الزَّوال

• • •

يابنى مصرَ ، لم أقلْ أمَّةَ الـ ـقبطِ ، فهذا تشبُّثٌ بمحال
واحتيالٌ على خيال من المجـ ـدِ ، ودعوى من العِراض الطوال
إنما نحنُ مسلمينَ وقبطًا أمةٌ وُحِّدَتْ على الأجيال
سبق النيلُ بالأُبوّةِ فينا فهو أصلٌ ، وآدمُ الجدُّ تالى
نحن من طينهِ الكريم على الله ، ومن مائِهِ القَراحِ الزُّلال(٣)
مَرَّ ما مَرَّ من قرونٍ علينا رُسَّفًا فى القيود والأغلال
وانقضى الدهر ، بينَ زَغرَدةِ العر س ، وحَثْوِ التراب ، والإعوال
ما تَحلَّى بكم بسوءٍ ، ولا كُنَّـــا لِطه ودينهِ بجمال
وتُضاعُ البلادُ بالقوم ِ عنها وتضاعُ الأُمورُ بالإهمال
ياشبابَ الديار ، مصرُ إليكم ولواءُ العرينِ للأشبال

---

١ — يشير الى كتاب فرنسى ألفه واصف باشا وكان موضع تكريمه .
٢ — الضال : نوع من الشجر ، والمراد : رعاة ما يأكل الضال من الحيوان، أى رعاة الابل .
٣ — الماء القراح : الصافى .

كلّما رُوِّعتْ بشبهةِ بأْسٍ جعلتكم معاقِلَ الآمال

هَيِّئوها لما يليقُ بمنفٍ وكريمِ الآثارِ والأطلال

وانهضوا نهضةَ الشعوبِ لِدُنيا وحياةٍ كبيرةِ الأشغال

وإلى اللهِ من مشى بصليبٍ في يديهِ ، ومن مشى بهلال

نهج البردة

ريمٌ على القاعِ بين البانِ والعلَمِ أحَلَّ سفْكَ دمى فى الأشهر الحُرُمِ(١)

رمى القضاءُ بعيْنَى جُؤذَرٍ أسدًا ياساكنَ القاعِ ، أدرِكْ ساكنَ الأجمِ(٢)

لما رَنا حدّثتنى النفسُ قائلةً ياوَيْحَ جنبِكَ ،بالسهمِ المُصيبِ رُمِي(٣)

جحدتها ، وكتمتُ السهمَ فى كبدى جُرْحُ الأحبة عندى غيرُ ذى ألمِ(٤)

رُزقتَ أسمحَ مافى الناس من خُلُقٍ إذا رُزِقتَ التماسَ العذْرِ فى الشِّيَمِ(٥)

---

١ ـ الرئم (بالهمزة ويخفف بقلب الهمزة ياء) : الظبى الخالص البياض . والقاع : الارض السهلة المطمئنـــة . والبان : جمع بانة ، ضرب من الشجر . والعلم : الجبل . والاشهر الحــرم : أربعة ، ثلاثة متتابعة هي ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وواحد فرد ، وهو رجب ، وكانت العرب لا تستحل فيها القتال ، وفى الشطر الثانى طباق بين قوله : « أحل » ، وقوله : «الحرم» ولا يذهب عن القارىء ما فى البيت من براعة الاستهلال .

٢ ـ الجؤزر : ولد البقرة الوحشية والاجم : جمع اجمة ، وهى الشـــجر الكثير الملتف ، وهو مسكن الاســد . يريد بالجؤذر : المحبوبة التى شبهها فى البيت السابق « بالريم » ، تشبيها لها بالجؤذر فى جمال عينيه واتساعهمـــا ، ويريد « بالاسد » : نفســـــه ، وفى الشطر الثانى يستغيث بالمقتول للقاتل ـ لا منه ـ ويستنجد للاسد بالغزال ، وهو بديع .

٣ ـ رنا : ادام النظر مع ســـكون الطرف . وياويح : كلمة تقال لمن وقع فى الشدة والمكروه ، يستنجد لــــه بالرأفة والرحمة مما وقع فيه .

٤ ـ جحدتها ، الجحود : الانكار مع العلم .

٥ ـ الشيم : جمع شـــيمة ، وهى الخلق والطبيعة .

يا لائمى فى هواه — والهوى قدَرٌ — لو شفَّك الوجدُ لم تَعذِل ولم تلم(١)
لقد أنلتُك أذناً غير واعيةٍ ورُبَّ منتصتٍ والقلبُ فى صَمم(٢)
ياناعس الطرفِ ، لاذقتَ الهوى أبدًا أسهرتَ مُضناكَ فى حِفظِ الهوى ، فنم(٣)
أفديك إلفًا ، ولا آلو الخيالَ فِدًى أغراك بالبخل مَن أغراه بالكرم(٤)
سرَى ، فصادف جُرحا دامياً ، فأسا ورُبَّ فضلٍ على العشاق للحُلُم(٥)
مَن الموائسُ باناً بالرُّبى وقَنًا اللاعباتُ بروحى ، السافحات دمى ؟(٦)
السافراتُ كأمثالِ البُدور ضُحًى يُغِرْنَ شمسَ الضُّحى بالحَلْىِ والعِصَم(٧)
القاتلاتُ بأجفانٍ بها سَقَمٌ وللمنيةِ أسبابٌ من السَّقَم
العاثراتُ بألبابِ الرجال ، وما أُقِلنَ من عثراتِ الدَّلِّ فى الرَّسم(٨)
المضرماتُ خُدودًا ، أسفرت ، وَجَلتْ عن فِتنة ، تُسلِمُ الأكبادَ للضرَم(٩)
الحاملاتُ لواءَ الحسنِ مختلفاً أشكالُه ، وهو فردٌ غير منقسِم(١٠)

---

١ — شفه الوجد : اهزله وانحل جسمه
٢ — انتصت : سكت سكوت مستمع وفى الشطر الثانى من البيت طباق بين قوله : « منتصت » ، وقوله : « فى صمم » .
٣ — الناعس : الوسنان . والطرف (بالفتح) : العين . والمضنى : الذى اثقله المرض . ومضناك : الذى اضنيته بما لحقه من الوله عليك . وفى الشطر الثانى طباق بين قوله « أسهرت » وقوله : « فنم » .
٤ — الألو ، هنا : المنع والتقصير . واغراه بالشىء : زينه له وحرضه عليه
٥ — السرى . المشى فى الليل . واسا الجرح يأسوه : داواه .
٦ — الموائس : جمع مائسة ، وهى المتبخترة ، والبان : ضرب من الشجر واحدتها : بانة ، يشبه القوام بافصانها للدونتها . والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح . وسفح الدم : سفكه واساله ٧ — يقال : سفرت المراة : كشفت عن وجهها . والحلى : ما تزين بــه المراة من مصوغ المعادن وكــريم الحجارة ، والعصم : القلائد ، جمــع عصمة ، كعنب وعنبة .
٨ — العثرة : الزلة والسقطة . واقاله من عثرته : انهضه منها . والدل قريب المعنى من الهدى : وهمــا من السكينة والوقار فى الهيئة والمنظــر والشمائل وغير ذلك . والرســم . حسن المشى .
٩ — الضرم : اشتعال النار .
١٠ — اللواء : العلم ، وحمل لــواء الحسن : كناية عن نهاية الحسن فيه .

من كلِّ بيضاء أو سمراء زُيِّنتا ... للعينِ، والحُسنُ فى الآرامِ كالعُصُم(١)

يُرَعْنَ للبصرِ الساهى، ومن عجبٍ ... إذا أشرن أسرن الليثَ بالعَنَم(٢)

وضعتُ خدّى، وقسّمتُ الفؤادُ ربىً ... يرتَعنَ فى كُنُسٍ منه وفى أكَم(٣)

يابنتَ ذى اللُّبَدِ المحمىِّ جانبُه ... ألقاكِ فى الغاب، أم ألقاكِ فى الأُطُم؟(٤)

ما كنتُ أعلم حتى عنَّ مسكنُه ... أن المُنَى والمنايا مضربُ الخِيَم(٥)

مَنْ أنبتَ الغصنَ مِنْ صَمصامةٍ ذكرٍ؟ ... وأخرج الريمَ مِن ضِرغامة قرِمِ؟(٦)

بينى وبينكِ من سُمْرِ القَنا حُجُب ... ومثلُها عِفّةٌ عُذريةُ العِصَم(٧)

لم أغشَ مغناكِ إلا فى غضونِ كرًى ... مَغناك أبعدُ للمشتاقِ من إرَم(٨)

---

١ ــ العصم : جمع اعصم ، الذى فيه العصمة بالضم، وهى بياض اليدين والعصماء من المعز : البيضاء الذراعين وسائرها أسود أو احمر ، وحرك الصاد اتباعا لحركة العين قبلها

٢ ــ يرعن : يخفن ، والعنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبه بها البنان المخضوبة ، وفى البيت جناس بين قوله . « أشرن » وقوله «أسرن»

٣ ــ وضع الخد هنا : كناية عن الخضوع والاستسلام . والكنس (بضمتين) جمع كناس ، وهو مستقر الظباء فى الشجر . والاكم : جمع اكمة وهى الموضع يكون اشد ارتفاعا مما حوله .

٤ ــ اللبد : جمع لبدة ، وهى الشعر المتراكب بين كتفى الأسد . والغاب : جمع غابة ، وهى الشجر المتكاثف . والاطم : القصر ، وكل حصن مبنى بالحجارة .

٥ ــ عن الشىء : بان وظهر ، والمنايا : جمع المنية ، وهى الموت ، يريد « بالمنى » : محبوبته أو لقاءها ، و « بالمنايا » : أباها أو لقاءه ، مبالغة ، ومضرب الخيم : المكان الذى تضرب فيه وتقام ، أى حيث تنزل تلك المحبوبة فى جوار أبيها . وفى البيت جناس .

٦ ــ الصمصامة : السيف ، والضرغامة : الأسد . والقرم : شديد الشهوة الى اللحم ، وهنا كناية عن شدة البأس والافتراس ، وأراد « بالغصن » و « الريم » معشوقته ، و « بالصمصامة » و « الضرغامة » : أباها . يتعجب كيف يولد لمثل هذا الرجل ، الشبيه بالسيف فى صلابته ومضائه ، مثل هذه المعشوقة ، التى هى كالغصن فى اللدونة ولطف التثنى، وأيضا : كيف يكون لمن يشبه الأسد فى قوته وسطوته وبأسه ، مثل هذه التى تشبه الغزال فى رقته وضعفه ؟

٧ ــ العفة العذرية : نسبة لقبيلة بنى عذرة ، اشتهر شبابها بالعشق والعفاف ، والعصم : جمع عصمة وهى المنع والحفظ

٨ ــ غشى المكان : وافاه . والمغنى : المنزل الذى غنى به أهله : والكرى : النوم . وارم : هى ارم ذات العماد ، التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

يا نفسُ ، دنياكِ تُخفى كلَّ مُبكيةٍ ... وإن بدا لكِ منها حُسنُ مُبتسَمِ (١)

فُضّى بتقواكِ فاهاً كلما ضحكتْ ... كما يُفضّ أذى الرقشاءِ بالثَّرَمِ (٢)

مخطوبةٌ — منذُ كان الناسُ — خاطبةٌ ... من أولِ الدهرِ لم تُرمِل ، ولم تَئِمِ (٣)

يَفنى الزمانُ ، ويبقى من إساءتِها ... جرحٌ بآدمَ يَبكي منه فى الأدمِ (٤)

لا تحفلى بجناها ، أو جنايتِها ... الموتُ بالزهرِ مثلُ الموتِ بالفَحَمِ (٥)

كم نائمٍ لا يَراها ، وهى ساهرةٌ ... لولا الأمانىُّ والأحلامُ لم ينمِ (٦)

طوراً تمدّك فى نُعمى وعافيةٍ ... وتارةً فى قرارِ البؤسِ والوَصَمِ (٧)

كم ضلّلتكَ ، ومَن تُحجَبْ بصيرتُه ... إن يلقَ صابا يرِد ، أو علقما يَسُمِ (٨)

يا ويلتاهُ لنفسى ! راعَها ودَهَا ... مُسْوَدّةُ الصُّحْفِ فى مُبيَضّةِ اللِّمَمِ (٩)

ركَضْتُها فى مَريعِ المعصياتِ ، وما ... أخذتُ من حِمْيَةِ الطاعاتِ للتُّخَمِ (١٠)

---

١ — المبتسم : بمعنى المصدر ، اى الابتسام ، ويجوز ان يراد به الموضع ، اى الثغر ، والاضافة فيه من اضافة الصفة للموصوف .

٢ — الرقشاء من الحيات : المنقطة بالسواد والبياض . وأذى الرقشاء : سمها . والثرم : كسر السن من أصلها . ٣ — ارملت المراة : اذا مات عنها زوجها . وآمت المراة من زوجها تئيم ، والايم : التى لا زوج لها ، سواء أكانت بكرا ، أم كان لها زوج فقدته . ٤ — الأدم : الجلد ، يقول : مع ان حالها وخال الناس ما ذكرنا ، فان اساءتها ما تنتهى ، حتى ان آدم (عليه السلام) لا ينسى كيدها الى آخر الزمان ، وفى البيت الجناس بين آدم والأدم .

٥ — الجنى : ما يجتنى من الشجرة ويقطف من ثمرها .

٦ — يريد بالنائم : المغتر بالدنيا الغافل عن مصائبها وغيرها .

٧ — الوصم (بالتحريك) : الالم والمرض ، يقال وصمته الحمى فتوصم : اى آلمته فتألم .

٨ — الصاب : جمع صابة ، شجر مر . والعلقم : الحنظل . ويسم ، من سام يسوم : اى رعى يرعى .

٩ — دها : اى دهاها . اللمم : جمع لمة ، وهى الشعر يجاوز شحمة الأذن . مسودة الصحف : كناية عن العمل السيء . ومبيضة اللمم : الشيب ، والاضافة فيها من اضافة الصفة للموصوف .

١٠ — ركضتها ، أصل الركض : تحريك الرجل ، ويقال ركضت الفرس برجلى : اذا استحثثته ليعدو . والمراد هنا مجرد اطلاق النفس وارسالها فى طريق غوايتها . وفيه تشبيه النفس بالسائمة ، تشبيها مضمرا فى النفس على سبيل الاستعارة المكنية . والمريع : الخصيب . ومريع المعصيات : من اضافة المشبه به للمشبه ، أى المعصيات التى هى شبيهة بالمرعى المريع تستطيبه الدابة ، ففيه تشبيه ضمنى لمن يرسل نفسه فى المعاصى ، بالبهيم الذى يستطيب المرعى ويسترسل فيه . وحمية الطاعات ، كذلك من اضافة =

هامت على أثرِ اللّذاتِ تطلبُها … والنفس إن يَدْعُها داعى الصِّبا تَهِم(١)
صلاحُ أمرِك للأخلاقِ مرجِعُه … فقوِّم النفسَ بالأخلاقِ تستقم
والنفسُ من خيرِها فى خيرِ عافيةٍ … والنفسُ من شرها فى مَرْتَعٍ وَخِم(٢)
تطغى إذا مُكِّنَتْ من لذّة وهوىً … طَغْيَ الجيادِ إذا عَضَّت على الشُّكُم(٣)
إنْ جَلّ ذنبى عن الغفران لى أملٌ … فى اللهِ يجعلنى فى خيرِ مُعتصَم(٤)
ألقى رجائى إذا عزّ المُجيرُ على … مُفرِّج الكرب فى الدارينِ والغُمَم(٥)
إذا خفضتُ جَناحَ الذُّلِّ أسألُه … عِزَّ الشفاعةِ ، لم أسأل سوى أمَم(٦)
وإن تقدّم ذو تقوى بصالحةٍ … قدّمتُ بين يديه عَبْرَةَ الندَم(٧)
لزِمتُ بابَ أميرِ الأنبياء ، ومَنْ … يُمْسِكْ بمفتاح باب الله يغتنِم(٨)
فكلُّ فضلٍ ، وإحسانٍ ، وعارفةٍ … ما بين مستلمٍ منه ومُلتزِم(٩)
علقتُ من مدحهِ حبلاً أعزُّ به … فى يوم لا عِزَّ بالأنساب واللُّحَم(١٠)

= المشبه به للمشبه . أى الطاعات التى شبيهة بالحمية ، وفيها أيضا تشبيه ضمنى لمن يتعفف عن مساورة المعاصى بمن يمسك نفسه أن ينال ما يهيضه من ألوان الطعام . والتخم : جمع تخمة ، قيل : هى فساد الطعام فى المعدة وقيل فساد المعدة بالطعام ، وقوله « للتخم » ، أى للتحرز عن التخم .

١ — هامت الناقة على وجهها : ذهبت ترعى . وداعى الصبا : اللهو والشباب .

٢ — المرتع — من رتعت الماشية ترتع رتوعا : أكلت ما شاءت . والمرتع : موضع الرتوع . والوخم : الردىء الوبى .

٣ — الشكم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى لجام الفرس .

٤ — عصمة الله العبد : حفظه مما يوبقه ويهلكه ، والمعتصم : الموضع منها ، أو بمعنى المصدر ، أى الاعتصام .

٥ — الغمم : جمع غمة ، وهى الهم والحزن . والمجير هنا : المنقذ . اذا عز المجير ، أى يوم القيامة . ومفرج الكرب فى الدارين : هو الرسول الأمين صلوات الله وتسليماته عليه ، لأنه أخرج الناس فى الدنيا من ظلمة الغواية الى نور الهداية . وهو فى الآخرة صاحب الشفاعة العظمى .

٦ — الأمم : اليسير . وخفض جناح الذل : كناية عن شدة التواضع والانكسار .

٧ — العبرة : تحلب الدمع .

٨ — أمير الأنبياء : هو محمد صلى الله عليه وسلم . ولزوم بابه : كناية عن الالتجاء الى كرمه ، وعدم الانحراف عن التوسل به فى قضاء الطلبات .

٩ — العارفة : المعروف .

١٠ — اللحم : جمع لحمة ، وهى القرابة .

يُزرِى قَرِيضِى زُهَيْرًا حين أمدحُه ... ولا يقاسُ إلى جودى لدَى هَرِم(١)

محمدٌ صفوةُ البارى ، ورحمتُه ... وبغيَةُ الله من خَلْقٍ ومن نَسَم(٢)

وصاحبُ الحوض يومَ الرُّسْلُ سائلةٌ ... متى الورودُ؟ وجبريلُ الأمينُ ظَمى(٣)

سناؤه وسناهُ الشمسُ طالعةً ... فالجِرمُ فى فلكٍ ، والضوءُ فى عَلَم(٤)

قد أخطأ النجمَ ما نالت أبوتُه ... من سؤددٍ باذخٍ فى مظهرٍ سَنِم(٥)

نُمُوا إليه ، فزادوا فى الورى شرَفاً ... ورُبَّ أصلٍ لفرعٍ فى الفخارِ نُمى(٦)

حوَاه فى سُبُحاتِ الطُّهرِ قبلهم ... نوران قاما مقام الصُّلبِ والرَّحِم(٧)

لما رآه بَحيرا قال : نعرِفُه ... بما حفظنا من الأسماءِ والسِّيَم(٨)

سائلْ حِراءَ ، وروحَ القدس : هل عَلِما ... مَصونَ سِرٍّ عن الإدراكِ مُنْكَتِم؟(٩)

كم جيئةٍ وذهابٍ شُرِّفتْ بهما ... بَطحاءُ مكة فى الإصباحِ والغَسَم(١٠)

---

1 — يزرى : يعيب . والقريض : الشعر . وزهير : هو زهير بن أبى سلمى المزنى ، كان سيدا ، غنيا فى الجاهلية ، معروفا بالحلم والحكمة ، شاعرا فحلا . وهرم ، بكسر الراء : هو هرم بن سنان بن أبى حارثة المرى ، مدح زهير هرما فاحسن ، ووصله هرم فأجزل الصله ، وبالغ فى العطام

٢ — النسم : جمع نسمة ، وهى النفس ، أو هى الانسان .

٣ — وجبريل الأمين ظمى : الملائكة لا تظمأ ، فلعل مراده بالظمأ هنا لازمه وهو الطلب أى للناس ، بمعنى ان حاله تقتضى ذلك اشفاقا على حالهم ، لما يرهقهم من شدة الظمأ وحرج الموقف

٤ — سناؤه : رفعته . وسناه : نوره . والعلم — هنا : العالم

٥ — السؤدد : السيادة . والباذخ : العالى . والسنم (ككتف): المرتفع . وابوته : أى ذوو ابوته . والابوة : المعنى المأخوذ من الاب ، كالأخوة والبنوة .

٦ — نموا : نسبوا

٧ — السبحات (بضمتين) : مواضع السجود . وسبحات وجه الله : أنواره

٨ — السيم ، كعنب : جمع سيمة ، وهى العلامة . وبحيرا ، بفتح الباء وكسر الحاء : الراهب النصرانى المشهور .

٩ — حراء : جبل بمكة فيه غار كان يتعبد فيه النبى صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة . وروح القدس : جبريل عليه السلام ، والاضافة فيه من اضافة الصفة للموصوف ، أى الروح القدس ، والقدس : الطهر . ومصون سر : من اضافة الصفة للموصوف ، اى السر المصون . وقوله « منكتم » : وصف مؤكد السر المصون ، لأن السر لا يكون الا كذلك : وتنكير « سر » للتعظيم . ١٠ — البطحاء : المسيل الواسع فيه دقاق الحصى . والغسم : الامساء وظلمة الليل . « الاصباح والغسم » : أى من كل مرة كان يطلب فيها النبى صلى الله عليه وسلم حراء لا كل صباح وكل غسم ، فانه صلى الله عليه وسلم كان يتزود ، فيقيم فى حراء الليالى والايام .

ووحشة لابن عبد الله بينهما — أشهى من الأنس بالأحباب والحشم (١)

يسامر الوحيَ فيها قبل مهبطه — ومن يبشر بسيمى الخير يتَّسِم (٢)

لما دعا الصحبُ يستسقون من ظمأٍ — فاضت يداه من التسنيم بالسَّنِم (٣)

وظللته ، فصارت تستظل به — غمامةٌ جذبتها خيرة الديَم (٤)

محبةً لرسول الله أشربَها — قعائدُ الدَّيرِ ، والرهبانُ في القِمم (٥)

إنَّ الشمائلَ إن رقَّتْ يكاد بها — يُغْرَى الجمادُ ، ويُغرَى كلُّ ذي نَسَم

ونُودِيَ : اقرأْ تعالى اللهُ قائلُها — لم تتصلْ قبل مَن قيلتْ له بفم

هناك أذَّنَ للرحمن ، فامتلأت — أسماعُ مكةَ من قُدسيةِ النَّغم (٦)

فلا تسلْ عن قريشٍ كيف حَيرتُها ؟ — وكيف نُفرتُها في السهل والعَلَم ؟ (٧)

تساءلوا عن عظيمٍ قد ألمَّ بهم — رمى المشايخَ والولدانَ باللَّمم (٨)

١ — ابن عبد الله : هو النبي صلى الله عليه وسلم . والحشم : الخدم الخاصون بمولاهم . والوحشة الخلوة والهم ، والمراد بها هنا مجرد الخلوة والانقطاع عن الناس .

٢ — مهبطه هنا : بمعنى هبوطه ٣ — التسنيم : ماء بالجنة يجري فوق الغرف ، وسنم الاناء تسنيما : ملاه ، فكأنه اراد بالسنم هنا الاناء المملوء . والاحاديث الواردة في نبع الماء من بين أصابعه الشريفة كثيرة .

٤ — الديم : جمع ديمة ، وهي المطر الدائم .

٥ — القعائد : جمع قعيدة ، وقعائد الدير : ملازموه من متنسكة النصارى والقمم : جمع قمة ، وهي اعلى الرأس من كل شيء ، والمراد بها هنا أعالي الجبل .

٦ — اذن للرحمن : اي دعا الى الله وقوله : من قدسية النغم : ترشيح لتشبيه الدعاء الى الله تعالى بالصوت الجميل، وقدسية النغم : النغم المطهرة المنزهة عن تطريب الغناء بتكبير الالفاظ واعتصار الحناجر ، وايقاع الاصوات

٧ — فلا تسل : يعني ان الأمر واضح غني عن السؤال ، يقال عند ظهور الأمر ووضوحه : لاتسال . العلم : الجبل

٨ — الم : نزل . واللمم (محركة) الجنون ، والمعنى انه قد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الأمر العظيم الذي نزل بهم ، وهو أن يقوم رجل ليس له مالهم من البأس والمنعة يرعجهم عما كان يعبد آباؤهم — وهم سادات قريش وجباهها — ويأخذهم عما الفوا من عاداتهم وأخلاقهم المغروزة فيهم ، دهشوا لهذا واستعظموه ، حتى جن منه شيبهم وشبابهم .

يا جاهلين على الهادى ودعوته ... هل تجهلون مكانَ الصادقِ العَلَم؟(١)

لقَّبتموهُ أمينَ القومِ فى صِغرٍ ... وما الأمينُ على قولٍ بمتَّهَم

فاق البدورَ ، وفاق الأنبياءَ ، فكمْ ... بالخُلْقِ والخَلْقِ مِن حسْنٍ ومن عِظَم

جاء النبيون بالآياتِ ، فانصرمت ... وجئتنا بحكيمٍ غيرِ منصرِم(٢)

آياتُه كلما طالَ المدَى جُدُدٌ ... يَزِينُهنّ جلالُ العِتق والقِدَم(٣)

يكاد فى لفظةٍ منه مشرَّفةٍ ... يوصِيك بالحق ، والتقوى ، وبالرحم

يا أفصحَ الناطقين الضادَ قاطبةً ... حديثُك الشهدُ عند الذائقِ الفهِم

حلَّيتَ من عَطَلٍ جِيدَ البيانِ به ... فى كلِّ مُنتَثِرٍ فى حسنِ مُنتظِم(٤)

بكلِّ قولٍ كريمٍ أنت قائلُه ... تُحْيى القلوبَ ، وتُحْيى ميِّتَ الهِمم

سَرَتْ بشائرُ بالهادى ومولِدِه ... فى الشرق والغرب مَسْرى النورِ فى الظُّلَم

تخطَّفتْ مُهَجَ الطاغين من عربٍ ... وطيَّرت أنفُسَ الباغين من عجم(٥)

رِيعت لها شُرَفُ الإيوان ، فانصدعت ... من صدمة الحق ، لا من صدمة القُدُم(٦)

أتيتَ والناسُ فوضَى لا تمرُّ بهم ... إلا على صَنَم ، قد هام فى صنم

والأرض مملوءةٌ جوراً ، مُسَخَّرةٌ ... لكلِّ طاغيةٍ فى الخَلْق مُحتكِم

مُسَيْطِرُ الفرسِ يبغى فى رعيَّته ... وقيصرُ الروم من كِبْرٍ أصمُّ عَمِ

---

١ — العلم : الظاهر المشـــتهر . والجاهلون على الهادى : المتعنتـــون ، والاستفهام فى قوله « هل تجهـلون » انكارى .

٢ — انصرمت : انقطعت . منصرم . منقطع . الحكيم : القرآن ، وقد وصفه الله تعالى بالحكيم فى مواضع منه .

٣ — جدد : جمع جـــديد ، كسرر وسريره .

٤ — يقال : عطلت المراة عطلا ، اذا لم يكن عليها حلى .

٥ — مهج : جمع مهجة ، وهى د. القلب .

٦ — ريعت : ذعرت وخافت وشرف : جمـع شرفة وهى ما يوضـــع على القصـور ونحوها . والقدم : جمع قدوم ، روى أن شرف الايوان — وهو مأوى سلطان الأكاسرة — ارتجت وهوت ليلة مولده صلى الله عليه وسلم ، لـم تعمل فيها المعاول ، ولم تهدمها القدم بل تداعت من صدمة الحق .

يُعذِّبان عبادَ اللهِ في شُبهٍ ... ويذبَحان كما ضحَّيتَ بالغَنَم

والخلقُ يَفْتِكُ أقوامٍ بأضعفِهم ... كاللَّيث بالبَهْم ،أو كالحوتِ بالبَلَم(١)

أسرَى بك اللهُ ليلاً ، إذ ملائكُه ... والرُّسْلُ في المسجد الأقصى على قَدَم(٢)

لما خطرتَ به التفُّوا بسيِّدِهم ... كالشُّهْبِ بالبدرِ ،أو كالجُندِ بالعَلَم

صلى وراءك منهم كلُّ ذى خطرٍ ... ومن يفُز بحبيبِ الله يأتَمِم(٣)

جُبْتَ السمٰواتِ أو ما فوقهن بهم ... على منوّرةٍ دُرِّيَّةِ اللُّجُم(٤)

رَكوبة لك من عزٍّ ومن شرفٍ ... لا في الجيادِ ، ولا في الأَيْنُق الرُّسُم(٥)

مَشِيئةُ الخالق البارى ، وصَنعتُه ... وقدرةُ الله فوق الشك والتُّهَم

حتى بلغتَ سماءً لا يُطارُ لها ... على جَناحٍ ، ولا يُسْعَى على قَدم.

وقيل : كلُّ نبيٍّ عند رتبتِه ... ويا محمدُ ، هذا العرشُ فاستلم

خطَطْت للدين والدنيا علومَهما ... ياقارئَ اللوح ، بل يا لامِسَ القَلَم(٦)

أحطْتَ بينهما بالسرِّ ، وانكشفتْ ... لك الخزائنُ من عِلْم ، ومن حِكَم(٧)

---

١ — البهم : جمع بهمة ، وهي ولد الضأن والمعز . والبلم : صغار السمك

٢ — المسجد الاقصى : بيت المقدس ، وعلى قدم : قائمون محتشدون .

٣ — ذى خطر : ذى قدرة ومنـــزلة ويأتمم ، أي يأتم ، والاصل : ومن يأتم بحبيب الله يفز ، ولكنه قلب للمبالغة والمبادرة بذكر الفوز .

٤ — بهم : أى بملابسه بعضهم فيها ، فانه ورد أنه مر ببعضهم في السموات لا كما هو المتبادر من قوله انهم صاحبوه حين جاب السموات ، ويريـــد بقوله « منورة درية اللجـــم » البراق ٥ — « من » في قوله « من عز ومن شرف » للتعليل ، اى لاجل عـــزك وشرفك . والأينق الرسم : النـــوق الشديدة الوطء لقوتها ، حتى كانهـــا ترسم في الارض بمشيها آثارا ظاهرة والرسم : واحدها رسوم . والجياد : جمع جواد ، وهو الفرس الرائع البين الجودة .

٦ — خطه علوم الدين والدنيـــا : كناية عن تعليمها الناس ، وبثها فيهم . وقراءة اللوح ولمس القلم : كناية عن اطلاع الله له على ما اطلعـــه عليه من الغيوب .

٧ — عن ابن عباس رضى الله عنـــه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « علمنى ربى ليلة الاسراء علوما شتى : عـــلم أخذ على كتمانه ، وعلم خيرنى فيـــه ، وعلم أمرنى بتبليغه » .

وضاعفَ القُربُ ماقُلِّدْتَ من مِنَنٍ بلا عِدادٍ ، وما طُوِّقتَ من نِعمِ(١)
سلْ عصبةَ الشِّركِ حولَ الغارِ سائمةً لولا مطاردةُ المختار لم تُسمِ(٢)
هل أبصروا الأثر الوضّاء ، أم سمعوا همْسَ التسابيحِ والقرآن من أَمَمِ ؟(٣)
وهل تمثّل نسجُ العنكبوتِ لهم كالغابِ ،والحائماتُ الزُّغْبُ كالرخمِ ؟(٤)
فأدبروا ، ووجوهُ الأرضِ تلعنُهم كباطلٍ من جلالِ الحق منهزمِ(٥)
لولا يدُ اللهِ بالجارَيْنِ ما سلِما وعينُه حولَ ركنِ الدين ؛ لم يقمِ(٦)
تواريَا بجَناحِ اللهِ ، واستترَا ومن يضُمُّ جناحُ الله لا يُضَمِ(٧)
ياأحمدَ الخيرِ ، لى جاهٌ بتَسْمِيَتى وكيف لا يتسامى بالرسولِ سمِى ؟(٨)
المادحون وأربابُ الهوى تَبَعٌ لصاحبِ البُرْدةِ الفيحاءِ ذى القَدَمِ(٩)

١ ــ يجوز أن يكون « القرب » فاعلا « لضاعف » ، و « ما » وما بعدهــا مفعولا به ، والمعنى أن قــربه من الله تعالى قد أربى على جميع ما وليه صلى الله عليه وسلم من النعم التى لا يدركها العد ، فكانت باضافة القــرب اليهــا أضعاف ما كانت قبله . ويجــوز ان يكون مفعولا .. والفاعل « ما » ومــا بعدها ، والمعنى أن ما تجلى الله تعالى عليه به من النعم التى لاتعد وأولاه من الفضائل التى لا تحصى ، قد زاد قربه لأنه كقرب على قرب ، والاول أولى

٢ ــ عصبة الشرك : أى عصــبة من أهل الشرك الذين ذهبوا يطلبونه صلى الله عليه وسلم يوم هجرته . والغار : كالثقب بجبل أسفل مكة . ســائمة : راعية . ٣ ــ « من أمم » : من قرب

٤ ــ الغاب : الشجر الكثير المتكاثف والحائمات الزغب : الحمام . والرخم : جمع رخمة ، وهى طائر على شــكل النسر ، الا انه منقط السواد والبياض

٥ ــ شبه ادبارهم ونكوصهم على أعقابهم خائبين بدمغ الباطل وادحاضه قال الله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهــق) . ونسبة اللعن لوجوه الارض مجاز عقلى . واللاعن : من فيها من المسلمين والملائكة ، أو المراد وجوه أهلها ، أى أعيانهم وأفاضلهم .

٦ ــ الجاران : الرسول صــلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضى الله عنه . والمراد باليد : النعمة . وعينه : عنايته ، وحرف الشرط مقــدر فى الجملة الثانية .

٧ ــ جناح الله : لطفه وســتره . ويضم : يلحق به الضيم .

٨ ــ من أسمائه صلى الله عليــه وسلم : أحمد . وقد سمى الشاعــر به تيمنا باسم الرسول الاكــرم . ويتسامى : يتعالى . والاستفهــام فى البيت انكارى .

٩ ــ تبع : اخبر بالمصدر مبالغة ، وأفرده لانه يستوى فيه الواحــــد والجمع ، أو على تقدير مضــاف ، أى ذوو تبع ، أى مقتدون به . والقدم : التقدم والمنزلة ، وصاحب البردة : هو الامام البوصيرى .

مديحُه فيك حبٌّ خالصٌ وهوًى ... وصادقُ الحبِّ يُملِى صادقَ الكلِمِ(١)

للهُ يشهدُ أنى لا أعارضُه ... من ذا يعارضُ صوبَ العارضِ العَرِمِ؟(٢)

وإنَّما أنا بعض الغابطين ، ومَن ... يغبِطْ وليَّك لا يُذمَمْ ، ولا يُلَمِ(٣)

هذا مقامٌ من الرحمنِ مُقتبَسٌ ... تَرمى مَهابتُه سَحْبانَ بالبَكَمِ(٤)

البدرُ دونكَ فى حسنٍ وفى شرفٍ ... والبحرُ دونك فى خيرٍ وفى كرمِ

شُمُّ الجبالِ إذا طاولتَها انخفضت ... والأنجُمُ الزُّهرُ ما واسمتَها تَسِمِ(٥)

والليثُ دونك بأساً عند وثبتِه ... إذا مشيتَ إلى شاكى السلاحِ كَمِى(٦)

تهفو إليكَ – وإن أدميتَ حبَّتَها ... فى الحربِ – أفئدةُ الأبطالِ والبُهَمِ(٧)

محبةُ اللهِ ألقاها ، وهيبتُه ... على ابن آمنةٍ فى كلِّ مُصطدَمِ(٨)

كأن وجهَك تحت النَّقعِ بدرُ دُجًى ... يضىءُ مُلتثِماً ، أو غيرَ مُلتثِمِ(٩)

بدرٌ تطلَّعَ فى بدرٍ فغُرَّتُه ... كغُرَّةِ النصرِ ، تجلو داجىَ الظُّلَمِ(١٠)

ذُكِرْتَ باليُتْمِ فى القرآنِ تكرمةً ... وقيمةُ اللؤلؤِ المكنونِ فى اليُتُمِ(١١)

---

١ – مديحه حب : اى ناشىء من الحب ، أو ذو حب أى دال عليه

٢ – الصوب : الانصباب ، ومجىء السماء بالمطر . والعارض : السحاب المعترض فى الافق ، والعرم : يريد المطر الشديد .

٣ – الغابط : الذى يتمنى مثل ما للغير ، وليس هذا القدر بمذموم . ويذمم : يذم . ٤ – البكم : الخرس . وسحبان : هو سحبان وائل من بنى باهلة ، كان يضرب بفصاحته المثل .

٥ – يقال : واسمه فى الحسن فوسمه : غلبه فيه . انخفاض الجبال : كناية عن ظهورها قصيرة بالنسبة لارتفاع قدره صلى الله عليه وسلم وعلو شأنه . ٦ – الكمى : لابس السلاح

٧ – تهفو : هفا الظبى فى المشى يهفو هفوا وهفوانا : أسرع وخف فيه ، والمراد هنا شدة ميل القلوب له وانجذابها اليه صلى الله عليه وسلم ، وحبة القلب : سويداؤه ، والبهم : جمع بهمة وهو الشجاع .

٨ – مصطدم : بمعنى المصدر ، اى الاصطدام ، او : الموضع ، أى موضع الاصطدام ، وهو ميدان الحرب .

٩ – النقع : غبار الحرب . ١٠ – بدر : موضع بين الحرمين الشريفين ، وفيه كانت الغزوة المشهورة التى دمغ فيها الشرك وأعز الاسلام .

١١ – اليتم فى الناس : فقدان الأب وهو فى الاشياء : التفرد وعدم وجود نظائر لها ، واللؤلؤة اليتيمة : التى لا نظير لها فى العقد . ذكرت باليتم فى القرآن : يشير الى قوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى) ، وحرك التاء اتباعا لحركة الياء قبلها فى قوله : اليتم ، ولا يخفى ما فيه من حسن التعليل .

اللهُ قسّمَ بين الناسِ رزقَهُمُ ... وأنت خُيِّرْتَ فى الأرزاقِ والقِسمِ(١)

إن قلتَ فى الأمرِ: «لا»، أو قلتَ فيه: «نعم» ... فخيرةُ اللهِ فى «لا» منكَ أو «نعم»

أخوكَ عيسى دَعَا ميْتًا، فقام لهُ ... وأنت أحييتَ أجيالاً مِن الرِّمَمِ

والجهْلُ موتٌ، فإن أوتيتَ مُعْجِزةً ... فابعثْ من الجهلِ، أو فابعثْ من الرَّجَمِ(٢)

قالوا: غزوْتَ، ورسْلُ اللهِ ما بُعِثوا ... لقتْلِ نفسٍ، ولا جاءوا لسفكِ دمِ

جهلٌ، وتضليلُ أحلامٍ، وسفسطةٌ ... فتحتَ بالسيفِ بعد الفتحِ بالقلمِ

لما أتى لكَ عفوًا كلُّ ذى حَسَبٍ ... تكفّلَ السيفُ بالجهالِ والعَمَمِ(٣)

والشرُّ إن تَلْقَهُ بالخيرِ ضِقتَ به ... ذَرْعاً، وإن تَلْقَهُ بالشرِّ يَنحسِمِ

سَلِ المسيحيّةَ الغراءَ: كم شربت ... بالصّابِ من شهواتِ الظالمِ الغَلِمِ(٤)

طريدةُ الشركِ، يؤذيها، ويوسعُها ... فى كلِّ حينٍ قتالاً ساطعَ الحَدَمِ(٥)

لولا حُماةٌ لها هبُّوا لنصرتِها ... بالسيفِ، ما انتفعتْ بالرفقِ والرُّحَمِ(٦)

لولا مكانٌ لعيسى عند مُرسِلهِ ... وحُرمةٌ وجبتْ للروحِ فى القِدَمِ(٧)

---

١ — روى الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم قال: «عرض على ربى أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت: لا يارب، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما»

٢ — والجهل موت: كالترشيح للاستعارة فى البيت السابق، وهو تشبيه بليغ. وأوتيت: خطاب لغير معين. والرجم: القبر.

٣ — العمم: اسم جمع للعامة.   ٤ — الغلم: الهائج الثائر.

٥ — الحدم (بالتحريك): شدة احتراق النار.

٦ — الرحم: الرقة والمغفرة والتعطف.

لم يكن استعمال القوة فى اقامة الدعوة للدين شأن الدين الاسلامى وحده، وهذه الديانة المسيحية الموصوفة بديانة الرحمة والسلام، لم تبدأ الدعوة اليها حتى أصاب أهلها ما أصابهم، من الطرد والقتل، والتعذيب، والتشريد، والتمثيل بأيدى الجبابرة الطغاة من الملوك والقياصرة، بل بأيدى الشعوب والأمم، وتاريخ المسيحية بين أهل رومية مما تشيب له الولدان، فترى الدين المسيحى دين الرحمة والسلام ما دخل البلاد الا على رءوس الاسنة، ولا حمل الى الامم الا على متون السيوف.

٧ — المكان: المكانة، بمعنى القرب وارتفاع المنزلة، لأن الله تعالى منزه عن المكان والجهة. ووجبت: ثبتت له من القدم، لأن الله تعالى علم الأشياء وأرادها أزلا فصارت واجبة، بمعنى أنها لم تتخلف ابدا، والخبر محذوف فى قوله «مكان» و «حرمة»: أى ثابتان.

لَسُمِّرَ البدَنُ الطُّهرُ الشريفُ على ... لَوْحَيْن ، لم يخشَ مؤذيه ،ولم يَجِمِ(١)

جَلَّ المسيحُ ، وذاقَ الصَّلبَ شانِئهُ ... إن العقابَ بقدرِ الذنبِ والجُرُمِ(٢)

أَخُو النبي ، وروحُ اللهِ في نُزُلٍ ... فَوْقَ السماءِ ودون العرشِ مُحترَمِ(٣)

علَّمْتَهم كلَّ شيءٍ يجهلون به ... حتى القتالَ وما فيه من الذِّمَمِ(٤)

دعوتَهم لِجِهَادٍ فيه سؤددُهُمْ ... والحربُ أُسُّ نظامِ الكونِ والأُمَمِ

لولاه لم نر للدولاتِ في زمنٍ ... ما طالَ من عمد ، أو قرَّ من دُعُمِ(٥)

تلكَ الشواهِدُ تَتْرَى كلَّ آونةٍ ... في الأعصُرِ الغُرِّ ، لا في الأعصُرِ الدُّهُمِ(٦)

بالأمسِ مالت عروشٌ ، واعتلت سُرُرٌ ... لولا القذائفُ لم تثْلَمْ ، ولم تصمِ(٧)

أشياعُ عيسى أَعَدُّوا كلَّ قاصمةٍ ... ولم نُعِدَّ سِوى حالاتِ مُنقصِمِ(٨)

---

١ ــ لسمر :جواب الشرط في البيت السابق ، والطهر : الطاهر من أدران المعاصي ، ووصف بالمصدر مبالغــة . واللوحان : الصليب الذى أعد له عليه السلام ، والمراد بالتسمير : الصلب . لم يجم : لم يفزع .

٢ ــ جل المسيح : تنزه عما رماه به اليهود من كاذب التهم وباطل الاقاويل، وعما زعموا من أنهم صلبوه (ومـــا قتلوه وما صلبوه ولكن شــبه لهم) وشانئه : مبغضه، وحرك الراء فى قوله « والجرم » اتباعا لحركة الجيم قبلها

٣ ــ اخو النبى : أى فى الرسالة . روح الله : أى روح منه . قال تعالى (انما المسيح عيسى ابن مريم رســـول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منــه) وسمى روحا ، لاحيائه الموتى باذن الله ، ولأنه نفخة من جبريل ، قال تعــالى (فنفخنا فيه من روحنا) ونســـبة النفخ الى الله تعالى مجاز ، و « من » فى الآية للابتداء ، فوق السماء : أى السماء الدنيا . محترم : صفة لقوله نزل بضمتين ، وهو فى الاصل : المنزل ، وما هيىء للضيف ان ينزل عليه .

٤ ــ الذمم : جمع ذمة ، وهى العهد والامان ، والحق .

٥ ــ عمد : جمع عمود . وقر : ثبت ودعم : جمع دعام ، وهو عماد البيت والدعم هنا كناية عما يستقيم به نظام الممالك ، ويرتفع به شأن الامم .

٦ ــ الغر : جمع اغر : صــفة لذى الغرة ، وهى بياض فى الجبهة ، والأعصر الغر : التى ساد فيها العـــلم وعمت أسباب العدل . الدهم : المظلمة التى شاع فى أهلها الجهـــل وفشـــا فيهم الظلم .

ما زالت الغلبة للقـــوة ؛ ولا زالت معتمد الدول ومستند الأمم ، فى رفـــع عماد الملك ، وتثبيت دعامة الحكم ، استوت فى ذلك الأزمان السالفة التى يظنونها ازمان تأخر وتقهقر ، والأيام الحاضرة التى يزعمونها ايام تقـــدم وتنور . وفى البيت الطباق   ٧ ــ اعتلت : علت .

٨ ــ قاصمة : كاسرة ؛ ومنقصم : منكسر . فى هذا البيت مقارنة بين أهل الديانة المسيحية ، وأهـــل الديانة الاسلامية ، فذكر ان المتشيعين اليوم الى الدين المسيحى « دين الهـــدوء والسلام » هم أهل القوة الحربية ، =

مهما دُعيتَ إلى الهيْجاءِ قُمْتَ لها | ترمى بأُسْدٍ ، ويرمى اللهُ بالرُّجُمِ(١)
على لِوَائِكَ منهم كلُّ مُنتقِمٍ | لله ، مُستقتِلٍ فى اللهِ ، مُعتزِمِ(٢)
مُسبِّحٍ للقاءِ اللهِ ، مُضطرِمٍ | شوقاً ،على سابحٍ كالبرقِ مضطرِمِ(٣)
لو صادفَ الدهرَ يَبْغِى نقلةً ، فرمى | بعزمِهِ فى رحالِ الدهرِ لم يَرِمِ(٤)
بيضٌ ، مَفاليلُ من فعلِ الحروبِ بهم | من أسْيُفِ اللهِ ، لا الهندِيةِ الخُذُمِ(٥)
كم فى الترابِ إذا فتشت عن رجلٍ | من ماتَ بالعهدِ ، أو من ماتَ بالقسَمِ(٦)

= الدائبون على اعـــداد المهلكات فى الحروب ، حتى كأنهم اصبحوا ، ولـــم يبق لهم من شـــغل يشـــغلهم ، الا استخراج الذهب من بطـــون الارض ، وانفاقه على مصانع الحديد والفولاذ لطبع آلات الحرب فى طـــول الارض وعرض البحر ، وقد افتنوا فى أسباب الاهلاك والتدمير ، ولم يكفهـــم أن يصدموا على الناس ، ويأخذوهـــم بالبلاء عن ايمانهم وعن شمائلهم ، ومن خلفهم ومن تحت أرجلهم ، حتى قاموا على تسخير الرياح،ليرموهم من فوق رءوسهم بكل دهياء ، على حين أن أهل الديانة الاسلامية ، الذين يتهمهـــم الظالمون بحب الفتح والجهاد،ويشينون سمعتهم بحب الطعن والجلاد،والولوغ فى دماء العباد ، هم القوم أهل السكينة والسلام ، وهيهات أن يدانوا أهـــل الديانة المســـيحية فى حب الفتـــوح والحروب ، او يشـــاكلوهم فى ادخار آلات الحرب واستعداد معدات الكفاح

١ — الهيجاء : الحرب . الرجم : النجوم التى يرمى بها . رجـــع الى خطابه صلى الله عليه وسلم ، وشـــبه اصحابه بالأسود ، لما لهم من شجاعتهم وبأسهم . ورميه بهم : كناية عن ندبه اياهم للجهاد ، وتقديمهم الى مواطـــن الطعن والجلاد . والرمى بالرجم يكون للشياطين ، ففيه استعارة مكنية ، أى انهم كالشياطين يرمون بالرجم .

٢ — على لوائك : أى منضو تحت لوائك . استعارة العلو للتحتيـــــة استعارة تمليحية

٣ — الاضطرام : توقد النار وتأججها سابح : جواد ، شبه حميتهم ونشاطهم فى الحرب وجولاتهم فيها باضـــطرام النار : وهو توقدها ، وتأججهـــا ، واخذها يمينا وشمالا ، واســـتعار الاضطرام لذلك المعنى ، ثم اشتق منه مضطرم ، على سبيل التبعية

٤ — يبغى : يريد . وشبه العـــزم بالسهم ، بجامع المضاء والنفوذ فى كل وشبه الدهر بذى رحال ، بجامـــع التحول فى كل ، وحذف المشبه به ، ورمز اليه بلازمه — وهو الرحال — على طريقة الاستعارة المكنية — لم يرم : لم ينتقل ولم يتحول .

٥ — مفاليل : الفل الثلم فى السيف . والهندية : نسبة الى الهنـــد كانت مشتهرة بطبع الســـيوف . والخذم : جمع خذم ، ككتف السيف القاطع . بيض : أى سيوف بيض . شـــبههم بالسيوف لازهاقهم نفوس الاعداء وهو تشبيه بليغ . ومفاليل ترشيح للتشبيه بالســـيوف .

٦ — بالعهد : أى احتفاظا بما عاهدوا الله ورسوله عليه من نصرته للرسول . من : تفصيل لحال الرجل ، أو تفصيل لمعنى « كم » .

لولا مواهبُ فى بعضِ الأنام لما ... تفاوت الناسُ فى الأقدار والقِيَم(١)

شريعةٌ لك فجرت العقول بها ... عن زاخرٍ بصنوفِ العلم ملتطِم

يلوحُ حولَ سنا التوحيدِ جوهرُها ... كالحلْى للسيف أو كالوشْى للعَلَم(٢)

غرّاءُ ، حامت عليها أنفسٌ ونُهًى ... ومن يَجدْ سَلسَلًا من حكمةٍ يَحُم(٣)

نورُ السبيلِ يساس العالَمون بها ... تكفّلتْ بشباب الدهرِ والهَرَم(٤)

يجرى الزمّانُ وأحكامُ الزمانِ على ... حُكم لها ، نافذٍ فى الخلق ، مُرْتَسِم

لما اعتلت دولةُ الإسلامِ واتسعت ... مشتْ ممالِكُهُ فى نورِها التَّمم(٥)

وعلَّمتْ أمةً بالقفر نازلةً ... رعْىَ القياصرِ بعد الشَّاء والنَّعَم

كم شيَّد المصلِحُون العاملون بها ... فى الشرق والغرب مُلكًا باذِخَ العِظَم

للعِلم ، والعدلِ ، والتمدينِ ما عزموا ... من الأمور ، وما شدُّوا من الحُزُم(٦)

سرعان ما فتحوا الدنيا لِمِلَّتِهم ... وأنهلوا الناسَ من سَلسالها الشَّبِم(٧)

ساروا عليها هُداةَ الناس ، فَهْى بهم ... إلى الفلاحِ طريقٌ واضحُ العَظَم(٨)

---

١ — أشار فى هذا البيت الى ان ما ناله أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، من الفوز بالسعادة ، وارتفاع الدرجة عند الله تعالى ، انما كان بما تقدم لهم من الفضائل ، والبلاء فى نصرة الدين ، وتعرضهم للقتل والطعن فى سبيل الله تعالى ، ولولا ذلك ما كان لهم فضل على سائر الناس ، ولا عدت درجتهم منزله غيرهم من العالمين

٢ — الوشى : النقش .

٣ — حامت : عطفت ومالت . ونهى : جمع نهية وهى العقل . والسلسل : الماء العذب .

٤ — نور السبيل : لأنها يهتدى بها الى غاية النجح والفلاح فى الدنيا ، والفوز والسعادة فى الاخرة . وشباب الدهر والهرم : كناية عن أوله وآخره ، أو عن حالتى اقباله وادباره . وتكفلها بشباب الدهر .. الخ : أى تكفلها بما يعلى اهلها ، ويصلح من شأنهم على كل حال من الاحوال ، بلا تغيير فى احكامها ولا تبديل لنصوصها .

٥ — التمم : التام — ٦ — الحزم : جمع حزام .

٧ — سرعان : أسم فعل ، يستعمل خبرا محضا ، وخبرا فيه معنى التعجب يقال : سرعان ما فعل كذا : أى ما أسرعه . والنهل : اول الشرب ، تقول : أنهلت الابل اذا شربت من أول الورد . والسلسال : الماء العذب . والشبم : البارد .

٨ — ساروا عليها : اخذوا بها وجروا على احكامها . هداة الناس : أى حالة كونهم هادين للناس . فهى : اى الملة بهم : اى بسبب قيامهم بها ونشرهم لها .

لا يهدِمُ الدّهرُ رُكنًا شاد عدلُهُمُ وحائطُ البغيِ إنْ تلمسْهُ ينهدِمِ

نالوا السعادةَ فى الدّارين واجتمعوا على عميمٍ من الرضوان مقتسمِ

دعْ عنكَ روما، وآثينا، وما حوَتا كلُّ اليواقيتِ فى بغدادَ والتُّوَمِ(١)

وخلِّ كِسرى، وإيوانًا يدِلُّ به هوى على أثرِ النيران والأيُمِ(٢)

واترُكْ رعمسيسَ، إنّ الملكَ مَظهرُهُ فى نهضة العدل، لا فى نهضة الهرَمِ(٣)

دارُ الشرائع روما كلّما ذُكِرَتْ دارُ السلام لها ألقتْ يدَ السَّلَمِ(٤)

ما ضارَعَتْها بياناً عند مُلْتَأَمٍ ولا حكَتْها قضاءً عند مُختصَمِ(٥)

ولا احتوت فى طِرازٍ من قياصِرِها على رشيدٍ، ومأمونٍ، ومُعتصِمِ(٦)

---

١ ــ روما : هى المدينة المعروفة الآن بهذا الاسم ، قاعدة لمملكة ايطاليـــا ؛ وكانت فى الزمن السـابق قاعدة لمملـكة الرومان المشهورة . وآثينا : قاعـــدة مملكه اليونان الآن ، وكانت من اكبـر مدن الأمة اليونانية فى العصور السابقة وبغداد : قاعدة الخلافة الاسـلامية فى دولة بنى العباس ، والتوم : جمـــع تومة ، وهى الحبة من الفضة تعمل على شكل الدرة .

٢ ــ كسرى : لقب لكل من يلى ملك فارس . والنيران . لعـله يريد بهـــا نيران فارس ، التى خبت ليلة مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك أيام كسرى أنو شروان . والأيـم : الدخان .

٣ ــ الهرم : الاهرام فى مصر كثيرة واشهرها أهرام الجيزة الثـــلاثة . وأكبرها أشهرها واعجبها ، حتى اذا ذكر لفظ الهرم صرف اليه، ورعمسيس اسم بعض الفراعنة « مـــلوك مصر القدماء » ، وقد تسمى بهذا الاسم غير واحد منهم ، ولعل الشاعر يريد أولئك الفراعين ــ على الجملة ــ الذين ينتسب مجدهم الى مثل هذا العمـل الخطير ، وان كان بانى الهـــرم ليس رعمسيس بعينه .

٤ ــ دار السلام : بغداد . والسلم : التسليم .

٥ ــ ملتأم : مجتمـــع . مختصم : بمعنى المصدر : اى اختصام . كمـــا اشتهرت (روما) بقضائها وقوانينها قد اشتهرت بخطبائها وشعرائها ، وكان من عادة الرومانيين انهم اذا نزل بهم الأمر العظيم ، نفروا الى بعض أماكنهم العامة ، فخطبهم الخطباء ، وانشدهم الشعراء ، الذين كان لفصاحة السنتهم فى الناس تأثير عجيب ، ومع هذا فمـا دانوا فى قضائهم شأو بغداد ، التى كان يقضى فيها بدين الله ، وهو أجل من ان يقاس به غيره ، ويوازن به ما سواه ، ولا بلغوا فى فصاحتهم شأن فصحاء الدولة العباسية ، الذين قالوا فى كل باب ، فهزوا النفوس وخلبوا الالبـاب ــ ٦ ــ الطراز : علم الثوب ، والجيد من كل شىء . ولا احتوت على رشيد الخ ، اى على أمثالهم فى الفضل والعقل والحزم .. ورشيد : هو هـــارون الرشيد . ومأمون : هو عبد الله المأمون ابن هارون الرشيد الخليفـه العباسى المشهور . ومعتصم : هو أبو اسـحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد، ولى الخلافة يوم وفاة أخيه المأمون .

من الذين إذا سارت كتائبُهم ... تصرّفوا بحدود الأرضِ والتخُمِ(١)

ويجلسونَ إلى علمٍ ومَعرفةٍ ... فلا يُدانَوْن فى عقل ولا فَهَم

يُطأطئ العلماءُ الهامَ إن نَبَسوا ... من هيبةِ العلْم ، لا من هيبة الحُكُم

ويُمطِرون ، فما بالأرضِ من مَحَلٍ ... ولا بمن بات فوق الأرضِ من عُدُم(٢)

خلائفُ الله جلُّوا عن موازنةٍ ... فلا تقيسنّ أملاكَ الورى بهم(٣)

مَنْ فى البرية كالفاروق مَعْدَلَةً ؟ ... وكابن عبدالعزيز الخاشعِ الحشمِ؟(٤)

وكالإمام إذا ما فَضَّ مزدحماً ... بمدمع فى مآقى القوم مزدحم(٥)

الزاخر العذْب فى علْم وفى أدبٍ ... والناصر النَّدْب فى حرب وفى سلم؟(٦)

أو كابن عفّانَ والقرآنُ فى يدِهِ ... يحنو عليه كما تحنو على الفُطُم(٧)

ويجمع الآىَ ترتيبًا وينظمُها ... عقدًا بجيد الليالى غير منفصِم ؟

جُرحان فى كبدِ الإسلام ما التأما ... جُرْحُ الشهيد ، وجرحٌ بالكتاب دمى(٨)

وما بلاءُ أبى بكر بمتَّهم ... بعد الجلائل فى الأفعال والخِدم

---

١ ــ الكتائب : جمع كتيبــة ، وهى الجيش . والتخم ـ كعنق : جمع تخوم وهى الفواصل بين الارضين من معالم الحدود .

٢ ــ المحل : الجدب . والعـــدم : فقدان المال .

٣ ــ خلائف الله : هذا قول مستأنف عام لجميع الخلفاء المتقدمين والمتأخرين وذكر الخلفاء الراشدين بعده من ذكر الخاص بعد العام ، اهتماما بشأنهم . وورعه . وتشبه بهم ، واقتــدائه فى عبد العزيز رضى الله عنه ، لشدة فضله وورعه ، وتشبهه بهم ، واقتدائه فى حكومته بحكومتهم ، فكان حقيقــا ان يذكر فيهم ، ويلحق بهم .

٤ ــ المعدلة : العدل

٥ ــ الامام : هو الامام علــى بن أبى طالب كرم الله وجهه . ومآقى العيون اطرافها مما يلى الانوف ، وهى مجارى الدمع .

٦ ــ يقال : رجل ندب ، اى خفيف فى الحاجة سريع ظريف نجيب .

٧ ــ ابن عفان : هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه . والفطم : جمع فطيم ، وهو الصبى المفصـــول عن الرضاع .

٨ ــ وجرح بالكتاب دمى : اى وجرح دمى به الكتاب . وقلب للمبــــالغه . وذلك ان قتلة عثمان رضى الله عنــــه دخلوا عليه الدار ، وخبطوه بالسيوف وهو صائم ، والمصحف فى حجـــره ، وهو يقرأ فيه . فوقع المصحف من يده وسال الدم عليه .

بالحزم والعزم حاطَ الدين فى محنٍ ... أضلّت الحلم من كهلٍ ومحتلمِ (١)
وحِدْنَ بالراشد الفاروق عن رشدٍ ... فى الموت ، وهو يقينٌ غير منبَهِمِ (٢)
يجادِلُ القومَ مُسْتَلاً مهنَّدَه ... فى أعظمِ الرسْلِ قدراً ، كيف لم يدمِ؟ (٣)
لاتعذلوه إذا طاف الذهولُ به ... مات الحبيبُ ، فضلَّ الصبُّ عن رَغَمِ

* * *

يارب صَلِّ وسلِّم ما أردتَ على ... نزيلِ عرشِك خيرِ الرسْلِ كلِّهمِ
مُحيِي الليالى صلاةً ، لا يقطِّعُها ... إلاّ بدمعٍ من الإشفاقِ مُنسجمِ
مسبِّحاً لك جُنْحَ الليلِ ، محتملاً ... ضُرًّا من السُّهد ، أو ضُرًّا من الورَمِ
رضيّةً نفسُه ، لا تشتكى سأماً ... وما مع الحبِّ إن أخلصتَ مِن سَأمِ
وصلِّ ربِّى على آلٍ له نُخَبٍ ... جعلتَ فيهم لواءَ البيتِ والحرمِ (٤)
بيضُ الوجوهِ ، ووجهُ الدهر ذو حَلَكٍ ... شُمُّ الأنوفِ ، وأنفُ الحادثاتِ حمِى (٥)
وأهدِ خيرَ صلاةٍ منك أربعةً ... فى الصحبِ ، صُحبتُهم مَرْعِيَّةُ الحُرَمِ

---

١ — يشير الى حروب الردة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وانتصاره على المرتدين .

٢ — يقول : ماظنك بتلك المحن التى تنحرف بعمر رضى الله عنه عن الرشد وله ما تعلم من كمال الرشد ، ووفور العقل ، وصدق اليقين ، وتذهله عن ادراك امر من أظهر البديهيات لديه ، هو أن يدرك الموت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ — وذلك انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الناس مات رسول الله ، اسرع عمر الى سيفه وتوعد من يقول ذلك ، وقال انى لارجو أن يقطع أيدى رجال وأرجلهم. فلما حضر أبو بكر ، واخبر الخبر ، كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أكب عليه ، فقبله وبكى ، ثم قال : بأبى أنت وأمى . والله لايجعل الله عليك موتتين ، أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها . ثم خرج الى الناس ، وقال : الا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت .

٤ — النخب : جمع نخبة . وهو الرجل المختار .

٥ — الحلك (محركة) : شدة السواد . والشمم فى الأنف : ارتفاع القصبة وحسنها ، وهو هنا كناية عن الحمية وشرف النفس . وأنف الحادثات حمى : كناية عن اشتداد الخطب واستفحال الأمر .

الراكبين إذا نادى النبيُّ بهم ... ما هال من جَلَلٍ ، واشتد من عَمَمِ(١)
الصابرين ونفسُ الأرض واجفةٌ ... الضاحكين إلى الأخطار والقُحَمِ(٢)
ياربِّ ، هبتْ شعوبٌ من منيّتها ... واستيقظت أُمَمٌ من رقْدة العدم
سعدٌ ، ونحسٌ ، ومُلكٌ أنت مالِكه ... تُديلُ مِنْ نِعَمٍ فيه ، ومِنْ نِقَمِ
رأى قضاؤك فينا رأىَ حكمتِه ... أكرِمْ بوجهك من قاضٍ ومنتقمِ
فالطُفْ لأجلِ رسولِ العالمين بنا ... ولا تزدْ قومَه خسفًا ، ولا تُسِمِ
ياربِّ ، أحسنت بَدْءَ المسلمين به ... فتمِّمِ الفضلَ ، وامنحْ حُسنَ مُختَتَمِ(٣)

خاتمة رياض(*)

كبير السابقين من الكرام ... برغمي أن أنالكَ بالملام(٤)
مقامُك فوق ما زعموا ، ولكن ... رأيتُ الحقَّ فوقك والمقام(٥)
لقد وجدوكَ مفتوناً ، فقالوا ... خرجت من الوقار والاحتشام(٦)

---

١ ــ هاله الامــــر هولا : افزعه . والجلل ، هنا : الامـــــر العظيـم . والعمم : التام العام من كل أمر ، يقال : أمر عمم ، أى تام عام .

٢ ــ القحم : جمع قحمة بالضم ، ومن معانيها : الأمر الشـــاق لا يكاد يركبه أحد ، وهو المراد هنا .

٣ ــ لا يخفى ما فى (حسن مختتم) من حسن الختام

(*) قيلت بعد خطبة المرحوم رياض باشا فى مدرسة محمد على الصناعية فى ٨ يونيو سنة ١٩٠٤ .

٤ ــ الخطاب فى هذا البيت لمصطفى رياض باشا ، وكان قد خطب فى افتتاح مدرسة محمد على الصناعيـــه ، التى انشأتها فى الاسكندرية جمعية العروة الوثقى سنه ١٩٠٤ ، وكان اللـــورد كرومر عميد الدولة المحتلة حاضرا هذا الافتتاح ، فتملقه الخطيب بكلام ، كقربه نعمة مصر وأصحاب عرشها .

٥ ــ رأيت الحق فوقك والمقـام : أى وفوق مقامك .

٦ ــ الوقار : الرزانة . والحـلم والاحتشام : الاستحياء .

وقال البعض : كيدُكَ غيرُ خافٍ ... وقالوا : رميةٌ من غير رام(١)

وقيل : شططْتَ في الكفران ، حتى ... أردتَ المنعمين بالانتقام(٢)

غمرتَ القومَ إطراءً ، وحمدًا ... وهم غمروك بالنِّعم الجِسام(٣)

رأوا بالأمس أنفَكَ في الثريا ... فكيف اليوم أصبح في الرَّغام؟(٤)

أما والله ما علموك إلا ... صغيرًا في ولائك ، والخصام

إذا ما لم تكن للقول أهلاً ... فما لك في المواقف والكلام ؟

خطبتَ . فكنتَ خَطْبًا — لاخطيبًا — ... أُضيفَ إلى مصائبنا العِظام

لَهِجْتَ بالاحتلال وما أتاه ... وجُرحُكَ منه ـ لو أحْسَسْتَ ـ دامي(٥)

وما أغناهُ عمن قال فيه ... وما أغناك عن هذا الترامي(٦)

أحبَّتك البلادُ طويلَ دهرٍ ... وذا ثمنُ الولاءِ والاحترام

حقَرْتَ لها زماماً كنتَ فيه ... لَعُوباً بالحكومه والذمام(٧)

محاسنُه غِراسُك والمساوى ... لك الثمرانِ : من حمدٍ . وذام(٨)

فهلاً قلت للشبان قولاً ... يليقُ بحافل الماضي الهمام ؟

---

١ ــ الكيد : المكر والخبث وارادة ضرر الغير خفية . ورمية من غير رام : يريد أنه لم يقصد الكيد بماقاله ؛ وأصل المثل : رب رمية من غير رام ، وهو يقال لمن يصيب في أمر وعادته أن يخطىء .

٢ ــ شططت : أفرطت .

٣ ــ غمرت القوم ، من قولهم : غمرت فلانا بالمعروف والفضل ، أى بالغت في الاحسان اليه ٤ ــ الثريا : سبعة كواكب في عنق البرج المعروف بالثور . والرغام (بفتح الراء) : التراب ــ٥ــ لهجت بالاحتلال ، من قولهم : لهج بالشيء ، اذا أغرى به فثابر عليه . والدامى : الذى يسيل دمه ٦ ــ وما أغناه ... الخ : أى ما أغنى الاحتلال عنك ، وما أغناك من أن تترامى على أصحابه بمثل ماقلت .

٧ ــ حقرت (بفتح القاف مخففة) : استصغرت . الزمام (بالزاى) : ملاك الأمر . والذمام (بالذال) : الحق والحرمة ــ٨ــ محاسنه : الضمير للزمام أى انت الذى غرست ما لهذا الزمام من المحاسن والمساوىء ، فلك مايثمر من حمد وذم .

يَبُثُّ تجاربَ الأيامِ فيهم ويدعو الرابضين إلى القِيام(١)

خطبتَ على الشبيبةِ غيرَ دارٍ بأنكَ من تَشيبك فى منام

ولولا أن للأوطان حبًّا يُصِمُّ عن الوِشايةِ كالغرام

جنيتَ على قلوبِ الجمع يأسًا كأنكَ بينهم داعى الحِمام(٢)

أراعَكَ مقتلٌ من مصرَ باقٍ فقمت تزيدُ سهمًا فى السهام؟(٣)

وهل تركتْ لك السبعون عقلاً لعرفانِ الحلالِ من الحرام ؟

ألا أنبيك عن زمنٍ تولى فتذكرَه ودمعُكَ فى انسجام؟(٤)

سل «الحلميةَ» الفيحاءَ عنه وسل دارًا على «نور الظلام»(٥)

وسل من كان حولك عبدَ جاهٍ يُريكَ الحبَّ ، أو باغى حُطام(٦)

رأوا إرثًا سيذهب بعد حينٍ فكانوا عُصْبةً فى الاقتسام

ونالوا السمعَ من أُذُنٍ كريمٍ فنالوا منه أنواعَ المرام(٧)

هُم حزبٌ ، وسائرُ مصرَ حزبٌ وأنت أصمُّ عن داعى الوئام(٨)

وكيف ينالُ عونَ اللهِ قومٌ سراتُهُمُ عواملُ الانقسام(٩)

---

١ ـ يبث : ينشر ويذيع • والتجارب : جمع تجربة ، وهى اختبار الشيء مرة بعد مرة • والرابضين : جمـــع رابض ، وهو من يأوي الى المكان فــلا يفارقه •

٢ ـ يقـــــول : لولا أن الذين سمعوك يحبون بلادهم حبا يمنعهم من القعود عن العمل لانقاذها من الاحتلال ، لأصابهم اليأس والقنوط بســـبب كلامك ٣ ـ أراعك : أى أفـــزعك • والمقتل : العضو الذى اذا أصيب لايكاد صاحبه يسلم • يقول : هل أفزعك أن رأيت بعض مقاتل مصر سليمة لم تصب فزدت سهما ليصيبها •

٤ ـ أنبيك : أخبرك • والانسجام : سيلان الدمع ٥ ـ الحلمية : حى من أحياء القاهرة • ونور الظـــلام : اسم شارع بهذا الحى فيه دار رياض •

٦ ـ الباغى : الطالب • والحطام : المال ؛ قل أو كثر ٧ ـ رجــل أذن (بضم الذال) : اذا كان يسمع مقال كل أحد ويقبله ٨ ـ الوئام : الوفاق

٩ ـ السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف السخى •

إذا الأحلامُ فى قومٍ تولّتْ ... أتى الكبراءُ أفعالَ الطَّغامِ(١)

فيا تلك الليالى ، لا تعودى ... ويا زمنَ النفاقِ ، بلا سلامِ(٢)

أحبُّكِ مصرُ ، من أعماقِ قلبى ... وحبُّكِ فى صميمِ القلبِ نامِ(٣)

سيجمعُنى بكِ التاريخُ يوماً ... إذا ظهر الكرامُ على اللئامِ(٤)

لأجلكِ رحتُ بالدنيا شقيًّا ... أصدُّ الوجهَ ، والدنيا أمامى

وأنظرُ جَنَّةً جمعتْ ذِئاباً ... فيصرفُنى الإباءُ عن الزحامِ(٥)

وهبتُكِ — غيرَ هيابٍ — يَراعاً ... أشدَّ على العدوِّ من الحسامِ(٦)

سيكتبُ عنكِ فوقَ ثَرَى رياضٍ ... وفى التاريخ صفحة الاتهام

أفى السبعين ، والدنيا تولّت ... ولا يُرْجَى سوى حسنِ الختامِ

تكون — وأنت أنت رياض مصرٍ — ... عرابى اليوم فى نظر الأنامِ ؟

ضجيج الحجيج(*)

ضجَّ الحجازُ ، وضجّ البيتُ والحرمُ ... واستصرخت ربَّها فى مكّةَ الأُمَمُ(٧)

قد مسها فى حماك الضرُّ ، فاقضِ لها ... خليفةَ الله ، أنتَ السيدُ الحكم

لك الربوعُ التى ريع الحجيجُ بها ... ألِلشريفِ عليها أم لكَ العلم ؟(٨)

---

١ — الاحلام : العقول • والطغام (بفتح الطاء) : أو غاد الناس •
٢ — بلا سلام : أى اذهب بلا سلام — ٣ — فى صميم القلب : أى فى القلب والصميم : الخالص من الشىء ٤ — اذا ظهر الكرام على اللئام : أى اذا غلبوهم •
٥ — الاباء : الكبر والنخوة — ٦ — اليراع القلم • والحسام : السيف •
(*) رفعت الى السلطان عبد الحميد استصراخا من الشريف وأعوانه فى ١٤ ابريل سنة ١٩٠٤ — ٧ — ضج : فزع من شىء خافه فصاح الربوع : جمع ربع ؛ وهو الدار • والحجيج : جمع الحاج •

أُهِينَ فيها ضيوفُ الله ، واضطُهِدوا — إن أنت لم تنتقم فالله مُنتقم
أفي الضُّحَى — وعيونُ الجند ناظرةٌ — تُسبَى النساءُ ، ويُؤذَى الأهلُ والحشم ؟
ويُسفَكُ الدمُ في أرضٍ مقدّسةٍ — وتستباحُ بها الأعراضُ والحُرَم ؟(١)
يدُ الشريفِ على أيدي الولاةِ علتْ — ونَعْلُه — دونَ رُكْنِ البيتِ — تُستلَم(٢)
« نيرونُ » إن قيسَ في بابِ الطُّغاةِ به — مبالغٌ فيه ، و « الحجاجُ » مُتَّهَم(٣)
أدِّبْه أدّبْ — أميرَ المؤمنين — فما — في العفو عن فاسق فضلٌ ولا كرم
لا ترجُ فيه وقارًا للرسول ، فما — بين البُغاة وبين المصطفى رَحِم(٤)
ابنُ الرَّسولِ فتًى فيه شمائلُهُ — وفيه نخوتُه ، والعهد ، والشمَم(٥)
ما كان طَه لرهطِ الفاسقين أبًا — آل النبيّ بأعلام الهدى خُتِموا(٦)
خليفةَ الله ، شكوى المسلمين رقَتْ — لسُدّةِ الله هل ترقى لك الكلم ؟(٧)
الحجُ رُكنٌ من الإسلام نُكبِره — واليومَ يوشِكُ هذا الركنُ ينهدم(٨)
من الشريف ومن أعوانِه فعلت — نُعمَى الزيادة ما لا تفعل النقم
عزَّ السبيلُ إلى طَه وتربتِه — فمن أراد سبيلا فالطريقُ دم(٩)

---

١ — الحرَم : جمع حرمة ، وهي ما لا يحل انتهاكه — ٢ — تستلم : من استلام الحجر وركن البيت الحرام وغيره ، وهو لمسه باليد أو بالقبلة

٣ — نيرون : طاغية روماني قديم • والحجاج : طاغية عربي كان واليا على العراق لعبد الملك بن مروان أحد الخلفاء الأمويين — ٤ — لا ترج : لا تخف ، من رجا ، بمعنى خاف . والوقار هنا : العظمة • وفي القرآن الكريم « مالكم لا ترجون لله وقارا » : أي لا تخافون لله عظمة — ٥ — الشمائل : جمع شمال . بكسر الشين وهو الطبع • والنخوة : الحماسة والمُروءة • والعهد : الوفاء والأمانة • والشمم : التكبر •

٦ — طه : من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم • والرهط : من ثلاثة الى عشرة • ولا تكون فيهم امرأة ٧ — رقت : صعدت • والكلم : اسم جنس جمعي لكلمة — ٨ — نكبره : نعظمه ، ويوشك : يقارب — ٩ — عز السبيل ، من قولهم عز الشيء : اذا قل فلا يكاد يوجد ولا يقدر عليه •

محمدٌ رُوِّعت فى القبر أعظُمُه ... وبات مستأمنًا فى قومه الصنم (١)

وخان «عونُ الرفيقِ» العهدَ فى بلدٍ ... منه العهودُ أتتْ للناس والذمم (٢)

قد سال بالدم مِن ذِبْحٍ ومن بَشَرٍ ... واحمرّ فيه الحمَى والأشهرُ الحرم (٣)

وفُزِّعَتْ فى الخدورِ الساعياتُ له ... الداعياتُ وقرب الله مُغتنَم (٤)

آبتْ ثكالَى أيامَى بعد ما أخذَتْ ... مِنْ حَوْلِهِنّ النَّوَى والأَيْنُقُ الرُّسُم (٥)

حُرِمْنَ أنوارَ خيرِ الخلقِ من كثَبٍ ... فدمعهُنَّ من الحرمان منسجم (٦)

أىُّ الصغائرِ فى الإسلام فاشية ... تودَى بأيسرها الدولاتُ والأُمَم (٧)

يجيشُ صدرى ، ولايجرى بهاقلمى ... ولوجرى لبكى واستضحك القلم (٨)

أغضَيْتُ ضنًّا بعرضى أن أُلِمَّ به ... وقد يروق العمى للحرّ والصمم (٩)

موِّه على الناسِ ، أو غالطهمُ عبثًا ... فليس تكتمهم ما ليس ينكتم (١٠)

من الزيادةِ فى البلوى وإن عَظُمتْ ... أن يعلم الشامتونَ اليومَ ما علموا

---

١ ــ الصنم : صورة أو تمثال يتخذ للعبادة ، وقيل : هو كل ماعبد من دون الله ــ٢ــ عون الرفيق : اسم الشريف الذى اقترف تلك المظــالم • والذمم : جمع ذمه ، وهى العهد والأمان ٣ ــ الأشهر الحرم ، أربعة : ذو القعدة؛ وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ، سميت كذلك لأن العرب كانت تجعل القتال فيها حراما : ماعدا بنى خثعم وطيىء • والضمير فى (ســال) و (فيه) : للبلد فى البيت المتقدم • واحمــرار الحمى والأشهر الحــرم : كناية عن اقترافه القتل فيهما ــ٤ــ فزعت : خوفت والخدور: البيوت • والساعيات له : أى لذلك البلد ــ ٥ ــ الثكالى : جمع ثكلى : وهى من فقدت ولدها ، والايامى : جمع ايم ، وهى من لازوج لها • والنوى : البعد • والأينق : جمع ناقة • والرسم : جمع رسوم ، وهى الناقة تؤثر أخفافها فى الأرض من شــدة الوطء ٦ ــ من كثب : أى من قرب • والمنســجم : السائل ــ٧ــ الصغائر : جمع صغيرة ، وهى من الذنوب أخف من الكبيرة فى حكم الشرع • وتودى : تهــلك • والدولات جمــع دولة ــ٨ــ يجيش صدرى : يغلى غيظا • اســتضحك : بمعنى ضحــك ــ٩ــ اغضيت : أى صبرت وأمسكت • وضنا : بخلا • وألم به : أى بما يؤذيه ، من قولهم : الم بالذنب اذا فعله • ويروق العمى : من راقه الشيء اعجبه •

١٠ ــ موه على الناس : أى زخرف لهم الأخبار وزورها عليهم •

كلُّ الجراح بآلامٍ ، فما لمستْ　　يدُ العدوّ فثَمَّ الجرحُ والألم

والموتُ أهونُ منها وهي داميةٌ　　إذا أساها لسانٌ للعِدى وفم

* * *

ربَّ الجزيرةِ ، أدرِكْها ، فقد عَبَثَتْ　　بها الذئابُ ، وضلَّ الراعيَ الغنَم(١)

إن الذين تولّوا أمرَها ظلموا　　والظلمُ تصحبُه الأهوالُ والظُّلَم(٢)

فى كلِّ يومٍ قتالٌ تقشعرُّ له　　وفتنةٌ فى ربوعِ اللهِ تضطرِم(٣)

أزرى الشريفُ وأحزابُ الشريف بها　　وقسموها كإرثِ الميْتِ ، وانقسموا(٤)

لا تجزِم عنك حلماً ، واجزِم عَنَتاً　　فى الحلم ما يسمُ الأفعالَ أو يَصِم(٥)

كفى الجزيرةَ ما جرّوا لها سفهاً　　وما يحاولُ من أطرافِها العجم(٦)

تلك الثغورُ عليها — وهي زينتُها —　　مناهلٌ عَذُبت للقوم ، فازدحموا(٧)

فى كلِّ لجٍّ حواليْها لهم سفُنٌ　　وفوق كل مكان يابسٍ قدم(٨)

والأهُمُ أمراءُ السوء ، واتفقوا　　مع العداة عليها ، فالعداة هُمُ

فجرِّد السيفَ فى وقتٍ يُفيد به　　فإن للسيف يوماً ، ثم ينصَرِم(٩)

---

١ — رب الجزيرة : أى صاحب الجزيرة ، وهى جزيرة العـــــرب ·
٢ — الأهوال : جمع هول ، وهو المخافة من الامر لايعرف الانسان مايهجم منه · والظلم : جمع ظلمة ٣ — تضطرم : تشتعل ٤ — ازرى بها : تهاون ·
٥ — العنت : الشدة والهلاك ، ومايسم : أى مايكون سمة وعلامة · وما يصم : اى مايكون وصمة وعيبا ٦ — العجم ، هنا : أهل الغرب ، ممن كانوا يحقدون على الدولة التركيه وجودها ٧ — المناهل : جمع منهل ، وهو المورد · والمراد بالقوم : أولئك العجم ٨ — اللج : معظم الماء ٩ — جرد السيف : سله · وينصرم : يمضى ·

استقبال

يا راكبَ الريحِ ، حيِّ النيلَ والهرَما ... وعظِّمِ السفحَ من سيناءَ ، والحرما(١)
وقِفْ على أثرٍ مرَّ الزمانُ به ... فكان أثبتَ من أطوادِه قِمما(٢)
واخفض جناحَك في الأرضِ التي حَمَلَت ... موسى رضيعاً ، وعيسى الطهرَ منفطما
وأخرَجَت حكمةَ الأجيالِ خالدةً ... وبيَّنت للعبادِ السيفَ والقلما(٣)
وشُرِّفَت بملوكٍ طالما اتخذوا ... مطيَّهم من ملوك الأرضِ والخدما(٤)
هذا فضاءٌ تُلِمُّ الريحُ خاشعةً ... به ، ويمشي عليه الدهرُ محتشما(٥)
فمرحبًا بكما من طالعيْن به ... على سوى الطائرِ الميمونِ ما قدِما(٦)

* * *

عاد الزمانُ ، فأعطى بعدما حَرَما ... وتاب في أُذُنِ المحزونِ ، فابتسما
فيارَعى اللهُ وفدًا بين أعيننا ... ويرحم الله ذاك الوفد ما رَحِما(٧)
هم أقسموا لتَدِينن السماءُ لهم ... واليوم قد صدَّقوا في قبرِهم قسما(٨)
والناسُ بانى بناءٍ ، أو مُتمِّمُه ... وثالث يتلافى منه ما انهدَما

---

١ ـ السفح : عرض الجبل المضطجع · والحرم : مالايحل انتهاكه ·

٢ ـ الأطواد : الجبال · والقمم : واحدتها قمة ؛ وهى أعلى كل شىء ·

٣ ـ الحكمة : صواب الامر وسداده · والأجيال : جمع جيل · وهم أهل الزمن الواحد · والخالدة : الدائمة الباقية ٤ ـ طالما اتخذوا مطاياهم وخدمهم من ملوك الأرض ؛ أولئك هم ملوك مصر الاقدمون ، حين كانوا يأسرون فى حروبهم ملوك الأقطار الأخرى ٥ ـ المحتشم : المستحى ·

٦ ـ على الطائر الميمون : مأخوذ من قولهم في الدعاء للمسافر : سر على الطائر الميمون ٧ ـ كانت الدولة العلية قد ندبت للقيام برحلة جوية بين الآستانة والقاهرة اثنين من ضباطها الطيارين ، فسقطت طيارتهما فى الطريق وماتا ، فندبت الدولة غيرهما ؛ فوصلا سالمين والى هذا يشير بالوفدين فى البيت
٨ ـ لتدينن : اى لتخضعن وتذلن ·

تعاونٌ لا يحلُّ الموتُ عُرْوَتَه ولا يُرَى بيَدِ الأَرزاء منفصما(١)

* * *

ياصاحِبيْ (أدرميد) ، حسبُها شرفاً أَنَّ الرياحَ إليها ألقت اللُّجما(٢)

وأنّها جاوزتْ فى القدس مِنْطَقَةً جرى البساطُ فلم يجتز لها حرَما(٣)

مشت على أُفقٍ مرَّ البُراقُ به فقبَّلتْ أثرًا للخُفِّ مُرتَسِما(٤)

ومسَّحَت بالمُصلَّى ، فاكتست شرفاً وبالمَغار المعلَّى ، فاكتست عِظما(٥)

وكلما شاقها حادٍ على أُفقٍ كانت مزاميرُ داودٍ هى النغما(٦)

جشَّمتاها من الأَهوالِ أَربعةً الرعدَ ،والبرقَ ،والإعصارَ ،والظلما(٧)

حتى حوتها سماءُ النيل فانحدرت كالنسر أعيا ، فوافى الوَكْرَ ،فاعتصما(٨)

* * *

يا آلَ عثمانَ أبناءَ العمومةِ ، هل تشكون جرحا ولا نشكو له ألما ؟(٩)

---

١ ــ العروة : كل مايوثق به . والمنفصم : المنقطع .

٢ ــ أدرميد : اسم الطيارة التي ركباها الى مصر ٣ ــ القدس : مدينة بيت المقدس في الشام . والبساط : هو بساط سليمان . وفي التاريخ الديني : أنه كان يتخذ مع الريح بساطا يجريه حيث يشاء ٤ ــ البراق فى اللغة الدينية : دابة كان يركبها الأنبياء ، وقد ركبها النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليلة اسرائه من مكة الى بيت المقدس . والخف : أى خف الرسول ؛ ويقال : أن أثره مرتسم هناك ٥ ــ المصلى : مكان الصلاة . والمغار ــ بفتح الميم وضمها : الكهف . والمعلى : المرفوع .

٦ ــ شاقها : هاجها وشوقها . والحادى : سائق الابل الذى يغنى لها . ومزامير داود : ماكان يرتله في صلاته من الاناشيد والترانيم ٧ ــ جشمتاها : كلفتماها . والأهوال : جمع هول ، وهو المخافة من أمر لايعرف مايهجم منه على الانسان . والاعصار : ريح ترتفع بتراب بين السماء والأرض ، أو تستدير كأنها عامود . والظلم : جمع ظلمة ٨ ــ حوتها : أى حازتها . وانحدرت : هبطت . والنسر : طائر من الجوارح وكلها تخافه ، وهو حاد البصر ؛ وأشد الطيور ارتفاعا ، وأقواها جناحا . وأعيا : تعب . ووافى الوكر : أتاه ؛ والوكر : عش الطائر أينما كان فى شجر او فى غيره . فاعتصم به : أى لزمه .

٩ ــ العمومة . مصدر من العم ، كالخؤولة من الخال .

إذا حزنتم حزنًا فى القلوب لكم ... كالأم تحملُ من همّ ابنها سَقَما

وكم نظرنا بكم نُعمى فجسّمها ... لنا السرورُ، فكانت عندنا نِعما(١)

ونبذل المال لم نُحبَل عليه، كما ... يقضى الكريمُ حقوقَ الأهل والذِّمما(٢)

صبرًا على الدهر إن جلّت مصائبُه ... إن المصائب مما يُوقظُ الأُمَما

إذا المقاتلُ من أخلاقِهم سلمتْ ... فكلُّ شىء على آثارها سلما

وإنما الأُمم الأخلاق ما بقيت ... فإن تَوَلّت مضوْا فى إثرها قُدُما(٣)

نَمم على كلّ ثارٍ لا قرار له ... وهل ينامُ مُصيبٌ فى الشعوب دما؟

فنال من سيفكم من كان ساقيَه ... كما تَنالُ المُدامُ الباسلَ القَدَما(٤)

قال العذولُ: خرجنا فى مَحَبَّتِكم ... من الوقارِ، فيا صدقَ الذى زعما

فما على المرءِ فى الأخلاقِ من حرج ... إذا رعى صِلةً فى الله، أو رَحِمَا

ولو وهبتُم لنا عُليَا سيادتِكم ... ما زادنا الفضلُ فى إخلاصنا قدما

نحنو عليكم، ولا ننسى لنا وطنًا ... ولا سريرًا، ولا تاجًا، ولا عَلما

هذى كرائمُ أشياءِ الشعوبِ، فإن ... ماتت فكلُّ وجود يشبهُ العدَما

---

١ ــ النعمى: ما أنعم به ٢ ــ الذمم: جمع ذمة، وهى العهد ٣ ــ القدم (بضم القاف والدال): أى يمضى الانسان فلا يعرج على شىء ولا ينثنى.

٤ ــ المدام: الخمر. والباسل: البطل الشجاع. والقدم (بفتح القاف والدال): الشجاع أيضا.

أرسطاليس وترجمانه(*)

علمتَ بالقلمِ الحكيم وهديتَ بالنّجم الكريم
وأتيتَ من محرابه بأرسطاليسَ العظيم
ملكِ العقول ، وإنها لنهاية الملْكِ الجسيم
شيخ ابن رشد ، وابن سيـ نا ، وابن بَرقينَ الحكيم(١)
من كان فى هَدْى المسيـــح ، وكان فى رُشْدِ الكليم
وغدا وراح موحِّدًا قبل البَنِيَّةِ والحَطيم(٢)
صوت الحقيقة بين رعـ دِ الجاهلية والهزيم(٣)
ما بين عاديةِ السَّوا م وبين طُغيان المسيم(٤)
يبنى الشرائعَ للعصو ر بناء جبَّارٍ رحيم
ويفصِّل الأخلاقَ للـ أجيال تفصيل اليتيم(٥)
فى واضح لحْبِ الطريـ ق من المذاهب مستقيم(٦)
ورسائلٍ مثلِ السُّلا فِ إذا تمشَّت فى النديم
قدسيةِ النفحاتِ ، تُسـ كِر بالمذاقِ ، وبالشَّميم

* * *

يالطفِ ، أنت هو الصَّدى من ذلك الصوت الرخيم

(*) ترجم الأستاذ أحمد لطفى باشا السيد كتاب أرسطاليس فى علم الاخلاق الى العربية ، فكتب اليـــه صاحب الديوان هذه التهنئـــة

١ — برقين : بلدة المترجم لطفى باشا السيد ٢ — البنيه : الكعبة ٣ — الهزيم : صوت الرعد .

٤ ــ السوام : المرعية . والمسيم : الراعى ٥ — اليتيم : اللؤلؤ .

٦ ــ الطريق اللحب : الواسع .

أرجُ الرياضِ نقلتَه ... ونسختَه نَسْخَ النسيم

وسريتَ من شِعبِ الألَمْـ ... ـبِ به إلى وادى الصَّريم(١)

فتجاريتِ اللغتان للـ ... ـغايات فى الخَصِبِ الصميم

لغةٌ من الإغريق قيِّمةٌ ، وأخرى من تميم

وأتيتَنا بمُفَصَّلٍ ... بالتبر ، عُلوىِّ الرقيم

هو ضِنةُ المُثرِى من الـ ... أخلاق ، أو مالُ العديم(٢)

* * *

مَشَّاء هذا العصرِ ، قِفْ ... حدِّث عن العُصُر القديم(٣)

مَثِّلْ لنا اليونان بيـ ... نَ العلمِ والخُلق القويم

أخلاقها نور السبيـ ... لِ ، وعِلمها نور الأديم

وشبابُها يتعلمو ... ن على الفراقد والنجوم

لمسوا الحقيقةَ فى الفنو ... ن ، وأدركوها فى العلوم

حلَّتْ مكاناً عندهم ... فوق المعلِّم والزعيم(٤)

والجهلُ حظُّك إن أخذ ... تَ العلمَ من غير العليم

ولربَّ تعليمٍ سرى ... بالنشءِ كالمرضِ المُنيم(٥)

يتلبَّسُ الحُلمُ اللذيـ ... ـذُ عليه بالحُلُمِ الأثيم

ومدارس لا تُنْهِضُ الـ ... أخلاقَ دارسةُ الرسوم

يمشى الفسادُ بنبتِها ... مشىَ الشرارةِ بالهشيم

---

١ ـ الألمب : جبل من جبـــال اليـونان ، والصريم : واد من أودية العرب .
٢ ـ الضنة : الشيء الذي يضن به ٣ ـ المشاءون : تلاميذ أرسطاليس .
٤ ـ هذه اشارة الى قول أرسطا ليس المشهور : أفلاطون حبيب الى ولكن الحقيقة أحب الى منـــه . ٥ ـ المرض المنيم : المنوم .

لما رأيتُ سوادَ قو ... مِى فى دُجى ليلٍ بهيم

يَشْقَوْنَ من أُمِّيَّةٍ ... هى غُصَّةُ الوطن الكظيم

وورائُهم فى مُقعِد ... من مطلَبِ الدنيا مُقيم

يَسعَوْن للجاه العظيـ ... ـم ، وليس للحق الهضيم

وبصُرْتُ بالدستور يُزْ ... هَق وهو فى عُمْر القطيم

لم يَنجُ من كيدِ العَدو ... له ، ومن عيثِ الحميم

أيقنتَ أن الجهلَ عِلَّـــــــةُ كلِّ مجتمعٍ سقيم

وأتيتَ – يا ربَّ النثـ ... ـر – بما تُحبُّ من النظيم

أحزِ اجتهادَكَ فى جَنَى ... الثمراتِ للنَّشْأَ النهيم(١)

من روضةِ العلم الصحيـ ... ـح ، وربوةِ الأدب السليم

العاشقينَ العلمَ . لا ... يألونه طلبَ الغريم

المعرضينَ عن الصغا ... ئر ، والسعاية ، والنميم

* * *

قسماً بمذهبك الجميـ ... ـلِ ، ووجهِ صُحبتك القسيم

وقديمِ عهدٍ ، لا ضئيـ ... ـلٍ فى الوداد ، ولا ذميم

ما كنتَ يوماً للكِنا ... نةِ بالعدُوِّ ولا الخصيم

لما تلاحى الناسُ لم ... تنزلْ إلى المرعى الوخيم(٢)

كم شاتمٍ قابلتَه ... بترفُّعِ الأُسدِ الشتيم(٣)

وشغلتَ نفسك بالخصيـ ... ـب من الجهودِ عن العقيم

---

١ – النهيم : الذى لايشبع ٢ – تلاحى الناس : تلاعنوا ٣ – الشتيم : العابس .

فخدمْتَ بالعلم البلا دَ ، ولم تزلْ أوْفَى خديم(١)
والعلمُ بنَّاءُ المآ ثِر والممالكِ من قديم
كسروا به نِيرَ الهوا نِ ، وحطَّموا ذُلَّ الشكيم

شهيد الحق(*)

إلامَ الخُلْفُ بينكمُ ؟ إلاما ؟ وهذي الضجَّةُ الكبرى علاما ؟
وفيمَ يكيدُ بعضُكمُ لبعض وتُبدُون العداوةَ والخِصاما ؟
وأين الفوزُ ؟ لا مصرُ استقرتْ على حالٍ ، ولا السودانُ داما ؟
وأين ذهبتمُ بالحقِّ لما ركبتم في قضيته الظلاما ؟
لقد صارتْ لكمْ حكماً وغُنْماً وكان شِعارُها الموتَ الزُّؤاما
وثِقتم واتهمتم في الليالي فلا ثقةً أدمْنَ ، ولا اتهاما
شببتم بينكم في القُطر نارًا على مُحْتَلِّه كانت سلاما
إذا ما راضَها بالعقل قومٌ أجدَّ لها هوى قومٍ ضِراما
تراميتم ، فقال الناس : قومٌ إلى الخذلانِ أمرُهُم ترامَى

---

١ ــ الخديم : الخادم .

(*) نظمها صاحب الديوان بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم مصطفى كامل باشا ، وقد تناول فيها وصف ما أصاب البلاد في سنة ١٩٢٤ من انقسام وتشاحن وتناحر ؛ وأشار الى تصريح ٢٨ فبراير وموقف بعض الزعماء حياله ؛ ثم انتقل من ذلك الى ذكرى فقيد البلاد المرحوم مصطفى كامل فوفاه حقه ، واستطرد من ذلك الى البحث فيما تحتاج اليه البلاد من وسائل الاصلاح .

وكانت مصرُ أولَ من أصبتم   فلم تُحصِ الجراحَ ولا الكِلاما(١)
إذا كان الرُّماةُ رماةَ سوءٍ   أحَلُّوا غيرَ مرماها السهاما
أبعدَ العُرْوةِ الوُثْقى وصَفٌّ   كأنياب الغضنفَر لن يُراما
تباغيتم كأنكمُ خلايا   من السرطانِ لا تجدُ الضِّماما؟(٢)
أرى طيَّارَهم أوفى علينا   وحلَّق فوق أرؤسنا وحاما
وأنظرُ جيشَهم من نصف قرنٍ   على أبصارنا ضرَب الخياما
فلا أمناؤنا نقصوه رمحاً   ولا خُوَّانُنا زادوا حساما
ونُلْقى الجوَّ صاعقةً ورعداً   إذا قصرُ الدبارةِ فيه غاما
إذا انفجرت علينا الخيلُ منه   ركبنا الصمتَ، أو قُدْنا الكلاما(٣)
فأُبْنا بالتخاذل والتلاحي   وآب بما ابتغى منَّا وراما(٤)

• • •

ملكنا مارِنَ الدنيا بوقتٍ   فلم نُحسن على الدنيا القياما(٥)
طلعنا — وهْي مقبلةٌ — أسوداً   ورحنا — وهْي مدبرةٌ — نَعاما
ولِينا الأمرَ حزباً بعد حزبٍ   فلم نَكُ مصلحين ولا كِراما
جعلنا الحُكم تَوليةً وعزلاً   ولم نَعْدُ الجزاءَ والانتقاما
وسُسْنا الأمرَ حين خلا إلينا   بأهواء النفوس، فما استقاما
إذا التصريحُ كان براحَ كفرٍ   فلِمْ جُنَّ الرجالُ به غراما؟(٦)

---

١ — الكلام (بكسر الكاف) : الجروح .

٢ — الضمام : ماضممت به شيئا آخر . والسرطان : ورم سوداوى تظهر عليه عروق حمر وخضر متشعبة ٣ — ركبنا الصمت : أى وجدناه خيرا . وقدنا الكلام : استرسلنا فيه ٤ — التلاحى : التلاعن والتلاوم ٥ — المارن : الأنف أو مالان منه ، والمراد بمارن الدنيا : ذروتها وأعلاها ٦ — البراح : الصراح ، والتصريح : تصريح ٢٨ فبراير ، يشير الى موقف بعض الزعماء منه .

وكيف يكون فى أيدٍ حَلالاً وفى أخرى من الأيدى حراما ؟
وما أدرى غداةَ سُقيتموه أتِرْياقا سُقيتُم ، أم سِهاما ؟(١)

* * *

شهيدَ الحقِّ ، قُمْ تره يتيمًا بأرضٍ ضُيِّعت فيها اليَتامى
أقام على الشفاه بها غريبًا ومرَّ على القلوب ، فما أقاما(٢)
سَقِمتَ ، فلم تَبِتْ نفسٌ بخيرٍ كأنّ بمهجةِ الوطن السَّقاما
ولم أر مثلَ نعشِك إذ تهادى فغطَّى الأرضَ ، وانتظم الأناما(٣)
تحمَّلَ هِمَّةً ، وأقلَّ دِينًا وضمَّ مروءةً ، وحوى زماما(٤)
وما أنساكَ فى العشرينَ لما طلعتَ حِيالها قمرًا تماما
يشار إليك فى النادى وتُرمَى بعَيْنَيْ مَنْ أحبَّ ومَنْ تعامى
إذا جئتَ المَنابرَ كنتَ قُسًّا إذا هو فى عُكاظَ علا السَّناما(٥)
وأنت ألدُّ للحق اعتزازًا وألطفُ حين تنطقه ابتساما
وتحملُ من أديمِ الحقّ وجهاً صُراحاً ، ليس يتخذ اللِّثاما(٦)

* * *

أتذكر قبل هذا الجيل جيلاً سهرنا عن معلمهم وناما؟(٧)
مِهارُ الحق بغَّضنا إليهم شكيمَ القيصرية واللجاما (٨)

---

١ ــ السمام : جمع سم • والترياق : مايدفع السموم من الدواء •
٢ ــ أى تلفظه الأفواه ولا تحس به القلوب ٣ ــ تهادى : تمايل على الاعناق •
٤ ــ زمام القوم : مقدمهم وصاحب أمرهم ٥ ــ قس : هو قس بن ساعدة الايادى : ويضرب به المثل في بلاغة الخطباء ؛ ويروى عنه أنه كان يخطب الناس في عكاظ وهو على ظهر بعير ٦ ــ الأديم : الوجه والصفحة ٧ ــ سهرنا عن معلمهم : أى تركنا هذا المعلم ينام ، وقمنا نحن على تهذيبهم وانشائهم •
٨ ــ المهار : جمع مهر ، والمراد بالمهار هنا الشباب • والشكيم : جمع شكيمة ، وهى من اللجام حديدة تعترض فم الفرس ، والمراد بشكيم القيصرية ولجامها : قسوة الاحتلال وجبروته •

لواؤكَ . كان يسقيهم بجامٍ   وكان الشعرُ بينَ يَدَيَّ جاما(١)

مِن الوطنيةِ استبقوا رحيقاً   فضضْنا عن مُعتَّقِها الختاما(٢)

غرسنا كَرْمَها ، فزكا أُصولاً   بكلِّ قَرارةٍ ، وزكا مُداما(٣)

جمعتهم على نبراتِ صوتٍ   كنفخِ الصُّورِ حرَّكتِ الرِّجاما(٤)

لك الخُطَبُ التي غصَّ الأعادي   بسَوْرَتِها ، وساغتْ للندامى(٥)

فكانت في مرارتها زئيراً   وكانت في حَلاوتها بُغاما(٦)

بك الوطنيةَ اعتدلتْ ، وكانت   حديثاً من خرافة أو مَناما(٧)

بنيتَ قضيَّةَ الأوطانِ منها   وصيَّرتَ الجلاءَ لها دِعاما(٨)

هزَزت بني الزمان به صبيّاً   ورُعتَ به بني الدنيا غلاما

---

١ — الجام : اناء من فضـــة • والمعنى : أنك كنت تغذوهم بما كنت تنشر عليهم من لوائك من ثمر الأدب ، وكنت أنا أيضا أغذوهم بما أزجي لهم من زهور الشعر والبيان —٢— استبقوا الرحيق : تسابقوا اليه • والرحيق : الخمر • والمعتق : القديم ؛ وقـــدم الخمر يحسنها ويزيد لذة شاربهـا • وفضضنا الختام : فتحناه •

٣ — الكرم : العنب • وزكا : نما • والمدام : الخمر •

٤ — الرجام : القبور •

٥ — السورة : الحدة والشدة • وغص بالشيء : اعترض في حلقه فمنعه التنفس • والمراد بغصـــة الأعادي : غضبهم • والندامى : جمع ندمان ، وهو نديم الشراب ، والمراد بهم الشـــيعة والاصدقاء —٦— البغـــام : صـــوت الظبي •

٧ — خرافة : رجـــــل عذري اختطفته الجن فيما زعموا ، ثم رجع الى قومه ، وأخبر بما رأى منها ؛ فكذبوه ؛ واصبح حديثه مثـــلا لكل حدث باطل •

٨ — الدعام : العماد •

تحية للترك

الدهرُ يقظانُ ، والأحداثُ لم تنمِ ... فما رقادُكم يا أشرفَ الأممِ ؟

لعلكم من مِراسِ الحرب فى نَصَبٍ ... وهذه ضجعةُ الآساد فى الأَجَمِ(١)

لقد فتحتم فأعرضتم على شِبَعٍ ... والفتح يعترض الدولات بالتُّخَمِ(٢)

هبُّوا بكم وبنا للمجدِ فى زمنٍ ... من لم يكن فيه ذئباً كان فى الغنم

هذا الزمانُ تناديكم حوادثُه ... يا دولةَ السيف ، كونى دولةَ القلم

فالسيفُ يهدم فجرًا ما بنى سَحَرًا ... وكلُّ بنيانِ علمٍ غيرُ منهدم(٣)

قد مات فى السِّلم مَنْ لا رأىَ يَعصمُه ... وسوِّت الحرب بين البَهْم والبُهَم(٤)

وأصبح العلمُ ركنَ الآخذين به ... من لا يُقِمْ ركنَه العرفانُ لم يَقُمِ

الناسُ تسحبُ فضفاضَ الغِنى مرحاً ... ونحن نلبسُ عنه ضيقةَ العُدُم(٥)

يا فتيةَ الترك ، حيا الله طلعتكم ... وصانكم ، وهداكم صادقَ الخِدَمِ(٦)

أنتم غدُ الملكِ والإسلامِ ، لا برحا ... منكم بخيرِ غدٍ فى المجدِ مبتسم(٧)

---

١ ــ مراس الحرب : مزاولتها . والنصب : التعب والضجعة : الرقدة . والآساد : جمع أسد . والاجم (بفتح الجيم) : جمع اجمة ، وهى الشجر الملتف .

٢ ــ فتحتم : تغلبتم على البلاد التى حاربتموها حتى ملكتموها . والتخم : جمع تخمة . وهى ثقل الأكل.

٣ ــ يهدم فجرا .. الخ : أى يهدم وقت الفجر ما يكون قد بناه وقت السحر ، والمعنى : ان بنيان السيف لا دوام له .

٤ ــ السلم : ضد الحرب . ويعصمه : يحفظه ويقيه . والبهم (بفتح الباء وسكون الهاء) جمع بهمة (بفتح الباء وسكون الهاء أيضا) : وهى أولاد الضأن والمعز والبقر . والبهم (بضم الباء وفتح الهاء) : جمع بهمة (بضم الباء وسكون الهاء) وهى الرجل الشجاع .

٥ ــ الفضفاض : الواسع . والمرح : التبختر والاختيال . والضيقة (بفتح الضاد وكسرها) : سوء الحال . والعدم (بضم العين والدال وتسكن داله ايضا) : الفقر .

٦ ــ صادق الخدم : أى الخدم الصادقة ، وهى جمع خدمة .

٧ ــ انتم غد الملك والاسلام ، أى أنتم الذين تهيئون لهما غدهما ، والمراد مقبل حالهما .

تُجِلُّكم مصرُ منها فى ضمائرِها ... وتعلن الحبَّ جمًّا غيرَ متَّهَم(١)
فنحن ـ إن بعدتْ دارٌ وإن قربتْ ـ ... جاران فى الضاد، أو فى البيتِ والحرَم(٢)
ناهيك بالسببِ الشرقيِّ من نسبٍ ... وحبذا سببُ الإسلام من رحِم (٣)
شملُ اللغات لدى الأقوامِ ملتئمٌ ... والضَّاد فينا بشمل غير ملتئم(٤)
فقرِّبوا بيننا فيها وبينكمُ ... فإنها أوثقُ الأسباب والذِّمم
وكلُّنا إن أخذنا بالفلاح يدٌ ... وسعينا قدم فيه إلى قدَم
فلا تكونُنَّ «تركيا الفتاة»، ولا ... تلك العجوزَ، وكونوا تركيا القِدَم
فسيفُها سيفُها فى كل معترك ... وعدلُها طوّق الإسلام بالنِّعم

الأسطول العثمانى(*)

هزَّ اللواءَ بعزِّك الإسلامُ ... وعَنَتْ لقائم سيفِك الأيام(٥)
وانقادت الدنيا إليك، فحسبُها ... عذرًا قيادٌ أسلسَتْ وزِمام(٦)
ومشى الزمانُ إلى سريرك تائبًا ... خجلًا، عليه الذُّلُّ والإرغام

---

١ ـ جما : كثيرا . وغير متهم : أى غير مشكوك فى صدقه .
٢ ـ الضاد : تطلق اسما للغة العربية ، وذلك أن حرف الضاد لا يوجد فى لغة سواها ولا يقوى عليه الا أهلها .
٣ ـ ناهيك : كلمة استعظام وتعجب وتأويلها فى الكلام : أن هذا الشيء هو غاية فيما تطلبه ، حتى انه ينهاك عن طلب غيره ، فمعنى البيت : أن السبب الشرقى هو ما يطلب من النسب بيننا وبينكم ، فلا تطلبوا نسبا سواه . وحبذا : كلمة مدح .
٤ ـ الشمل : ما تفرق من الأمر وما اجتمع منه ، يقال : جمع الله شملهم وفرق الله شملهم . وملتئم : منضم وملتصق .
* ـ كان صاحب الديوان فى الاستانة ، وشاهد البارجتين اللتين اشترتهما الدولة العلية من المانيا ، فأخذته هزة الطرب ، وعز عليه أن يرى المسلمين فى أقطار الارض قاعدين عن اعانة أسطول الدولة ، فجرى لسانه بهذه القصيدة .
٥ ـ عنت : خضعت وذلت ، والخطاب فى هذا البيت والبيتين بعده للخليفة محمد رشاد .
٦ ـ القياد : ما يقاد به ، ويستعمل بمعنى الطاعة . واسلست : جعلته سلسا ، أى سهلا لينا ، والزمام : مقود البعير .

عرشُ النبي محمدٍ جَنَباتُه ... نورٌ ، ورَفْرَفُهُ الطَّهورُ غمام (١)

لما جلستَ سما وعزَّ ، كأنّما ... هارونُ وابناه عليهِ قِيام(٢)

البحرُ محشودُ البوارجِ دونه ... والبرُّ تحت ظِلاله آجام(٣)

نَعِمَ الرعيةُ فى ذَراكَ ، ونَضَّرتْ ... أيامَهم فى ظِلكَ الأَحكام(٤)

فى كل ناحيةٍ ، وكل قبيلةٍ ... عدلٌ ، وأمنٌ مُورِفٌ ، ووِئام(٥)

حمل (الصليبُ) إليكَ من فتيانه ... جندًا ،وقاتلَ دونكَ (الحاخام)(٦)

والدينُ ليس برافعٍ ملكاً إذا ... لم يَبْدُ للدّنيا عليه نظام

بالله قد دان الجميعُ ، وشأنُهم ... بالله ثم بعرشِك ، استِعصام(٧)

* * *

يا ابنَ الذين إذا الحروبُ تتابعت ... صَلّوْا على حَدِّ السيوفِ، وصاموا(٨)

المطهرينَ لنورِ « بَدْرٍ » بعد ما ... خِيفَ المحاقُ عليه والإظلام(٩)

---

١ ــ الجنبات : النواحى ، مفردها جنبة • والرفرف : كل ما فضل فثنى • والطهور هو الطاهر فى نفسه والمطهر غيرها ــ ٢ ــ سما : ارتفع • وهارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى • وابناه : هما الأمين ، والمأمون

٣ ــ البوارج : سفن القتال الكبيرة واحدتها : بارجة • والآجام : جمع أجم والأجم : جمع أجمة : وهى الشجر الكثير الملتف ، والاسود تتخذها مأوى لها . والضمير فى « دونه » و « ظلاله » للعرش فى البيت المتقدم ، يعنى أنه مصون ، تحميه سفن القتال المحشودة فى البحر ، والجيوش القيمة فى البر كأنها الأسود فى آجامها ــ ٤ ــ نعم الرعية : رفهوا واخصبوا . والذرا : الملجأ ونضرت أيامهم الاحكام : جعلها ناضرة . والناضرة : الحسنة ــ ٥ ــ مورف : متسع وممتد ــ ٦ ــ حمل الصليب •• الخ : يريد ان رعاياك من النصارى واليهود مخلصون ، يقاتلون من دونك لما اظللتهم به من العدل والامن •

٧ ــ بالله قد دان الجميع : أى آمنوا به • والاستعصام : الاستمساك •

٨ ــ صلوا على حد السيوف وصاموا : أى لزموها كما يلزم المتعبد صلاته وصيامه ــ ٩ ــ بدر : اسم الغزوة المشهورة فى صدر الاسلام ، سميت باسم المكان الذى وقعت فيه . والمحاق (مثلث الميم) : قيل : هو آخر الشهر حيث يمحق نور القمر ، وقيل : هو ثلاث ليال من آخره .

عشرون خاقاناً نَمَوْك وعَشْرةٌ ... غرُّ الفتوح خلائفُ أعلام(١)

نسبٌ إذا ذُكِر الملوكُ فإنه ... لِرَفيع أنسابِ الملوكِ سَنَام(٢)

لا تحفلنَّ من الجراح بقيةً ... إن البقيةَ فى غدٍ تلتئام(٣)

جرت النحوس لغاية فتبدَّلت ... ولكل شيء غايةٌ وتمام

تعبت بأُمّتِك الخطوبُ فأقصرَت ... والدهرُ يُقصر والخطوب تنام(٤)

لبِثَت تَنُوشهمُ الحوادثُ حقبةً ... وتصدُّها الأخلاقُ والأحلام(٥)

ولقد يُدَاس الذئبُ فى فلواته ... ويُهابُ بين قيوده الضرغام(٦)

زدْهم أميرَ المؤمنين من القُوَى ... إن القُوَى عزٌّ لهم وقوام

الملكُ والدُّولاتُ ما يَبْنِى القنا ... والعلمُ ، لا ما ترفعُ الأحلام(٧)

والحقُّ ليس ـ وإن علا ـ بمؤيَّدٍ ... حتى يُحَوِّطَ جانبيْه حسام(٨)

خطُّ النبيُّ براحتيهِ خَندقا ... ومشى يُحيط به قناً وسهام(٩)

* * *

يا بربروسُ ، على ثراكَ تحيةٌ ... وعلى سَميِّكَ فى البحارِ سلام(١٠)

---

١ ـ الخاقان : هو كل ملك من الاتراك . ونموك : اى رفعوك بالانتساب اليهم . وعشرة غر الفتوح : أى ونماك ايضا عشرة خواقين ، امتازوا . بالفتح والتوسع في الملك ، فاختصوا بوصف الفاتحين،فلا يقال هذا الوصف لغيرهم من سلاطين آل عثمان . وخلائف : جمع خليفة ـ ٢ ـ السنام : اللحم المرتفع على ظهر البعير ـ٣ـ لاتحفلن بقية : أى لاتبال بها . فهى ستبرأ وتلتحم يشير بذلك الى حوادث كانت تشغل الدولة التركية يومئذ ـ٤ـ أقصرت : أى انتهت وأمسكت عنها ـ٥ـ تنوشهم : تتناولهم . وتصدها اى تصد الحوادث . والأحلام : العقول ـ ٦ ـ الضرغام : الاسد ـ ٧ ـ القنا : الرماح والاحلام هنا : جمع حلم ، وهو ما يراه النائم ـ ٨ ـ يحوط جانبيه ، بواو مشددة . أي يحفظهما ويتعهدهما . والحسام : السيف ـ ٩ ـ الخندق : حفير حول أسوار المدينة ـ ١٠ ـ بربروس : هو خير الدين بربروس من أبطال العثمانيين ، جعلت الحكومة التركية اسمه علما لبارجة هى الاولى فى الاسطول العثمانى .

أَعَلِمتَ ما أهدى إليك عصابةٌ   غرُّ المآثر من بنيك كرام ؟(١)
نشروا حديثَك فى البرية بعد ما   همَّت بطىٍّ حديثِك الأيام
خصُّوك من أُسطولِهم بدعامةٍ   يُبْنى عليها ركنُه ويقام(٢)
شماءَ فى عرضِ الخِضَمِّ ، كأنَّها   برجٌ بذات الرجع ليس يرام(٣)
كانت كبعض البارجات ، فحقَّها   لما تحلَّت باسمك الإعظام
ما مات من نبل الرجال وفضلهم   يحيا لدى التاريخ وهو عظام
تمضى ويُنسَى العالَمون ، وإنما   تبقى السيوفُ ، وتَخْلُدُ الأقلام(٤)
وتلاك (طرغودُ) كما قد كنتُما   جَنباً لجنبٍ والعُبابُ ضِرام(٥)
أرسى على بابِ الإمام كأنه   للفُلك من فرط الجلال إمام(٦)
جمعتكما الأيامُ بعد تفرُّق   ما للقاء وللفراق دوام
سيشدُّ أزرَك والشدائدُ جُمَّةٌ   ويُعِزُّ نصرَك والخُطوبُ جِسام(٧)
ما السُّفنُ فى عدد الحصى بنوافع   حتى يهزَّ لواءَها مِقدام
لما لمحتُكما سكبْتُ مدامعى   فرحاً ، وطال تشوُّفٌ وقيام(٨)

---

١ ـ عصابة غر المآثر : هم رجال الحكومة العثمانية الذين أوجدوا البارجة بربروس ـ ٢ ـ الدعامة : عماد البيت ـ ٣ ـ شماء : مرتفعة عظيمة . والخضم : البحر . والبرج : واحد بروج السماء . وذات الرجع : هى السماء والرجع : المطر بعد المطر ـ ٤ ـ وانما تبقى السيوف : أى يبقى ما تفعله السيوف ويخلد ما تسطره الأقلام ـ ٥ ـ تلاك : أى جاء تاليا لك . وطرغود : هو أيضا من ابطال البحر العثمانين ، جعلت الحكومة التركية اسمه كذلك علما لبارجة أخرى . والعباب : كثرة السيل وارتفاعه . والمراد به هنا كثرة ماء البحر . والضرام اشتعال النار . والمعنى : ان البارجة التى سميت باسم طرغود ، هى مع البارجة المسماة باسمك ، فهما فى البحر كما كنتما فيه من قبل ، حين كانت تشتعل نار القتال فوق عبابه .

٦ ـ أرسى : وقف وثبت . والفلك : السفن ، يستعمل للمفرد وللجمع بلفظ واحد ، وفى البيت اشارة الى أن مرسى البارجتين كان أمام قصر الخليفة .

٧ ـ الأزر : الظهر . والجمة : الكثيرة . والجسام : العظام جمع جسيم

٨ ـ سكبت : صببت . والتشوف : التطلع .

وسألتُ : هل من (لؤلؤ) أو (طارق) في البحر تخفقُ فوقَه الأعلام ؟(١)

* * *

يا معشرَ الإسلامِ ، في أسطولِكم عزٌّ لكم ، ووقايةٌ ، وسلام

جودوا عليه بمالِكم ، واقضوا له ما توجبُ الأعلاقُ والأرحام(٢)

لا الهندُ قد كرُمت ، ولا مصرٌ سخت والغربُ قصَّر عن ندًى ، والشام

سيلُ الممالكِ جارفٌ من شدّةٍ وقُوًى ، وأنتم في الطريق نيام(٣)

حبُّ السيادة في شمائِل دينكم والجِدُّ روحٌ منه والإقدام(٤)

والعلمُ من آياته الكبرى إذا رجعت إلى آياتِه الأقوام(٥)

لو تُقرئون صِغاركم تاريخَه عرف البنون المجدَ كيف يُرام

كم واثقٍ بالنفس ، نهّاضٍ بها ساد البريةَ فيه وهو عِصام(٦)

الأندلس الجديدة

يا أختَ أندلسٍ ، عليكِ سلامُ هَوَت الخلافةُ عنكِ ، والإسلام(٧)

نزل الهلالُ عن السماء ، فليتها طُوِيَتْ ، وعمَّ العالمين ظلام

١ ـ لؤلؤ : هو حسام الدين لؤلؤ ، أمير الاسطول المصرى فى الحروب الصليبية ، وطارق : هو طارق بن زياد بطل الاندلس المشهور ـ ٢ ـ الاعلاق : نفائس الاشياء ـ ٣ ـ جارف ، من جرف الشيء : ذهب به كله أو أكثره .

٤ ـ الجد : الاجتهاد في الامر . وروح منه ، أى من دينكم ـ ٥ ـ والعلم من آياته : أى من آيات الدين ـ ٦ ـ النهاض : مبالغة من النهوض ، وهو القيام . وهو عصام : أى كعصام ، وهو رجل شرف بنفسه وعمله ، لا بنسبه وآبائه ، حتى قيل فيه : « نفس عصام سودت عصاما » ، فضرب به المثل فى ذلك ـ ٧ ـ يا أخت اندلس : يخاطب مدينة ادرنة ، وقد كانت من أمهات المدن العثمانية فى مقدونية ، وبها مقابر كثيرين من سلاطين آل عثمان ، جاءت الانباء بغلبة البلغار عليها فى الحرب سنة ١٩١٢ بعد ان أبلت حاميتها فى الدفاع عنها بلاء حسنا .

أزرى به ، وأزاله عن أَوْجِهِ ... قدرٌ يَحُطُّ البدرَ وهو تمام(١)

جُرحان تمضي الأَمتان عليهما ... هذا يسيل ، وذاك لا يلتام(٢)

بكما أُصيبَ المسلمون ، وفيكما ... دُفِنَ اليراعُ ، وغُيِّب الصَّمصام(٣)

لم يُطوَ مأتمُها ، وهذا مأتمٌ ... لبسوا السوادَ عليكِ فيه وقاموا(٤)

مابين مَصرعِها ومصرعِكِ انقضت ... فيما نُحِبُّ ونكره الأيام

خلت القرونُ كليلةٍ ، وتصرَّمت ... دولُ الفتوحِ كأنَّها أحلام(٥)

والدهرُ لا يألو الممالكَ مُنذرًا ... فإذا غفلنَ فما عليهِ مَلام(٦)

* * *

مقدونيا — والمسلمون عشيرةٌ — ... كيف الخئولةُ فيكِ والأعمام؟(٧)

أترينهم هانوا ، وكان بعزِّهم ... وعلوِّهم يتخايلُ الإسلام؟(٨)

إذ أنتِ نابُ الليثِ ، كل كتيبة ... طلعت عليكِ فريسةٌ وطعام(٩)

ما زالت الأيامُ حتى بُدِّلَت ... وتغيَّرَ الساقي ، وحالَ الجام(١٠)

---

١ — ازرى به : وضع من شأنه . والأوج : العلو — ٢ — جرحان : احدهما خروج أدرنة من ايدى المسلمين ، والثانى خروج الاندلس من أيديهم ، والامتان : هما العرب أيام نكبة الاندلس ، والترك أيام ضياع أدرنه — ٣ — اليراع : القلم والصمصام : السيف — ٤ — لم يطو مأتمها : أى مأتم الاندلس — ٥ — خلت : مضت . وتصرمت : انقضت — ٦ — لا يألو : لا يقصر ولا يبطىء

٧ — مقدونيا : اسم الاقليم الذى تقع فيه أدرنة . والعشيرة : قبيلة الرجل والخئولة النسبة الى الخال ، كالعمومة ، وهى النسبة الى العم — ٨ — يتخايل يتبختر — ٩ — اذ انت ناب الليث : أى مثل ناب الليث ، فى انه مخوف لا يمكن الوصول اليه . والكتيبة : الجيش ، وقيل القطعة منه . والمعنى أن الاسلام كان يتخايل بعز أبنائه فى مقدونيا ، حينما كانت ممتنعة على العدو كامتناع ناب الليث على من يريده ، وحينما كانت تفنى دونها جيوش الاعداء

١٠ — حال : تحول من حال الى حال . والجام : اناء من فضة تسقى فيه الخمر .

أرأيتِ كيف أديلَ من أُسْدِ الشَّرَى ... وشهدتِ كيف أبيحتِ الآجام؟(١)

زعموكِ همًّا للخلافةِ ناصبًا ... وهل الممالكُ راحةٌ ومنام؟(٢)

ويقول قومٌ: كنتِ أشأمَ مَوْرِدٍ ... وأراكِ سائغةً عليكِ زِحام

ويراكِ داءَ المُلْكِ ناسُ جَهالةٍ ... بالمُلْكِ منهم علةٌ وسَقام

لو آثروا الإصلاحَ كنتِ لعرشِهم ... رُكْنًا على هام النجوم يُقام(٣)

وهُمُ يقيِّدُ بعضُهم بعضًا به ... وقيودُ هذا العالَمِ الأوهام

صورُ العمى شتَّى، وأقبحُها إذا ... نظرتْ بغير عيونِهنَّ الهام

ولقد يُقام من السيوفِ، وليس من ... عثراتِ أخلاقِ الشعوبِ قيام

* * *

ومُبَشِّرٍ بالصلحِ قلت: لعله ... خيرٌ، عسى أن تصدقَ الأحلام(٤)

ترك الفريقان القتالَ، وهذه ... سِلْمٌ أمرُّ من القتالِ عُقام(٥)

ينعى إلينا المُلْكَ ناعٍ لم يطأْ ... أرضًا، ولا انتقلت به أقدام(٦)

برقٍ جوائبُه صواعقُ كلُّها ... ومن البروقِ صواعقٌ وغمام(٧)

إن كان شرٌّ، زار غيرَ مفارقٍ ... أو كان خيرٌ، فالمَزارُ لِمام(٨)

---

١ — الشرى: مكان تكثر فيه الاسود. والاجام: جمع أجم، وهو الشجر الملتف تألفه الاسود ايضا — ٢ — الهم الناصب: المتعب — ٣ — لو آثروا الاصلاح أي لو اختاروه. والهام: جمع هامة، وهى راس كل شيء — ٤ — ومبشر بالصلح: يشير الى ماكان قد جاء من الانباء بان الصلح سيتم بين المتحاربين. ٥ — يقال: داء عقام، أي لايرجى البرء منه، وحرب عقام: أي شديدة، وكلا المعنيين صالح هنا. ويشير بقوله: هذه سلم. الخ، الى ماكان من ممالاة الدول الاوربية الكبرى، لدول البلقان الصغيرة على تركيا، وارهاقها بشروط الصلح — ٦ — ينعى الينا. الخ: يشير الى الانباء البرقية التى تنقل شروط الصلح الظالم. والناعى الذى لم يطأ أرضا.. الخ: هو سلك البرق

٧ — الجوائب: الاخبار الطارئة. جمع جائبة — ٨ — اللمام: جمع لمة، وهى المرة، يقال: انت ماتزورنا الا لماما: أى من حين الى حين.

بالأمس (أفريقا) تولّتْ ، وانقضى مُلكٌ على جيدِ الخِضَمِّ جسام(١)

نظمَ الهلالُ به ممالكَ أربعًا أصبحنَ ليس لعقدِهن نظام(٢)

من فتحِ هاشمٍ أو أميةَ ، لم يُضِعْ آساسَها تَتَرٌ ولا أعجام(٣)

واليومَ حكمُ الله فى مقدونيا لا نقضَ فيه لنا ولا إبرام

كانت من الغرب البقيةُ ، فانقضتْ فعلى بَنِى عثمانَ فيه سلام !

* * *

أخذَ المدائنَ والقُرى بخناقها جيشٌ من المتحالفين لُهام(٤)

غطّت به الأرضُ الفضاء وجوهَها وكست مناكِبَها به الآكام(٥)

تمشى المناكرُ بين أيدى خيله أنّى مَشى ، والبغيُ ، والإجرام(٦)

ويحثه باسم الكتاب أقِسّةٌ نَشطوا لما هو فى الكتابِ حرام(٧)

ومسيطرونَ على الممالك ، سخّرت لهم الشعوبُ ، كأنها أنعام(٨)

من كل جزّار يروم الصدرَ فى نادى الملوكِ ، وجَدُّه غنام(٩)

---

١ ـ الجيد : العنق . والخضم : البحر . وجسام : عظام جمع : عظيم

٢ ـ ممالك أربعا ، هن : مصر ، وطرابلس ، وتونس والجزائر .

٣ ـ من فتح هاشم او أمية : اى هذه الممالك الاربع مما فتحه بنو هاشم وبنو أمية فى عصر الاسلام الاول . والآساس (بالمد) : جمع أساس

٤ ـ المتحالفون : هم دول البلقان : اليونان ورومانيا ، والبلغار ، والصرب، تحالفوا على حرب الدولة التركية . واللهام بضم اللام : الجيش العظيم ، كانه يلتهم كل شيء ـ ٥ ـ مناكبها : نواحيها . والاكام : التلال ، وقيل : هى الحجارة المجتمعة فى أمكنة واحدة ـ ٦ ـ المناكر : جمع منكر ، وهو كل قول او فعل ليس فيه رضاء الله ، وأنى مشى : أى كيف مشى ـ ٧ ـ الاقسة : جمع قسيس . ونشطوا : خفوا واسرعوا ـ ٨ ـ ومسيطرون : أى ويحثه مسيطرون . والمسيطر : المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد احواله . والمراد بهم ملوك دول البلقان ـ ٩ ـ يروم الصدر : يطلبه . والصدر ـ هنا ـ معناه اعلى أمكنة النادى .

بسكّينه ، وبمينه ، وحزامه ، والصولجانُ ، جميعُها آثام(١)

* * *

«عيسى» ، سبيلُك رحمةٌ ، ومحبةٌ في العالمين ، وعصمةٌ ، وسلام

ماكنتَ سفاكَ الدماء ، ولا امرأً هانَ الضِّعافُ عليه والأيتام (٢)

ياحاملَ الآلامِ عن هذا الورَى كثُرَت عليه باسمك الآلام(٣)

أنت الذى جعل العبادَ جميعَهم رَحِمًا ، وباسمك تُقطَع الأرحام

أتت القيامةُ فى ولايةِ يوسفٍ واليومَ باسمك مرتين تقام(٤)

كم هاجَه صيدُ الملوكِ وهاجهم وتكافأ الفُرسانُ والأعلام(٥)

البغىُ فى دِين الجميع دنيّةٌ والسِّلمُ عهدٌ ، والقتالُ زِمام

واليومَ يهتف بالصليبِ عصائبُ هم للإلَه وروحِه ظلّام(٦)

خلَطوا صليبكَ والخناجرَ والمُدى كلٌّ أداةٌ للأذى وحمام(٧)

أوما تراهم ذبّحوا جيرانهم بين البُيوت كأنَّهم أغنام؟

كم مُرضَعٍ فى حِجْرِ نعمته غدَا وله على حَدِّ السيوف فطام(٨)

---

١ — الصولجان : المحجن ، وهو عصا منعطفة الراس — ٢ — سفاك الدماء : مريقها بكثرة —٣— يشير بقوله : ياحامل الالام ، الخ الى ما يعتقده النصارى من ان السيد المسيح صلب ليحمل عن بنى آدم خطيئتهم الاولى ،أى ياحامل الالام فيما يزعمه هؤلاء السفاكون الذين يزعمون انهم على طريقك — ٤ — يوسف : هو السلطان يوسف صلاح الدين الايوبى ، قامت فى ايامه قيامة الصليبيين على المسلمين ، فحاربهم ونصره الله عليهم —٥— هاجه : أثاره ، والضمير ليوسف . وصيد الملوك : جمع أصيد ، وهو الملك ، لانه لا يلتفت من زهوه يمينا ولا شمالا ، كالبعير الذى اصيب بداء الصيد فى عنقه فلا يلتفت .

٦ — العصائب : جمع عصابة ، وهى الجماعة من الرجال ، وقيل ما بين العشرة والاربعين . وظلام : جمع ظالم — ٧ — خلطوا صليبك : اى الصليب الذى ينسبونه اليك . والحمام : الموت — ٨ — كم مرضع : اى طفل ترضعه أمه . والفطام : فصله عن الرضاع .

وصبيةٍ هُتِكت خميلةُ طُهرِها ... وتناثرت عن نَوْرِهِ الأكمام(١)

وأخي ثمانين استبيحَ وقارُه ... لم يُغنِ عنه الضعفُ والأعوام

وجريحِ حربٍ ظامئٍ وأدُوه ، لم ... يعطفْهمُ جرحٌ دمٍ وأُوام(٢)

ومهاجرين تنكرت أوطانُهم ... ضلّوا السبيلَ من الذهول وهاموا(٣)

السيفُ إن ركبوا الفِرارَ سبيلُهم ... والنِّطْعُ إن طلبوا القَرار مُقام(٤)

يتلفتون مودّعين ديارَهم ... واللحظُ ماءٌ ، والديارُ ضِرام(٥)

* * *

يا أمة (بفروقَ) فرّق بينهم ... قَدَرٌ تطيشُ إذا أتى الأحلام(٦)

فيم التخاذلُ بينكم ووراءَكم ... أمم تُضاع حقوقُها وتُضام؟(٧)

الله يشهدُ لم أكن متحزّباً ، ... في الرُّزء لا شِيعٌ ولا أحزام(٨)

وإذا دعوتُ إلى الوِئامِ فشاعرٌ ... أقصى مُناهُ محبةٌ ووِئام (٩)

من يضجر البلوى فغايةُ جهدِه ... رُجعَى إلى الأقدار واستسلام(١٠)

لا يأخذنّ على العواقبِ بعضُكم ... بعضًا ، فقِدْماً جارت الأحكام

---

١ ـ الخميلة ، هنا : الدثار ، من المخمل ، وهو ثوب له وبر كالهداب ، أو هي الشجر الكثير الملتف • والنور : هو الزهر الابيض • والاكمام : جمع كم – بكسر الكاف ـ وهو غطاء النور ـ٢ـ وأدوه : أى قتلوه ، كما تقتل البنت بالوأد ، وهو دفنها حية • وجرح دم : اى يقطر منه الدم • والاوام : العطش ودوار الراس ـ ٣ ـ هاموا : ذهبوا على وجوههم من الظلم ، فلا يدرون أين يتوجهون ـ٤ـ النطع : بساط من الجلد يفرش لمن يضرب عنقه ، والقرار : المكان الذى يقر فيه الانسان ، أو هو الثبات فى المكان والسكون فيه

٥ ـ والديار ضرام : أى مشتعلة نارا ـ٦ـ فروق : والاستانة • والاحلام : العقول ـ٧ـ التخاذل : التدابر وان يخذل بعضهم بعضا ـ ٨ ـ الرزء ، المصيبة • والشيع : جمع شيمة ، وهى اتباع الرجل وانصاره • والاحزام : الاحزاب ـ٩ـ الوئام : الوفاق ـ١٠ـ رجعى الى الاقدار : أى رجوع اليها •

تَقضى على المرء الليالى ، أَوْ له فالحمدُ من سلطانها ، والذّام(١)

من عادة التاريخ ملءُ قضائه عدل وملءُ كِنانَتَيْه سِهام (٢)

ما ليس يدفعه المهنّدُ مصلَتًا لا الكتبُ تدفعه ، ولا الأَقلام(٣)

إن الأُلى فتحوا الفتوحَ جلائلًا دخلوا على الأُسدِ الغياضَ وناموا(٤)

هذا جناه عليكم آباؤكم صبرًا وصفحًا ، فالجناةُ كرام(٥)

رفعوا على السيفِ البناء ، فلم يدم ما للبناء على السيوف دوام

أبقى الممالكَ ما المعارفُ أُسّه والعدلُ فيه حائطٌ ودِعام(٦)

فإذا جرى رشدًا ويمنًا أمرُكم فامشوا بنورِ العلمِ ، فهو زِمَام

ودعوا التفاخرَ بالتُّراث وإن غلا فالمجدُ كسبٌ ، والزمانُ عِصام

إنّ الغرورَ إذا تملَّك أمةً كالزهر يُخفِى الموتَ وهو زؤام(٧)

لا يعدلنّ الملك فى شهواتكم عرَضٌ من الدنيا بدا وحُطام(٨)

ومناصب فى غير موضِعها ، كما حلَّت محلَّ القدوة الأَصنام(٩)

الملك مرتبةُ الشعوب ، فإن يفتْ عزُّ السيادة فالشعوبُ سَوام

---

١ ـ الذام : الذم ـ٢ـ الكنانتان : تثنية كنانة ، وهى جعبة السهام ، من الجلد أو من الخشب ـ٣ـ المهند :السيف ـ ٤ ـ الغياض : جمع غيضة ، وهى مجتمع الشجر فى مغيض ماء ، وهى ايضا الاجمة ، والمعنى : ان أسلافكم قنعوا من البلاد التى فتحوها بمجرد الفتح والغلبة ، ولم يلتفتوا الى أن اهلها يضمرون لهم العداوة ، ويتربصون بهم الدوائر ـ ٥ ـ هذا ، اى ما انتم فيه من عداوة ـ ٦ ـ الدعام : عماد البيت ـ ٧ ـ كالزهر يخفى الموت : ذلك أن الزهر يتنفس فيفسد الهواء فى الأمكنة الضيقة ، فيحدث الاختناق ، والزؤام : السريع من الموت ـ٨ـ عرض الدنيا : مالا دوام له منها ، وحطامها : ما فيها من مال كثير أو قليل ـ ٩ ـ مناصب جمع منصب ، بكسر الصاد ، وهو فى كلام المولدين ما يتولاه الرجل من العمل واصله المقام ، والاصنام : جمع صنم ، وهو تمثال انسان أو حيوان يتخذ للعبادة .

ومن البهائم مشبَعٌ ومُذلَّلٌ ... ومن الحرير شكيمة ولجام

وقف الزمانُ بكم كموقِف «طارق» ... اليأْسُ خلفٌ ، والرجاءُ أمام(١)

الصبرُ والإقدامُ فيه إذا هما ... قُتلا فأَقتلُ منهما الإحجام

يُحصى الدليلُ مدى مطالبه ، ولا ... يحصِي مدى المستقبلِ المِقدام

هذى البقيةُ – لو حرصتم – دولةٌ ... صال الرشيد بها ، وطالَ هِشام(٢)

قِسْم الأئمة والخلائِف قبلكم ... فى الأرض لم تُعدَل به الأَقسام(٣)

سرت النبوّةُ فى طَهور فضائِه ... ومشى عليه الوحىُ والإلهام

وتدفَّق النهران فيه ، وأزهرت ... بغدادُ تحت ظلاله ، والشام(٤)

أَثْرَتْ سواحلُه ، وطابت أرضُه ... فالدرُّ لُجٌّ ، والنُّضارُ رَغام(٥)

* * *

شرفاً أدرنةُ ! هكذا يقفُ الحمى ... للغاصِبين ، وتثبتُ الأَقدام(٦)

وتُرَدُّ بالدم بقعةٌ أُخذت به ... ويموتُ دون عرينِه الضرغام(٧)

والملكُ يؤخذ ، أو يُرَدُّ ، ولم يزل ... يرثُ الحسامَ على البلاد حسام(٨)

---

١ – طارق : هو طارق بن زياد بطل الاندلس المشهور ، يروى بعض المؤرخين انه لما عبر بجيشه البحر ليقاتل الاعداء : أمر فأحرقت السفائن ، ثم خطب فى الجيش : أن البحر وراءه والعدو امامه ، فاذا نكص عن القتال وقع بين عدوين ليس منهما غير الهلاك – ٢ – هذى البقية : اى ما بقى للاتراك من البلاد بعد حرب البلقان . ولو حرصتم : اى لو حرصتم عليها . والرشيد : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى . وهشام : هو ابن عبد الملك احد خلفاء بنى أمية – ٣ – القسم (بكسر القاف) : النصيب – ٤ – النهران : دجلة والفرات ، وبغداد : حاضرة العراق –٥– أثرت : كثر فيها الغنى والمال . فالدر لج : أى كثير كاللج . والنضار : الذهب . والرغام : التراب ، أى انه لكثرته صار كالتراب – ٦ – شرفا ادرنة : اى لقد شرفت شرفا . والحمى : ما يحمى من الشيء – ٧ – العرين : مأوى الاسد . والضرغام : الاسد . ٨ – الحسام : السيف .

عِرْضُ الخلافةِ ذاد عنه مجاهدٌ في الله ، غازٍ في الرسول ، همام(١)
تستعصم الأوطانُ خلف ظُباته وتَعزُّ حول قناتِه الأعلام(٢)
(عثمان) في بُرْدَيْه يمنعُ جيشَه (وابنُ الوليد) على الحِمى قوّام(٣)
علم الزمانُ مكانَ (شكري) ، وانتهى شكرُ الزمان إليه والإعظام(٤)

* * *

صبرًا أدرنةُ ! كلُّ ملكٍ زائلٌ يوماً ، ويبقى المالك العلّام(٥)
خفَتَ الأذانُ ، فما عليكِ مُوحِّد يسعى ، ولا الجُمَعُ الحِسانُ تُقام(٦)
وخبتْ مساجدُ كن نورًا جامعاً تمشي إليه الأُسد والآرام(٧)
يدْرُجْنَ في حَرَمِ الصلاةِ قوانتاً بيضَ الإزارِ ، كأنهن حَمام(٨)
وعَفَتْ قبورُ الفاتحين ، وفُضَّ عن حُفَرِ الخلائفِ جَنْدَلٌ ورِجام(٩)
نُبِشَتْ على قَعساءِ عِزَّتِها ، كما نُبِشتْ على استعلائها الأهرام(١٠)
في ذمّةِ التاريخ خمسةُ أشهرٍ طالت عليكِ ، فكلُّ يوم عام(١١)

---

١ — العرض : جانب الرجل الذي يصونه من نفسه او سلفه ، او هو موضع المدح والذم منه · وذاد عنه : طرد عنه العدو ودفعه — ٢ — تستعصم : تلجأ وتمتنع . الظبات : جمع ظبة — بضم الظاء ، وهي حد السيف . وتعز تصير عزيزة مكرمة — ٣ — ابن الوليد : هو خالد بن الوليد ، قائد عظيم من الصحابة

٤ — شكري هو بطل ادرنة ، وقائد حاميتها الذي تولى الدفاع عنها أثناء شهور الحصار — ٥ — صبرا ادرنة : اي اصبري صبرا — ٦ — خفت : سكن وانقطع . والموحد : من يعتقد أن الله واحد لا شريك له ولا ولد . والجمع : هي صلوات الجمع الاسبوعية — ٧ — خبت : سكنت · والأسد هم الرجال الذاهبون الى المساجد · والارام : النساء الذاهبات اليها . والرئم . الظبي الابيض — ٨ — يدرجن : يمشين ، والضمير للارام في البيت المتقدم . والقوانت : جمع قانتة ، من القنوت ، وهو الطاعة والدعاء — ٩ — عفت : اضمحلت وامحت . وفض جندل ورجام : اي كسر متفرقا . والجندل : الحجارة · والرجام : مايبنى عليه البئر وتعرض فوقه الخشبة للدلو .

١٠ — العزة القعساء : المنيعة الثابتة — ١١ — خمسة اشهر : هي مدة حصار ادرنة .

السيفُ عارٍ ، والوباءُ مُسلَّطٌ ‏ والسيلُ خوفٌ ، والثلوجُ رُكام(١)
والجوعُ فتّاك ، وفيه صحابةٌ ‏ لو لم يجوعوا في الجهادِ لصاموا
ضَنّوا بعرضِك أن يُباعَ ويشترى ‏ عِرْضُ الحرائر ليس فيه سُوام(٢)
ضاق الحصارُ كأنما حلقاتُه ‏ فلَكٌ ، ومقذوفاتُها أجرام(٣)
ورمى العِدَى ، ورميتَهم بجهنمٍ ‏ مما يصبُّ الله ، لا الأقوام
بِعْتَ العدوَّ بكل شبرٍ مهجة ‏ وكذا يُباعُ الملكُ حين يُرام(٤)
مازال بينكَ في الحصارِ وبينَه ‏ شُمُّ الحصونِ ، ومثلُهن عِظام(٥)
حتى حوالكِ مقابرًا ، وحويتِه ‏ جُثَثًا ، فلا غَبْنٌ ولا استِذمام(٦)

ضيف أمير المؤمنين (*)

رضيَ المسلمون والإسلامُ ‏ فَرْعَ عثمانَ ، دُمْ ، فِداك الدوامُ(٧)
كيف نحصى على عُلاكَ ثناءً ؟ ‏ لك منك الثناءُ والإكرام

---

١ — السيف عار : أي مجرد من غمده كما يتجرد الانسان من ثيابه ، والمراد أن القتال مستمر . والوباء مسلط : هو الوباء الذي يحدث عادة في كل مكان يكثر فيه القتل والقتال ويكون محصورا من الخارج . والسيل خوف : اى مخيف . والثلوج ركام : أى متراكم بعضها فوق بعض — ٢ — الحرائر : جمع حرة . والسوام (بضم السين) : ان تعرض السلعة ويذكر ثمنها .

٣ — الفلك : مدار النجوم . والاجرام ، هي الاجسام التي في الفلك .

٤ — المهجة : الروح أو دم القلب . أى ان العدو لم ينلك الا بعد أن بذل في كل شبر من ارضك رجلا من رجاله — ٥ — شم الحصون : اى الحصون العالية — ٦ — حوالك : ملكك . والاستذمام : فعل ما يقتضى الذم . والمعنى : أن الحصون بقيت ثابتة بينك وبين الاعداء كما كان بينك وبينهم من عظام القتلى اكوام كالحصون ، فلم يأخذك الا بعد أن صرت مقابر لرجاله جثثا هامدة وبهذا لم تفعل ما فيه غبن ولا ما يقتضى الذم

* — نزل صاحب الديوان بالاستانة ، فبلغ أنه ضيف أمير المؤمنين ما اقام بها

٧ — فرع عثمان : هو السلطان عبد الحميد .

هل كلامُ العبادِ فى الشمسِ إلاّ ... أنها الشمسُ ليس فيها كلام ؟
ومكانُ الإمام أعلى ، ولكن ... بأحاديثه يَتِيهُ الأنام(١)
إيه « عبدَ الحميد » ، جلَّ زمانٌ ... أنت فيه خليفةٌ وإمام(٢)
ما رأت مثلَ ذا الذى تَبتنِى الأقـــوامُ مجدًا ، ولن يَرى الأقوام
دولةٌ شاد ركنَها ألفُ عام ... ومئاتٌ ، تعيدها أعوام(٣)
وأساسٌ من عهدِ عثمان يُبنَى ... ثمانٍ ومثلهن يُقام
حكمةٌ حال كلُّ هذا التجلِّى ... دونها أن تنالها الأفهام
يسألُ الناسُ عندها الناسَ : هل ف ... الناس ذو المقلةِ التى لا تنام ؟(٤)
أم مِن الناسِ – بعدُ – مَنْ قولُه وحـ ... ـىٌ كريمٌ ، وفعلُه إلهام ؟(٥)
صدق الخلقُ ، أنت هذا ، وهذا ... يا عظيما ما جازه إعظام(٦)
شرفٌ باذخٌ ، وملكٌ كبيرٌ ... ويمينٌ بُسطٌ ، وأمرٌ جسام(٧)
(عُمَرٌ) أنتَ ، بَيْدَ أنك ظلٌّ ... للبرايا ، وعصمةٌ ، وسلام(٨)
ما تتوجتَ بالخلافةِ حتى ... توَّجَ البائسون والأيتام

---

١ – يتيه : يتكبر – ٢ – ايه : اسم فعل ، معناه الاستزادة من الحديث
٣ – شاد ركنها الف عام ومئات : أى رفع ركنها الف عام ومئـات ، وهى دولة الاسلام منذ هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام . تعيدها أعوام : أى ترجعها الى مثل قوتها أعوام معدودة ، هى التى توليت فيها أمرها .
٤ – يسأل الناس عندها : اى عند هذه الحكمة . والمعنى أن بعضهم يسأل بعضا : هل فيهم من هو مثلك ساهر على الملك فلا تنام عينه ؟ – ٥ – أم من الناس : أى يسألون ايضا : أمنهم من يكون له ذكر بعدك ، انت الذى يصدر عنك القول صادقا مطاعا كأنه الوحى ، ويصدر عنك العمل صوابا كأنه الهام من الله – ٦ – صدق الخلق : أى صدقوا فى الحالين ، فانت الذى لا تنـام عينك ، وانت القائل المصدق ، والفاعل الصواب – ٧ – شرف باذخ : طويل ويمين بسط (بضم الباء) : أى مبسوطة مطلقة ، كناية عن الجود والسخاء . امر جسام – بضم الجيم : عظيم ضخم – ٨ – عمر انت : أى انت كعمر بن الخطاب فى عدله وتقواه .

ومرى الخِصبُ والنَّماءُ ، ووافى الـ ... بِشرُ ، والظِلُّ ، والجنَى ، والغَمام(١)
وتلقَّى الهلالَ منك جبينٌ ... فيه حسنٌ ، وبالعُفاةِ غَرام(٢)
فسلامٌ عليهمُ وعليه ... يومَ حيَّتهمُ به الأيام
وبدا الملكُ ملكُ عثمانَ من عَلْـ ... ـياكَ في الذِّروَة التي لا تُرام(٣)
يهرعُ العرشُ ، والملوكُ إليه ... وبنو العصر ، والولاةُ الفِخام(٤)
هكذا الدهرُ : حالةٌ ، ثم ضِدٌّ ... ما لحالٍ مع الزمان دوام
ولأنت الذي رعيَّتُه الأُسْـ ... ـدُ ، ومَسْرَى ظلالها الآجام(٥)
أمة التركِ ، والعراقُ ، وأهلو ... ه ، ولبنانُ ، والربى ، والخيام
عالمٌ لم يكن ليَنْظِمَ ، لولا ... أنك السِّلمُ وَسْطَهُ والوئام(٦)
هذّبته السيوفُ في الدهر ، واليو ... مَ أتمتْ تهذيبَه الأقلام(٧)
أيقولون : سَكرةٌ لن تَجلَّى ... وقعودٌ مع الهوى ، وقيام؟(٨)
ليذوقنَّ للمُهلهِلِ صَحْوًا ... تَشرُفُ الكأسُ عنده والمدام(٩)

---

١ ـ الخصب : رغد العيش . والجنى : مايجنى من الشجر ـ ٢ ـ وبالعفاة غرام : أى وفيه غرام العفاة . والعفاة : جمع عاف وهو طالب الفضل والرزق ٣ ـ من علياك ، أى من عليائك . والعلياء : ما علا من الشيء ـ ٤ ـ يهرع : يمشى اليه بسرعة . والفخام : جمع فخم ، وهو العظيم القدر ـ ٥ ـ المسرى : السريان ، كما يسرى الماء أو السير عامة الليل . والآجام : جمع أجم ، وهو الشجر الكثير الملتف ـ ٦ ـ ينظم : أى ينتظم . والسلم : ضد الحرب . والوئام : الوفاق ـ ٧ ـ هذبته : أصلحته ـ ٨ ـ لن تجلى : أى لن تنجلى ، تنفرج وتنكشف ـ ٩ ـ ليذوقن : هنا قسم ، أى والله ليذوقن . والضمير في هذا الفعل للجماعة ، يرجع الى القائلين الذين يدل عليهم قوله « أيقولون » في البيت المتقدم . والمهلهل بكسر الهاء الثانية : هو عدى بن ربيعة ، أخو كليب ابن ربيعة ، وكليب هذا كان من الرؤساء في الجاهلية ، قتله جساس أخو امرأته وخبرهما مشهور في أيام العرب وحروبهم ، وكان المهلهل صاحب شراب وقمار ونساء ، فلما علم بقتل أخيه هجر النساء والغزل ، وحرم القمار والشراب ، وشغل عن هذا كله بالحرب وطلب الثار . والى هذا يشير بقوله : ليذوقن للمهلهل صحوا . الخ : أى ليذوقن صحوا كصحو المهلهل ، وحربا كالحرب التى أثارها .

وضع الشرقُ فى يديك يديه ... وأتت من حُماتِه الأقسام(١)

بالولاء الذى تُريد الأيادى ... والولاء الذى يريد المقام(٢)

غيرَ غاوٍ ، أو خائن ، أو حسود ... برئت من أولئك الأحلام(٣)

كيف تُهدَى لما تشيد عيونٌ ... فى الثرى ملؤها حصًى ورغام ؟ (٤)

مُقَلٌ عانت الظلامَ طَويلاً ... فعماها فى أن يزولَ الظلام(٥)

قد تعيش النفوسُ فى الضيم حتى ... لترى الضيمَ أنها لا تضام(٦)

أيها النافرون ، عودوا إلينا ... ولِجُوا البابَ ؛ إنه الإسلام(٧)

غرضٌ أنتمُ ، وفى الدهر سهمٌ ... يومَ لا تدفعُ السهامَ السهام(٨)

نِمتُمُ ، ثم تطلبون المعالى ... والمَعالى على النيام حرام(٩)

شرُّ عيشِ الرجالِ ما كان حُلْمًا ... قد تسيغ المنيَّةَ الأحلام(١٠)

ويبيت الزمانُ أندلسيًّا ... ثم يُضحِى وناسُه أعجام(١١)

* * *

عالىَ البابِ ، هَزَّ بابُك مِنَّا ... فسعينا ؛ وفى النفوسِ مَرام(١٢)

---

١ — الحماة : جمع حام ، وهو المانع الدافع · والاقسام : الايمان : جمع قسم — ٢ — الذى تريد الايادى ·· الخ : أى أتوا يحثهم الولاء الذى تقتضيه أياديك عليهم — جمع يد ، وهى النعمة — والولاء الذى يستوجبه مقامك الرفيع — ٣ — برئت من أولئك : أى من هذه الاصناف الثلاثة . والاحلام : العقول — ٤ — لما تشيد : لما تبنى · والثرى : التراب ، وكذلك الرغام ·

٥ — مقل : جمع مقلة ، وهى العين — ٦ — الضيم : الظلم والقهر ·

٧ — النافرون : المتفرقون المتباعدون ؛ لجوا : ادخلوا — ٨ — الغرض : الهدف الذى يرمى اليه — ٩ — المعالى : جمع معلاة (بفتح الميم) وهى الرفعة والشرف — ١٠ — الحلم (بضم الحاء) : ما يراه النائم . جمعه احلام .

١١ — اندلسيا : أى كزمان الاندلس أيام عز العرب والاسلام فيها .

١٢ — عالى الباب ، أى يا من بابك العالى . هز بابك منا : أى هزنا . وفى النفوس مرام : مطلب .

وتجلّيتَ ، فاستلمنا ، كما للنـــاس بالركن ذى الجلالِ استلام(١)

نستميحُ الإمامَ نصرًا لمصرٍ ... مثلما ينصرُ الحسامَ الحسام(٢)

فلمصرٍ — وأنت بالحبِّ أدرى — ... بكَ — ياحامىَ الحمى — استعصام(٣)

يشهدُ الله للنفوسِ بهذا ... وكفانا أن يشهدَ العلام

وإلى السيدِ الخليفةِ نشكو ... جورَ دهرٍ ، أحرارُه ظُلام(٤)

وعدوها لنا وعودًا كبارًا ... هل رأيت القُرى علاها الجهام؟(٥)

فمللنا ، ولم يكُ الداءُ يحمى ... أن تملَّ الأرواحُ والأجسام(٦)

يمنعُ القيدُ أن تقوم ، فهل تا ... جٌ ؟ فبالتاج للبلاد قيام

فارفع الصوتَ : إنما هى مصرُ ... وارفع الصوتَ : إنها الأهرام

وارعَ مصرًا ولم تزل خيرَ راعٍ ... قبلها بالذى أرتكَ زمام

إن جهد الوفاء ما أنت آتٍ ... فليقم فى وقائك الخدّام(٧)

وليصولوا بمن له الدهرُ عبدٌ ... وله السعدُ تابعٌ وغلام(٨)

فاللواءُ الذى تلقَّوا رفيعٌ ... والأمورُ التى تولَّوْا عِظام

مَن يُردْ حقَّهُ فللحق أنصا ... رٌ كثيرٌ ، وفى الزمانِ كرام

لا تروقنَّ نومةُ الحقِّ للبا ... غى ، فللحقِّ هبَّةٌ وانتقام

---

١ — تجليت : ظهرت . والركن : ركن الكعبة . والاستلام ، اللمس إما بالقبلة او باليد — ٢ — نستميح : ننال . والحسام : السيف — ٣ — الحمى : ما حمى من شيء . استعصام : استمساك — ٤ — الجور : الظلم . وظلام : جمع ظالم — ٥ — القرى : جمع قرية . والجهام (بفتح الجيم) : السحاب لا ماء فيه ، يعنى ان تلك الوعود كانت كالسحاب الذى لا خير فيه .

٦ — ولم يك الداء يحمى .. الخ : اى لم يكن من شأن الداء ان يمنع الارواح والاجسام من ان تمله وتسأمه — ٧ — ان جهد الوفاء : اى غاية الوفاء . ما أنت آت : اى آتيه وفاعله — ٨ — وليصولوا : اى وليسطوا بأمرك على من ظلموا مصر حتى يقهروهم .

إنَّ للوحش ـ والعظامُ مناها ... لمنايا أسبابُهن العظام(١)
رافعَ الضادِ للسُّها ، هل قبولٌ فيباهي النجومَ هذا النظام؟(٢)
قامت الضادُ في فمي لك حبًّا فَهْيَ فيه تحيةٌ وابتسام
إن في « يلدز » الهوى لَخلالا أنا صَبٌّ بلُطفها ، مُستَهام(٣)
قد تجلَّت لخير بدرٍ أقلَّت في كمالٍ بدت له أعلام(٤)
فالزم التمَّ أيها البدرُ دوما والزم البدرَ أيهذا التمام(٥)

ذكرى دنشواي (*)

يا دِنشِواىَ ، على رُباكِ سلامُ ذهبتْ بِأُنسِ رُبوعِكِ الأيامُ
شهداءُ حُكمكِ في البلاد تفرَّقوا هيهاتَ للشملِ الشتيت نظام
مرّت عليهم في اللحود أهلَّةٌ ومضى عليهم في القيودِ العام
كيف الأراملُ فيكِ بعد رجالِها؟ وبأىِّ حالٍ أصبح الأيتام ؟
عشرون بيتًا أقفرت ، وانتابَها بعد البشاشةِ وحشةٌ وظلام
ياليت شعري : في البروج حمائمٌ أم في البروج منيةٌ وحِمام ؟
«نيرونُ» ،لو أدركتَ عهدَ «كرومرٍ» لعرفتَ كيف تُنفَّذ الأحكام !

---

١ ــ العظام : جمع عظم ومناها : جمع امنية . ومنايا : جمع منية ؛ أي ان الوحوش تجد منيتها في العظام وهي تطلبها للاكل والغذاء ــ ٢ ــ الضاد : اللغة العربية . والسها : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى . هذا النظام : اي الشعر ــ ٣ ــ يلدز : قصر السلطان عبد الحميد في الاستانة ــ ٤ ــ أقلت : حملت ــ ٥ ــ التم والتمام : الكمال .

(*) قيلت بعد مرور عام على حادثة هذه القضيه في سبيل طلب العفو عن سجنائها .

نوحى حمائمَ دنشواىَ ، وروِّعى ... شعبًا بوادى النيل ليس ينام

إن نامت الأحياءُ حالتْ بينه ... سَحرًا وبين فراشِه الأحلام

متوجِّع ، يتمثلُ اليومَ الذى ... ضجّتْ لشدةِ هَوله الأقدام

السوطُ يعملُ ، والمشانقُ أربعٌ ... متوحِّدات والجنودُ قيام

والمستشارُ إلى الفظائع ناظرٌ ... تَدْمَى جلودٌ حوله وعِظام

فى كل ناحيةٍ وكلِّ محلةٍ ... جزعاً من الملأ الأسيف زحام

وعلى وجوهِ الثاكلين كآبةٌ ... وعلى وجوهِ الثاكلات رغام

الهلال الأحمر (*)

يا قَومَ عثمان — والدنيا مداوَلةٌ — ... تعاونوا بينكم يا قومَ عثمان(١)

كونوا الجدارَ الذى يقوى الجدارُ به ... فالله قد جعل الإسلامَ بنيانا(٢)

أمسى السبيل لغير المحسنين دماً ... فشأنُكم وسبيلاً نورُهُ بانا

البِرُّ مِنْ شُعبِ الإيمان أفضلُها ... لا يقبل اللهُ دون البر إيمانا(٣)

هل ترحمون — لعل الله يرحمُكم — ... بالبيد أهلاً ، وبالصحراء جيرانا؟

فى ذمةِ اللهِ — أوْفَى ذمةٍ — نَفَرٌ ... على طرابُلُسٍ يقضون شجعانا(٤)

— * — كانت جماعة الهلال الاحمر المصرية قد أحيت ليلة تجمع بهـا التبرعات ، لاعانة المقاتلين فى طرابلس الغرب من الجيش العثمانى ، حـين اغارت ايطاليا عليها ، فقال فى ذلك هذه القصيدة — ١ — مداولة : من داول الله الايام بين الناس ، أى صرفها بينهم — ٢ — الجدار : الحائط — ٣ — البر : الخير والطاعة . والشُعب : جمع شعبة ، وهى غصن الشجرة ، أو هى الطائفة من الشيء — ٤ — يقضون : يموتون .

إن سال جرحاهُمُ من غُربةٍ ووغًى | باتوا على الجمرِ أرواحاً وأبدانا(١)
هذا يَحنُّ إلى السفور مُحتَضَراً | وذاك يبكى الغَضَا ، والشيحَ ، والبانا(٢)
يُودّعون على بعدٍ ديارَهُمُ | وينشدون بُنَيَّاتٍ وصِبيانا(٣)
أذنبُهم عند هذا الدهر أنهمُ | يحمون أرضاً لهم دِيست وأوطانا؟
ماتوا ، وعِرضُهم الموفورُ بعدهم | والعِرضُ لا عزَّ فى الدنيا إذا هانا(٤)
قومى ـ وجلّت وجوهُ القوم ـ مصرُكم | ألقت على كرماء الدهر نسيانا(٥)
لا تسألون عن الأعوان إن قعدوا | وتنهضون إلى الملهوف أعوانا(٦)
أكلما هزَّكُم داعٍ لصالحةٍ | قمتم كهولا إلى الداعى وفتيانا؟(٧)
لو صُوّر الشرق إنساناً أخاكرم | لكنتمُ الروحَ ، والأقوامُ جثمانا(٨)
إذا هُزِزتم تلاقى السيفَ منصَلِتاً | والريحُ مُرْسَلةً ، والغيثُ هتَّانا(٩)
إذا المكارمُ فى الدنيا أُشيدَ بها | كانت كتاباً ، وكنا نحن عُنوانا(١٠)

---

١ ـ جرحاهم : اى الجرحى منهم ، والوغى : الحرب ـ ٢ ـ هذا يحن الى السفور .. الخ : اى من كان منهم تركيا يحن الى بلاده التى كنى عنها بالسفور ، ومن كان عربيا بكى فرقة بلاده التى كنى عنها بالغضا والبان ، وهما نوعان من الشجر ينبتان فى بلاد العرب ، والشيح : هو نبات طيب الرائحة . والمحتضر : من حضرته الوفاة ـ ٣ ـ ينشدون بنيات .. الخ : يطلبونها ويسالون عنها ، اى ينشدون بنياتهم وصبيانهم ـ ٤ ـ ماتوا وعرضهم الموفور : اى ماتوا فى سبيل صيانة عرضهم ، فتركوه عزيزا موفورا .

٥ ـ قومى : أى ياقومى . وجلت وجوه القوم : أى وجوهكم ، وهذه جملة معترضة بين المنادى وما كان من أجله النداء ، وهو الاخبار بانهم لما جاءوا بالخبر العظيم نسى سواهم من الكرماء فى غير مصر ، فلم يعد لهم ذكر

٦ ـ لا تسألون : اى أنتم لا تسألون . وتنهضون : تقومون . والملهوف : المظلوم المستغيث ـ ٧ ـ أكلما : الهمزة للاستفهام ، وكلما هى لفظ « كل » مضافة الى « ما » المصدرية الظرفية ، وهى حينئذ تفيد التكرار . ولصالحة : اى فعلة صالحة . والكهول : جمع كهل ، وهو الرجل من أربع وثلاثين الى أحدى وخمسين ـ ٨ ـ الجثمان : الجسم ـ ٩ ـ السيف المنصلت : المجرد من غمده . والهتان : المنصب ـ ١٠ ـ أشيد بها أى ذكرت بالثناء عليها .

إنّ الحياةَ نهارٌ أو سحابتُه   فعِشْ نهارَك من دنياك إنسانا
أرى الكريمَ بوجدانٍ وعاطفةٍ   ولا أرى لبخيل القومِ وجدانا(١)

* * *

هذا الهلالُ الذى تُحيون ليلتَه   أبهى الأهلّةِ عند اللهِ ألوانا(٢)
أراه من بين أعلامِ الوغَى مَلَكاً   وما سواه من الأعلامِ شيطانا(٣)
فَانٍ ، ففيه من الجَرْحَى مُشاكلةٌ   حتى إذا قيل ماتوا اخضرَّ رَيْحانا(٤)
لحامليه جلالٌ منه مقتبَسٌ   كأنّما رفعوا للناسِ قُرآنا(٥)
كأنّ ما احمر منه حول غُرّتِه   دمُ البرىء ذَكِيُّ الشَّيْبِ عُثْمانا(٦)
كأنّ ما ابيضّ فى أثناء حُمرته   نورُ الشهيد الذى قدمات ظمآنا(٧)
كأنّه شفقٌ تسمو العيون له   قد قَلَّدَ الأُفقَ ياقوتاً ومَرجانا
كأنّه من دم العُشاق مختضَبٌ   يُثيرُ حيثُ بدا وجدًا وأشجانا(٨)
كأنّه من جمال رائع وهُدًى   خلودُ يوسفَ لما عَفَّ وَلْهانا(٩)
كأنّه وردةٌ حمراءُ زاهيةٌ   فى الخُلْدِ قد فُتّحت فى كف رضوانا(١٠)

---

١ — الوجدان والعاطفة : من استعمالات المولدين ، يراد بهما الشعور القلبى .

٢ — الهلال : اسم لراية الدولة التركية ، وهى حمراء اللون فى وسطها رسم الهلال بلون أبيض — ٣ — أراه من بين اعلام الوعى : أى من بين الاعلام المنشورة فى الحرب . وملكا : أى كالملك فى تنزهه وطهارة عمله ، وهو واحد الملائكة — ٤ — المشاكلة : المشابهة — ٥ — الجلال : التناهى فى عظم القدر . ومقتبس : متخذ ومستفاد .

٦ — الغرة : بياض فى جبهة الفرس قدر الدرهم ، شبه بها رسم الهلال لانه أبيض . وعثمان : هو الخليفة عثمان بن عفان — ٧ — الاثناء : تضاعيف الشىء ومطاويه ، واحدها ثنى ، بكسر الثاء — ٨ — مختضب : ملون . والوجد : الحب . والاشجان : الاحزان والهموم — ٩ — الجمال الرائع : الذى يروع الرائى ، أى يعجبه . ويوسف : هو يوسف الصديق . وعف : كف عما لا يحل . والولهان : الحزين ، أو الذى ذهب عقله حزنا

١٠ — رضوان : من الملائكة ، وهو — كما يقول رجال الدين — موكل بأبواب الجنة .

رومة (*)

صديقى المحترم :

صدرتُ(١) عن باريس وكأنها بابلُ ذات البرج والجسرِ وهى فى دولتها ، أوطيبةٌ(٢) فى الزمن الأول ، إلا أنها مدينة الشمس ، وباريس مدينة النور ، أورومةُ (٣) مقر القياصِر ، ومزدحمُ الأجناسِ والعناصر ، وهى فى رِفعة مُلكِها الفاخِر ، تموج بالأمم كالبحر الزاخر ، أو الإسكندريةُ (٤) ذاتُ المسلة

---

* — نظم صاحب الديوان هذه القصيدة ، وقدمها بكتاب الى صديقه المؤرخ الأستاذ اسماعيل بك رأفت — ١ — صدرت عن باريس : رجعت وانصرفت . وبابل : مدينة قديمة بناها بختنصر فى آسيا الصغرى ، وكان بها بناء عظيم ذو طبقات بعضها فوق بعض ، وهو ما يسمى برجا ، وقالوا فى صفته : انه كان ذا طبقات ، طول كل من جوانب الطبقة الأولى بلغ ٢٧٢ قدما وارتفاعها ٢٦ قدما ، وفوقها طبقة ثانية طول كل من جوانبها ٢٣٠ قدما وارتفاعها ٢٦ قدما ، كانت مائلة فوق الطبقة الأولى الى الطرف الجنوبى الغربى ، وكانت الطبقات الباقية موضوعة هذا الوضع ، وكان طول الثالثة ١٨٨ قدما وارتفاعها ٢٦ قدما ، وكان طول الرابعة ١٤٦ والخامسة ١٠٤ ، والسادسة ٦٢ والسابعة ٢٠ ، وكان ارتفاع كل من هذه الطبقات الأربع الأخيرة ١٥ قدما ، ويقولون انه كانت هناك قنطرة أو قبة تغطى رأس الطبقة السابعة أو معظمه ، وكان ارتفاعها ١٥ قدما أيضا ، وكان يتألف من ذلك كله هرم منحن ، أضعف ميله الى الشمال الشرقى ، وأشده الى الجنوب الغربى ، وكان لكل طبقة لون مخصوص ، ويزعمون انه كان فوق هذا كله مذبح ، فيه مائدة ذهبية وفراش نفيس ، وكان ارتفاعه ١٥ قدما . وأما جسر بابل فيذكرون عنه أنه كان هناك نهر يشق المدينة من الشمال الى الجنوب ، وكان على كل من جانبى النهر سور له باب عند منتهى كل سوق من أسواق المدينة ، وكان فوق هذا النهر جسر واحد ، هو الجسر المنسوب الى بابل . ويذكرون لها عجائب أخرى ، كالبساتين المعلقة وسواها — ٢ — طيبة : مدينة مصرية قديمة كانت مقر الملك فى بعض الأزمنة ، وكانت بها عبادة الشمس ، ولهذا سماها مدينة الشمس — ٣ — رومة : عاصمة الدولة الايطالية فى هذا الزمن ، وكانت مقر ملك الرومان فى الزمن القديم . والقياصر : جمع قيصر ، وهو لقب لكل ملك من ملوك الروم — ٤ — الاسكندرية : المدينة الثانية فى الدولة المصرية ، مشهورة فى التاريخ القديم بمسلاتها العجيبة ، والمسلة التى فى باريس نقلها الفرنسيون حين أغاروا على البلاد المصرية منذ نحو قرن .

ـ والمسلّة فى باريس ـ وهى فى ذروة سعدها ، وأوج كمالها ، تُغير الشمس فى سرير مجدها بجلالها وجمالها ، أو «بغداد»(١) فى إبان إقبالها ، وسلطان أقيالها ، وأيمن أمرها ، وأسعدِ حالها ، فسبحان المنعم ، أعطى «مدينة المعرض» الأسماء كلّها ، وجلت قُدرتُه ، بعث المدائن فى واحدة .

رحلتُ عنها فى اليوم الذى أسفر صباحُه عن ليلةِ الاحتفال بتوزيع الجوائز على العارضين ، وقد نالها منهم ستون ألفاً أو يزيدون ، كلهم من مشهورى الصُّناع ، وكبار المخترعين ، شيعوا فى ذلك جنازة القرن التاسع عشر ومشى الخلائق فيها حتى دفناه ، وكأنه نهار مرّ ، أوليلة تقضت بالسمر(٢) ، ثم انقلبنا ننفض الأنامل من ترابه ، ونذكر من محاسنه أنه جيلٌ واضح الغُرر والتحجيل(٣) ، يذكره التاريخُ بالتعظيم والتبجيل ، قام العلمُ فيه على أمتن بُنيان ورُفعت الحجب بين الحقائق والإنسان ، ضُربت له أطولُ سماء من ضروب العرفان ، واستمد من القادر(٤) مبالغ الإمكان ، فاقتاد البَرّ بشعرة ، وزمّ البحر بإبرة(٥) ، وفرَق(٦) الأرض وبلغ الجبال ، وأوشك أن يمدّ إلى السماء بحبال ، ونفذ على النجم المدى ، ووجد على القطب هدى ، وغاص على الحروب الماء ، وركب إلى الوقائع الهواء ، وكسر شِرّة الداء(٧) وقتل قتّاله وراض العياء ، ودخل بصرُه على الجسم الأحشاء ، وأنطق الآلة الصماء ، ونقل الحديث من

---

١ ــ بغداد : عاصمة العراق العربى ، كانت مقر ملك الدولة العباسية .
وسلطان اقيالها : قوة ملوكها . وأيمن امرها : اى اتم امرها يمنا وبركة .
٢ ــ السمر : حديث الليل ــ ٣ ــ الغرر : جمع غرة ، وهى بياض قدر الدرهم فى جبهة الفرس . والتحجيل : بياض فى قوائم الفرس أيضـــا .
٤ ــ القادر : اسم من أسماء الله تعالى .
٥ ــ زم البحر : من قولهم زم الشىء ، اذا شده وجمعه .
٦ ــ فرق الأرض ، بتخفيف الراء : فصلها وابان مسالكها .
٧ ــ الداء العياء : الذى لا برء منه .

فضاءٍ إلى فضاء ، على انقطاع الصلةِ بين النطق والإصغاء ، وحرَّك الصُّوَرَ وهي هباء ، إذا رأيتها حسبتها جماعة الأحياء ، ونال سرائرَ الحوْباء(١) ، وخاض في الطبائع(٢) والأهواء ، فانكشف له الغِطاء وبرح الخفاء(٣) ، ونثرَ فكاد يوحَى إليه في الإنشاء ، ونظم فلم يدعْ من آيةٍ في الأرض ولا في السماء .

كل هذا أيها الأستاذ عرضته (باريسُ) للناس في خير معرضٍ أخرِج لهم ، فواهاً(٤) له من سوق ثم ينفضّ ، ويا أسفاً على بنيانه يومَ ينقض .

برحتُها وهي تجر الذيلَ على المدائن الكُبَر(٥) ، وتزرى بالحضارات ما حضر منها وما غبر(٦) ، وقصدت إلى رومةَ لعلي أرد النفسَ إلى الخشوع ، وأداوى الفؤاد من نشوة اغتراره بما رأى ، فبلغتها وإذا أنا بين أثر يكاد يتكلم ، وحجرٍ كان لكرامته يُستلم(٧) ، فوقفت أتأمل ذا الجدارَ وذا الجدار(٨) وأنشد(٩) ذلك القصر وتلك الدار ، إلى أن ثار الشعر — والشعر ابن أبوين : « التاريخ ، والطبيعة » — فنظمت ، وكأنى بها في يديك تقرأ .

أحبُّ التوفيق إلىّ — أيها الأستاذ — إكرام العالم ، وإجلال الصديق ، وأنت لى — بحمد الله — هذان كلاهما ، فهل تمنّ بقبول هدية هي إلى التاريخ أدنى منها إلى الشعر ؟

* * *

١ — السرائر : جمع سريرة ، وهي السر الذى يكتم ، والحوباء : النفس ،

٢ — الطبائع : جمع طبيعة ، وهي السجية التى جبل عليهما الانسان ، وقيل : هي القوة السارية في الأجسام ، التى بها يصل الجسم الى كماله الطبيعي — ٣ — برح الخفاء : اى وضح .

٤ — واها : كلمة للتعجب من طيب كل شيء ، أى ما أطيبه ، وتكون للتلهف ، وللتفجع أيضا ، يقال : واها على ما فات — ٥ — الكبر : جمع كبرى .

٦ — تزرى : تضع منها أو تصغر شأنها . وما غبر : ما مضى .

٧ — استلم الحجر : لمسه بالقبلة أو باليد — ٨ — الجدار : الحائط .

٩ — أنشد ذلك القصر ... الخ : أسأل عنه ، أو اطلبه .

قِفْ بروما ، وشاهد الأمرَ ، واشهد   أن للمُلك مالكاً سبحانَه

دولةٌ فى الثرى ، وأنقاضُ مُلكٍ   هدَمَ الدهرُ فى العُلا بنيانه(١)

مَزقت تاجَه الخطوبُ ، وألقت   فى الترابِ الذى أرى صولجانه(٢)

طللٌ ، عند دِمْنةٍ ، عند رسمٍ   ككتابٍ مَحا البِلى عُنوانه(٣)

وتماثيلُ كالحقائقِ ، تزدا   دُ وضوحاً على المدى وإبانه(٤)

من رآها يقولُ : هذِى ملوكُ   الدّهر ، هذا وقارُهم والرزانه(٥)

وبقايا هياكلٍ وقصورٍ   بين أخذِ البِلى ودفع المتانه(٦)

عبثَ الدهر بالحوارىِّ فيها   و « بيليوس » لم يَهب أرجوانه(٧)

وجرت هاهنا أمورٌ كبارٌ   واصل الدهرُ بعدها جَريانه

راح دينٌ ، وجاء دينٌ ، وولّى   ملكُ قومٍ ، وحلَّ مالكٌ مكانه(٨)

والذى حصَّلَ المجدون إهرا   قُ دماءِ خليقةٍ بالصيانه(٩)

---

١ ـ الثرى : التراب . والانقاض : جمع نقض ، بضم النون ، وهى ما انتقض من البنيان . والعلا : الرفعة والشرف ـ ٢ ـ الصولجان : هو المحجن ، وهو عصا منعطفة الرأس .

٣ ـ الطلل : ما شخص من آثار ، والدمنة : آثار الديار أيضا . والرسم : ماكان لاصقا بالأرض من آثار الدار ـ٤ـ تماثيل : جمع تمثال : بكسر التاء . والابانة : الايضاح ـ٥ـ الوقار والرزانة : بمعنى واحد ، وهو الحلم والعظمة.

٦ ـ هياكل : جمع هيكل ، وهو هنا اما البنـــاء المرتفع ، واما بيت الأصنام .

٧ ـ الحوارى : الناصر ، والناصح أيضا . وبليوس : هو بليوس قيصر أحد قياصرة الرومان الاقدمين . والأرجوان : صبغ أحمر ، وقيل هو الحمرة من الالوان ، والمراد به هنا الدم لحمرته ، كناية عن القــوة التى يستحل صاحبها سفك الدماء .

٨ ـ راح دين : ذهب ، وهو دين الرومان قبل النصرانية . وجاء دين : وهو النصرانية . وولى ملك الرومان الاقدمين ، وحل مكانه ملك الغالبين بعد ذلك التاريخ .

٩ ـ والذى حصل المجــدون ... الخ . أى ان أولئك الذين سعوا بالحرب والقتال ، ليحلوا فى رومة دينا بدل دين ، ويقيموا ملكا جـديدا على انقاض ملك ذاهب ، لم يجنوا من ذلك كله ثمرة ، الا اراقة دماء البشر التى تستحق الصيانة والحفظ .

ليتَ شعرى . إلامَ يقتتل النا سُ على ذى الدُّنيَّة الفتانه ؟(١)

بلدٌ كان للنصارى قتادًا صار مُلْكَ القُسوس ، عرشَ الديانه(٢)

وشعوبٌ يمحون آيةَ عيسى ثم يُعلون فى البريَّةِ شانه

ويُهينون صاحبَ الروح ميْتاً ويُعِزّون بعدَه أكفانه(٣)

عالمٌ قُلَّبٌ ، وأحلامُ خَلْقٍ تتبارى غباوةً وفطانه(٤)

رومة الزهوِ فى الشرائعِ ، والحكـ ـمةِ فى الحُكم ، والهوى ، والمجانه(٥)

والتناهى ، فما تعدَّى عزيزًا فيكِ عِزٌ ، ولا مَهِينًا مهانه(٦)

ما لحىٍّ لم يُمْسِ منكِ قبيلٌ أوَ بلادٌ يُعِدُّها أوطانه(٧)

يصبحُ الناسُ فيك مولى وعبدًا ويرى عبدُكِ الورى غِلمانه(٨)

أين مُلكٌ فى الشرقِ والغربِ عالٍ تحسُدُ الشمسُ فى الضحى سلطانه ؟(٩)

قادرٌ ، يمسخُ الممالكَ أعما لاً ، ويعطى وَسِيعَها أعوانه(١٠)

أين مالٌ جَبَيْتِهِ ، ورعايا كلّهم خازنٌ ، وأنتِ الخزانه ؟(١١)

---

١ — الدنية الفتانة : هى الدنيا — ٢ — القتاد : شجر صلب له شـوك كالابر ، والمـراد ان وصولهم اليه كان صعبا شاقا ، كالمشقة التى يجدهـا الانسـان من القتاد فى خرطه واشاكته .

٣ — المعنى فى هذا البيت والبيت الذى قبله انهـم يخالفون شريعة عيسى ، بينما يدعون تعظيمه — ٤ — القلب — بتشـديد اللام : المحتل . ٥ — الزهو : المنظر الحسن والكبر ، والتيه ، والفخر . والمجانة : الهزل . ٦ — التناهى : بلوغ النهايه . فماتعدى عزيزا... الخ : أى انك بلغت النهاية فى كل شيء ، فمن كان فيك عزيزا لم يفتهشىء من اسباب العز ، ومن كان مهينا لم يفته شيء من موجبات المهانة — ٧ — اى لم يكن لغير اهلك عشيرة يعتزون بها ، ولا بلاد يتخذونها وطنا يلجئون اليه ، لانك اسقطت العشائر والعصبيات ، وغلبت الجميع على أوطانهم — ٨ — يصبح الناس فيـك . الخ : يعنى ان اهلك كانوا سادة وعبيدا ، وكان للعبيـد على الاجانب عز السادة وسلطانهم .

٩ — سلطانه : قوته — ١٠ — قادر : وصف الملك فى البيت المتقدم . ويمسخ الممالك اعمالا : اى يحولها اعمالا . والأعمال ما يكون من البـلاد تحت حكم المملكة ومضافا اليها — ١١ — جبيته : جمعته .

أين أشرافُكِ الذين طَغَوْا فى الدهــــرِ حتى أذاقهم طغيانه ؟(١)
أين قاضيكِ ؟ ما أناخ عليه ؟ أين ناديكِ ؟ ما دهَى شيخانه ؟(٢)
قد رأينا عليكِ آثارَ حزنٍ ومن الدُّور ما ترى أحزانَه
اقصِرى ، واسألى عن الدهر مصراً هل قضتْ مرّتَيْن منه اللُّبانه ؟(٣)
إنّ من فرّق العبادَ شعوباً جعل القِسط بينها ميزانه(٤)
هبْكِ أفنيتِ بالحدادِ الليالى لن تَردّى على الورى رومانه(٥)

على قبر نابليون

قِف على كنز بباريسَ دفينْ من فريد فى المعانى وثمين
وافتقِد جوهرةً من شرف صَدَفُ الدهر بِتربَيْها ضنين(٦)
قد توارت فى الثرى ، حتى إذا قَدُم العهدُ توارت فى السنين
غرُبَت حتى إذا ما استيأَست دنتِ الدارُ ، ولكن لاتَ حين
لم تُذِبْ نارُ الوغى ياقوتَها وأذابته تباريحُ الحنين(٧)
لا تلوموها ؛ أليست حُرّةً وهوى الأوطانِ للأحرار دين ؟

* * *

---

١ ــ الأشراف : جمع شريف ، وكان فى رومة لعهدها القــــديم طائفة الأشراف تسودت على من عداهــــا ؛ ونشأ بذلك فى الشعب فريقــان منفصلان : هما فريق السادة المسيطرين ، وفريق العامة المسخرين .
٢ ــ أين ناديك : المراد به دار ندوة الرومان ، وكانت هى ما نسميه الآن فى النظم الدستورية مجلس الشيوخ . وما دهى : ما أصاب . وشيخـانه : جمع شيخ ، وهو الرجـل تتألف منه ومن ســـواه جمــاعة المجلس .
٣ ــ اقصرى : أى انتهى عند هذا الحد وامسكى عن الإسترســـال ، واللبانة : الحاجة ــ ٤ ــ القسط : العدل .
٥ ــ هبك : اسم فعل ، اى افرضى أنك أفنيت ... الخ .
٦ ــ الترب : اللدة والنظير ، والتثنية هنا فى معنى الافراد .
٧ ــ تباريح الشوق : توهجه ، على أنه جمع لا مفرد له ، أو هو جمع تبريح .

غيَّبتْ باريسُ ذخرًا ، ومضى ... تُرْبُها القيِّمُ بالحرزِ الحصين(١)

نزلَ الأرضَ ، ولكن بعد ما ... نزلَ التاريخَ قبرَ النابغين

أعظُمُ الليثِ تلقاها الشَّرى ... ورفاتُ النسرِ حازته الوكون(٢)

وحوَى الغِمدُ بقايا صارمٍ ... لم تُقلِّب مثلَه أيدى القُيون(٣)

شيَّد الناسُ عليه ، وبَنَوْا ... حائطَ الشكِّ على أُسِّ اليقين(٤)

لستَ تُحصِى حولَه ألوِيةً ... أُسِرَت أمسِ ، ورايات سُبين(٥)

نامَ عنها وهي في سُدَّتِهِ ... ديْدَبانٌ ساهرُ الجَفْنِ أمين

وكأَىٍّ من عدوٍّ كاشِحٍ ... لك بالأمس هو اليومَ خَدين(٦)

ووليٍّ كان يسقيك الهوى ... عسلاً قد بات يسقيك الوزين(٧)

فإذا استكرمتَ وُدًّا فاتّهم ... جوهرَ الود — وإن صَحّ — ظنين(٨)

* * *

مَرْمَرٌ أُضْجِعَ في مسنونِهِ ... حَجَرُ الأرض وضِرغامُ العَرين(٩)

جلَّلته هيبةُ الثاوى به ... رَوعةَ الحكمةِ في الشعر الرصين(١٠)

---

١ — الحرز : الموضع الحصين — ٢ — الشرى : مأسدة بجانب الفرات يضرب بها المثل . والوكون : جمع وكن ، وهو عش الطائر في جبل أو جدار —٣— الصارم : السيف القاطع . والقيون : جمع قين وهو صانع الحديد . والشرى والوكون والغمد : كلها في هذين البيتين كنايات عن باريس — ٤ — حائط الشك : كناية عن القبر وأس اليقين : هو الموت الذى يتمثل فيما ضم القبر من رفات — ٥ — يشير الى تلك الاعلام التى غنمها نابليون في حروبه ، ثم وضعت على قبره ، رمزا لما نال في هذه الحروب من نصر وتوفيق — ٦ — العدو الكاشح : هو الباطن العداوة . والخدين : هو الصاحب والحبيب — ٧ — الوزين : حب الحنظل المطحون ٨ — الظنين : المتهم .

٩ — المرمر المسنون : المصقول . وحجر الارض : كناية عن محورها والمراد به نابليون . والضرغام : الاسد — ١٠ — الثاوى : المقيم .

هل دَرى المرمرُ ماذا تحته   من قُوَى نفسٍ ، ومن خَلق متين؟

أيها الغالون فى أجداثهم   ابحثوا فى الأرض: هل عيسى دفين؟(١)

يمّحى الميْتُ ، ويبلَى رمسُه   ويَخولُ الربعَ ما غالَ القطين(٢)

حصِّنوا ما شئتمُ موتاكُم !   هل وراء الموتِ من حصنٍ حصين؟

ليس فى قبرٍ – وإن نال السها –   ما يزيد الميتَ وزناً ويزين(٣)

فانزل التاريخَ قبراً ، أو فنمْ   فى الثرى غُفْلاً كبعضِ الهامدين(٤)

واخدَع الأحياء ما شئتَ ، فلن   تجدَ التاريخ فى المنخدعين !

* * *

يا عصاميا حوى المَجد سوَى   فَضلةٍ قد قُسِّمت فى المُعرقين(٥)

أمُّكَ النفسُ قديماً أكرَمتْ   وأبوكَ الفضلُ خيرُ المُنجبين(٦)

نَسبُ البدرِ أو الشمسِ – إذا   جِيء بالآباءِ – مغمورٌ رهين

وأصولُ الخمر ما أزكى على   خُبْثِ ما قد فعلَت بالشاربين

لا يقولَنَّ امرُؤ : أصلِي ، فما   أصلُه مسكٌ وأصل الناس طين

قد تتوجْتَ ، فقالت أمَم :   ولَدُ الثورةِ عقَّ الثائرين

وتزوجتَ ، فقالوا : مَالَه   ولحورٍ من بنات المُلْكِ عِين؟(٧)

قسماً لو قدَروا ما احتشموا   لا يَعِفُّ الناسُ إلا عاجزين

* * *

١ – الغالون : جمع غال ، وهو المسرف – ٢ – يمحى : أى يزول . والرمس : القبر . والقطين : السكان – ٣ – السها : كوكب من بنات نعش الصغرى ، يضرب به المثل فى السمو والارتفاع – ٤ – غفلا : أى مجهولا .
٥ – الفضلة : البقية من كل شيء . والمعرق : العريق فى الاصل .
٦ – اكرمت : أى ولدت كراما .
٧ – يشير الى زواجه من مارى لويز ابنة امبراطور النمسا .

أرأيتَ الخيرَ وافى أُمّةً ... لم ينالوا حظَّهم فى النابغين ؟

يصلُحُ المُلْكُ على طائفةٍ ... هم جمالُ الأرض حيناً بعد حين

مَلَئُوا الدنيا ، على قِلّتهم ... وقديماً مُلئتْ بالمرسَلين

يحسُنُ الدهرُ بهم ما طلعوا ... وبهم يزدادُ حسناً آفلين(١)

قد أقاموا قدوةً صالحةً ... ومضوْا أمثلةً للمحتذِين

إنما الأُسوةُ — والدنيا أُسًى — ... سببُ العُمران ، نظمُ العالَمين(٢)

يا صريعَ الموتِ ندمانَ البِلى ... كلُّ حيٍّ بالذى ذُقتَ رهين(٣)

كِدْتَ من قتْل المنايا خبرةً ... تعلمُ الآجالَ أيّانَ تحين؟(٤)

يا مبيدَ الأُسْد فى آجامها ... هل أبادت خيلُكَ الدودَ المهين؟

يا عزيزَ السجن بالبابا ، إلى ... كم تردّى فى الثرى ذلَّ السجين؟(٥)

ربَّ يومٍ لكَ جَلّى وانثنى ... سائلَ الغُرّةِ ممسوحَ الجبين(٦)

أحرز الغايةَ نصراً غالياً ... لفرنسا ، وحوى الفتحَ الثمين

قيصرا الأنسابِ فيه نازَلا ... قيصرَ النفسِ عصامَ المالكين(٧)

مُجلِسَ التاج على مفرِقه ... بيديه ، لا بأيدى المُجلسين(٨)

---

١ — أفول النجم . غروبه » والمراد به هنا الموت — ٢ — الاسوة : القدوة وجمعها أسى — ٣ — الندمان : النديم على الشراب وندمان البلى : كناية عن الميت .

٤ — يشير الى قول نابليون : « ان الرصاصة التي تخرق هذا الصدر لم تخلق بعد » يقول : انك لكثرة ما اخترت المنايا بقتل اعدائك أصبحت تعرف متى تحين الآجال .

٥ — يشير الى ما فعل نابليون بالبابا — ٦ — جلى : سبق . والغـــرة — في جبين الفرس : بياض . ومسح الجبين : عادة لسواس الخيل يأتونها بعـــد سبق جيادهم في حلبة الرهان . ولا يخفى ما فى البيت كله من مراعاة النظير — ٧ — يريد بقيصرى الانساب : ملكى الروسيـا والنمسا ، وقد ولدا الملك والسلطان . وقيصر النفس نابليون ، وهو الذى ســـود نفسه ولم تسوده الانساب .

٨ — الاشارة الى نابليون ، يشير الى أنه هو الذى توج نفســه بيده يوم قدم اليه التاج ، ولم ير لأحد ممن قدموه له حقا فى هذا العمل .

حولَ (استرلتزَ) كانَ المُلتقى — واصطدامُ النَّسرِ بالمستنسِرين(١)

وُضِع الشطرنجُ ، فاستقبلتَه — ببنانٍ عابث باللاعبين

فإذا المَلْكان : هذا خاضعٌ — لك فى الجمعِ ، وهذا مُستكِين(٢)

صِدْتَ شاهَ الروسِ والنمسا معًا — من رأى شاهَيْن صِيدا فى كمين؟

* * *

يا مُلَقَّى النصرِ فى أحلامِه — أينَ من وادى الكرى (سنتِ هلين)؟(٣)

يا مُنيلَ التاجِ فى المهد ابنَه — ما الذى غرَّك بالغيبِ الجنين ؟(٤)

اتَّئِدْ فى أمّةٍ أرْهقتَها — إنها كالناسِ من ماءٍ وطين

أتعبَ الريحَ مَدَى ما مَلكتْ — من سُهولٍ وأجازت من حُزون(٥)

من أديمٍ يَهْرَأُ الذئبُ ، إلى — فلواتٍ تُنضِجُ الضَّبَّ الكنين(٦)

لك فى كلِّ مُغارٍ غارةٌ — وعليها الدمعُ فيه والأنين(٧)

ومن المكرِ تَغَنِّيك بها — هل يُزَكِّى الذِّبحَ غيرُ الذابحين ؟(٨)

سُخِّرَ الناسُ وإن لم يشعروا — لقوىٍّ ، أو غنىٍّ ، أو مُبين

والجماعاتُ ثنايا المرتقى — فى المعالى ، وجُسورُ العابرين

* * *

يا خَطيبَ الدهرِ ، هل مال البلى — بلسانٍ كانَ ميزانَ الشئون ؟

---

١ — استرلتز : موقعة من المواقع التى انتصر فيها نابليون — ٢ — الملك : بتسكين اللام : هو الملك — ٣ — سانت هيلين : الجزيرة التى نفى اليها نابليون .

٤ — يشير الى قول نابليون يوم بشر بولى عهده أو كما سماه « ملك رومة » : المستقبل لى — ٥ الحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الارض .

٦ — الاديم هنا : سطح الارض . وهرأ اللحم : انضجه . والكنين : المستور فى جحره — ٧ — المغار : الغارة على الاعداء . والغار : ورق الكروم ، وقد كان يتخذ منه اكاليل للفاتح المنصور عند القدماء .

٨ — التزكية : المدح . والذبيح : ما يذبح .

تُرْجِحُ السلمُ إذا حرّكته ... كِفّةً ، أو تُرْجِحُ الحربُ الزَّبون
خُطَبٌ لا صوتَ إلّا دونَها ... فى صداها الخيلُ تجرى والسنين
من قَصيرِ اللفظِ ، فى مكرِ النُّهى ... وطويلِ الرُّمح ، فى كيلِ الوتين
غيرَ وضّاعٍ ، ولا واشٍ ، ولا ... مُنكرِ القولِ ، ولا لغو اليمين
سِرْن أمثالاً ، فلو لم يُحيِهِ ... سيفُهُ أحْيينَه فى الغابرين(١)

* * *

قُمْ إلى الأهرام ،واخشعْ ، واطّرِحْ ... خَيْلةَ الصِّيدِ ، وزهوَ الفاتحين(٢)
وتمهّلْ ، إنما تمشى إلى ... حَرَمِ الدهر ومحرابِ القرون
هو كالصخرةِ عند القبط ، أو ... كالحَطِيم الطُّهْرِ عند المسلمين
وتسنّم مِنْبَرًا من حَجَرٍ ... لم يكنْ قبلَكَ حظَّ الخاطبين
وادْعُ أجيالاً تولّتْ يسمعوا ... لك ، وابعث فى الأوالى حاشرين
وأعِدْها كلمات أربعاً ... قد أحاطت بالقرون الأربعين(٣)
ألهبت خيلاً ، وحضّت فَيْلَقًا ... وأحالت عسلاً صابَ السَنون
قد عَرَضْتَ الدهرَ والجيشَ معاً ... غايةٌ قصَّر عنها الفاتحون
ما علمنا قائدًا فى موْطِنٍ ... صَفحَ الدهرَ ، وصفَّ الدارعين(٤)
فترى الأحياء فى معتَرَكٍ ... وترى الموتى عليهم مُشرِفين
عظةٌ قومى بها أولى وإن ... بعُد المهدُ ، فهل يعتبرون ؟
هذه الأهرامُ تاريخُهمُ ... كيف من تاريخهم لايستحون ؟

* * *

١ — الغابر : الماضي والآتي ، من أسماء الأضداد — ٢ — الصيد : الملوك .
٣ — يشير الى تلك الجملة المشهورة التى قالها وهو على قمة الهرم يشجع جنوده البواسل : « أيها الجنود : ان اربعين قرنا تنظر اليكم من قمة الاهرام » .
٤ — صفح الكتاب : قلب صفحاته .

يا كثيرَ الصَّيدِ للصَّيد العُلا ... قُمْ تأمّلْ : كيف صادتْك المَنون ؟

قمْ ترَ الدنيا كما غادرتَها ... منزِلَ الغدر وماء الخادعين

وترَ الحقَّ عزيزًا فى القنا ... هيِّنًا فى العُزّل المستضعفين(١)

وترَ الأمرَ يدًا فوق يدٍ ... وترَ الناسَ ذئاباً وضِئين(٢)

وترَ العزَّ لسيفٍ نَزِقٍ ... فى بناء المُلْكِ ، أو رأىٍ رزين

سننٌ كانت ، ونَظْمٌ لم يزلْ ... وفسادٌ فوق باعِ المصلحين

تكريم(*)

وطنٌ يرفُّ هوًى إلى شُبّانه ... كالرّوض رِقّته على رَيحانه(٣)

هم نَظْمُ حِليتِه ، وجَوهرُ عِقدِه ... والعِقد قيمتُه يتيمُ جُمانه(٤)

يرجو الربيعَ بهم ويأملُ دولةً ... من حسنِه ، ومن اعتدالِ زمانه(٥)

من غاب منهم لم يغب عن سَمعِه ... وضميرِه ، وفؤادِه ، ولسانه

وإذا أتاه مبشِّر بقدومِهم ... فمن القميص ومن شذى أردانه(٦)

---

١ ــ القنا : جمع قناة ، وهى الرمح ــ ٢ ــ الضئين : الغنم ــ * ــ نظم صاحب الديوان هذه القصيدة الاجتماعية فى احتفال تكريمى اقيم للأساتذة : عبد الملك حمزة ، واسماعيل كامل ، وعوض البحراوى ، فى فندق شبرد ــ ٣ ــ يرف هوى الى شبانه : يرتاح اليهم . والروض : الأرض المخضرة بالنبات ، جمع روضة ــ ٤ ــ نظم حليته : جمعها وضم بعضها الى بعض . واليتيم : الثمين الذى لا نظير له . والجمان : اللؤلؤ . واحدته : جمانة .

٥ ــ يرجو الربيع ... الخ : اى ان هذا الوطن يرجو ان يكونوا له مثل الربيع ، وهو خير فصول السنة ، ويأمل ان تقوم له دولة منهم ، لها من الحسن والاعتدال مايكون منها للربيع وزمنه ــ ٦ ــ واذا أتاه مبشر .. الخ : اى اذا اتى الوطن مبشر بأنهم قادمون عليه من غيبتهم ، كان تأثير هذه البشرى فيه كتأثير قميص يوسف فى ابيه يعقوب . والشذى : قوة ذكاء الرائحة . والأردان : جمع ردن ، وهو أصل الكم .

ولقد يخُصُّ الدافعين بعطفِه ... كالشيخ خَصَّ نجيبَه بحنانه(١)
هيهات ينسَى بذلَهم أرواحَهم ... فى حفظِ راحتِه وجلب أمانه
وقفوا له دون الزمانِ ورَيبِه ... ومشت حداثتُهم على حدَثانه(٢)
فى شدّةٍ نُقِلَتْ أناةُ كهولِه ... فيها ، وحكمتُهم إلى فتيانه(٣)

* * *

قم ياخطيبَ الجمع ، هات من الحلى ... ما كنتَ تنثرُه على آذانه
فلطالما أبدى الحنينَ لقسِّه ... واهتزَّ أشواقاً إلى سَحبانه(٤)
نادِ الشبابَ ، فلم يزلْ لك نادياً ... والمرءُ ذو أثر على أخدانه(٥)
أُمْدُدْ حُداءك فى النّجائب تنصرفْ ... تهوى أعنّتها إلى تحنانه(٦)
ألقِ النصيحةَ غيرَ هائبِ وقعِها ... ليس الشجاعُ الرأيِ مثلَ جبانه
قل للشباب : زمانكم مُتحرِّك ... هل تأخذون القسطَ من دورانه؟(٧)
نمتم على الأحلامِ تلتزمونَها ... كالعالم الخالى على أوثانه(٨)
وتنازعون الحيَّ فضلَ ثيابه ... والميْتَ ما قد رثَّ من أكفانه
ولقد صدقتم هذه الأرضَ الهوَى ... والحرُّ يصدُق فى هَوى أوطانه
أملٌ بذلتم كلَّ غالٍ دونَه ... وفقدتمُ ما عزَّ فى وجدانه(٩)
الليثُ يدفعكم بشدةِ بأسه ... عنه ، ويطعِمُكم بفرط لِبانه(١٠)

---

١ — يخص النافعين بعطفه : يفردهم به . والنجيب : الولد كرم حسبه وحمد رأيه أو قوله او فعله — ٢ — الحداثة : صغر السن . والحدثان (بفتح الدال) : نوائب الدهر .

٣ — الأناة : الحلم والوقار — ٤ — قس بن ساعدة : خطيب عربى من نجران يضرب المثل ببلاغته . وسحبان : خطيب كذلك ، وهو من وائل ، والضمير فيهما للوطن .

٥ — الشباب : جمع شاب . والاخدان : الأصدقاء ، جمع خدن — ٦ — الحداء : الغناء للابل لتنشط فى سيرها . والنجائب : النياق الكريمة . والاعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة . والتحنان : الحنين — ٧ — القسط : النصيب — ٨ — الاحلام : جمع حلم ، وهو ما يراه النائم . والخالى : الماضى . والأوثان : جمع وثن : وهو ما يتخذ للعبادة من حجر ونحوه — ٩ — وجدان الشيء : ادراكه والظفر به — ١٠ — اللبان : اللبن .

ويريد هذا الطيرَ حرًّا مطلقاً — لكن بأعْيُنِه وفى بُستانه

* * *

أوفدتمُ وفدًا ، وأوفد ربُّكم — معه العنايةَ ، فهى من أعوانِه

العصرُ حرٌّ ، والشعوبُ طليقةٌ — ما لم يَحُزْها الجهلُ فى أرسانه(١)

فاضَ الزمانُ من النبوغ ، فهل فتى — غمَرَ الزمانَ بعلمه وبيانه ؟

أين التجارةُ وهى مضمارُ الغنى ؟ — أين الصناعةُ وهى وجهُ عَنانه ؟(٢)

أين الجوادُ على العلوم بماله ؟ — أين المشاركُ مصرَ فى فدانه ؟(٣)

أين الزراعةُ فى جنانٍ تحتكم — كخمائل الفردوس أو كجِنانه ؟(٤)

أئذا أصاب القطنَ كاسدُ سوقِه — قمنا على ساقٍ إلى أثمانه ؟

يامَنْ لشعبٍ رزؤه فى مالِه — أنساه ذكرَ مصابِه بكيانه ؟(٥)

الملكُ كان ، ولم يكن قطنٌ ، فلم — يُغلَب أبوتُنا على عُمرانه(٦)

(الفاطميةُ) شيَّدت من عزِّهِ — وبَنَى (بنو أيوبَ) من سلطانه(٧)

بالقطنِ لم يرفعْ قواعدَ مُلكه — فرعونُ ، والهرمانِ من بنيانه

لكن بأوَّلِ زارعٍ نقضَ الثَّرى — بذكائه ، وأثاره ببنانه(٨)

---

١ ــ الارسان : جمع رسن ، وهو الزمام يكون على انف الدابة .

٢ ــ العنان (بفتح العين) : السحاب .

٣ ــ الجواد : الكريم الكثير الجود ــ ٤ ــ الجنان : جمع جنــة . والخمائل : جمع خميلة ، وهى الشجر الكثير الملتف . والفردوس : الجنة او نعيمها .

٥ ــ يامن لشعب ... الخ : كان قد لحق القطن كساد عظيم ، فارتاع له المصريون جميعا ، وكاد يشغلهم أمره عن الجهــاد فى قضية الاستقلال ، فهو يشير الى ذلك .

٦ ــ أبوتنا : آباؤنا ــ ٧ ــ الفاطمية : اى الخلفاء الفاطميون ، أو الدولة الفاطمية ، وهى احدى الدول التى قامت فى مصر بعد الاسلام ، ومؤسسها المعز لدين الله ، قدم من بلاد المغــرب ففتح مصر ، وكانت دولتهم عزيزة الجانب مرهوبة السلطان . وبنو ايوب ايضا : مؤسسو الدولة الايوبية ، وكان أعظمهم شأنا السلطان يوسف صلاح الدين الأيوبى .

٨ ــ الثرى : التراب ، والمراد به الأرض . ونقضها : اى شقها للزرع . والبنان : أطراف الاصابع .

وبكلِّ مُحسنٍ صنعةٍ فى دهرِه ... تتعجبُ الأجيالُ من إتقانه
وبهمةٍ فى كلِّ نفسٍ حلّقت ... فى الجو ، وارتفعت على كيوانه(١)
ملكٌ من الأخلاقِ كان بناؤه ... من نحت أوّلكم ومن صَوّانه
فأتوا الهياكلَ إن بنيتم ، واقبسوا ... من عرشه فيها ، ومن تيجانه(٢)

اعتداء(*)

نجا وتماثَلَ رُبّانُها ... ودقَّ البشائر رُكبانُها(٣)
وهلّل فى الجو قيدومُها ... وكبّر فى الماء سُكّانها(٤)
تحوّل عنها الأذى ، وانثنى ... عُبابُ الخطوبِ وطوفانها
نجا (نوحُها) من يدِ المعتدى ... وضلَّ المقاتلَ عُلوانها(٥)
يدٌ للعنايةِ ، لا ينقضى ... — وإن نَفِد العمرُ — شُكرانها
وقى الأرضَ شرَّ مقاديرِه ... لطيفُ السماءِ ورحمانها(٦)

---

١ — حلقت : من حلق الطائر ، اذا ارتفع فى طيرانه واستدار كالحلقة . وكيوان : اسم زحل بالفارسية — ٢ — الصوان — بفتح الصاد وتشديد الواو : ضرب من الحجارة شديد .

* — اعتزم سعد زغلول السفر الى انجلترا للمفاوضة مع حكومتها ، وكان على رأس الوزارة المصرية يومئذ ، فترصد له شاب واطلق عليه النار ، ولكن الله أنجى حياته ، ووقى البلاد شر فتنة كادت تعصف بين الأحزاب ، فنظم صاحب الديوان هذه القصيدة تهنئة له ، ونصيحة لأهل النزق والطيش من الشبان ، وحضا على الاصلاح العملى ، وتذكيرا بمنزلة السودان وقناة السويس ، اللذين هما من مصر بمنزلة الروح من الجسد — ٣ — تماثل العليل : اقبل وقارب البرء . والربان : مجرى السفينة

٤ — هلل : قال لا اله الا الله . وقيدومها : صدرها . وسكانها — بضم السين — ذنبها — ٥ — المقاتل : جمع مقتل : وهو العضو الذى اذا أصيب لا يكاد صاحبه يسلم — ٦ — المقادير : جمع مقدور ، وهو الأمر المحتوم . والضمير للطيف السماء وهو الله تعالى .

ونجّى الكنانةَ من فتنةٍ ... تهدّدتِ النيلَ نيرانها(١)

يسيلُ على قرنِ شيطانها ... عقيقُ الدماء وعِقيانها(٢)

فيا (سعدُ)، جُرحُكَ ساءَ الرجالَ ... فلا جُرِحَتْ فيك أوطانها

وقتْكَ العنايةَ بالراحتَينِ ... وطَوّقَ جيدَكَ إحسانها(٣)

منايا أبى اللهُ إذ ساورتكَ ... فلم يلقَ نابيْه ثُعبانها(٤)

حَوَتْ دَمكَ الأرضُ فى أنفِها ... زكيًّا، كأنك (عثمانها)(٥)

ورقَّت لآثاره فى القميص ... كأنّ قميصَكَ قرآنها

وريعَتْ كما ريعت الأرضُ فيك ... نواحي السماء وأعنانها(٦)

ولو زُلتَ غُيّبَ (عَمْرُو) الأمورِ ... وأخلى المنابرَ (سَحبانها)(٧)

* * *

رماكَ على غِرَّةٍ يافعٌ ... مُثارُ السريرةِ غضبانها(٨)

وقِدْماً أحاطت بأهلِ الأمورِ ... ميولُ النفوسِ وأضغانها(٩)

تلمَّس نفسَكَ بين الصفوفِ ... ومن دونِ نفسِكَ إيمانها(١٠)

يريدُ الأمورَ كما شاءها ... وتأبى الأمورُ وسلطانها

---

١ ــ الكنانة : مصر ــ ٢ ــ العقيان : الذهب ، أى الدماء التى تشبه فى حمرتها العقيق والعقيان ــ ٣ ــ الراحتان : تثنية راحة ، وهى الكف . والجيد : العنق ــ ٤ ــ المنايا : جمع منية ، وهى الموت . وساورتك وثبت عليك

٥ ــ عثمانها : يريد الخليفة عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين ، قتل وهو جالس يتلو القرآن وفى حجره المصحف ــ ٦ ــ ريعت : فزعت ، بتشديد الزاى . وأعنان السماء : نواحيها ــ ٧ ــ عمرو الأمور : أى مصرف الأمور بحذقه وفطنته ، وهو عمرو بن العاص ، وسحبان : خطيب عربى مشهور من بنى وائل ــ ٨ ــ اليافع : من راهق العشرين ، أو من ترعرع وناهز البلوغ . والسريرة : ما يسره الإنسان من أمره ــ ٩ ــ الأضغان : الأحقاد ــ ١٠ ــ تلمس نفسك : تطلبها مرة بعد أخرى .

وعند الذى قهر القَيْصَرَيْنِ مصيرُ الأُمور وأحيانها(١)
ولو لم يسابقِ دروسَ الحياةِ لبصَّره الرُّشدَ لقمانها(٢)
فإن الليالى عليها يَحُول شعورُ النفوس ووجدانها(٣)
ويختلف الدهرُ حتى يَبينَ رُعاةُ العهودِ وخُوّانها(٤)

* * *

أرى مصرَ يلهو بحدِّ السلاح ويلعبُ بالنار ولدانها(٥)
وراح بغير مجال العقول يُجيل السياسةَ غلمانها
وما القتلُ تحيا عليه البلاد ولا همةُ القولِ عمرانها
ولا الحكمُ أن تنقضى دولةٌ وتُقبِلَ أخرى وأعوانها
ولكن على الجيش تقوى البلادُ وبالعلم تشتدُّ أركانها
فأين النبوغ ؟ وأين العلوم ؟ وأين الفنون وإتقانها ؟
وأين من الخُلُق حظُّ البلادِ إذا قتل الشيبَ شبانها ؟(٦)
وأين من الرِّبح قسطُ الرجال إذا كان فى الخُلُقِ خسرانها ؟
وأين المعلِّمُ ؟ ما خطبُه ؟ وأين المدارسُ ؟ ما شأنُها ؟
لقد عبثت بالنِّياق الحداةُ ونام عن الإبْل رُعيانها(٧)

١ — مصير الأمور : مرجعها . واحيانها : جمع حين ، وقالوا : انه وقت مبهم يصلح لجميع الازمان طالت او قصرت . والقيصران : ملك الروم وملك الفرس حين الفتح الاسلامى والله تعالى هو الذى قهرهما .

٢ — لقمانها ، أى من هو كلقمان ، وهو يضرب به المثل .

٣ — عليها يحول : اى يتحول ويتبدل . والمراد أن ما يكون للنفوس من ميول ووجدان يتغير بمضى الزمن — ٤ — رعاة العهود : الحافظون لها ، جمع راع . وخوانها : جمع خائن — ٥ — الولدان : الصبيان ، جمع وليد .

٦ — الخلق : المروءة والدين والسجية ، ويغلب الآن على السجية الفاضلة والمعنى انه اذا كان شبان البلاد يقتلون شيبها فلا حظ لها من الخلق النافع .

٧ — الحداة : جمع حاد ، وهو من يغنى للابل لتنشط فى سيرها .

إلى الخُلْقِ أنظُرُ فيا أقول   وتأخذُ نَفسِيَ أشجانُها

* * *

ويا (سعدُ) ، أنت أمينُ البلادِ   قد امتلأت منك أيْمَانُها(١)

ولن ترتضي أن تُقَدَّ القناة   ويُبْتَرَ من مصر سودانُها(٢)

وحُجَّتُنا فيهما كالصباح   وليس بمُعْييك تبيانُها(٣)

فمصرُ الرياضُ ، وسودانُها   عيون الرياضِ وخلجانُها(٤)

وما هو ماءٌ ، ولكنّه   وريدُ الحياةِ وشِريانُها(٥)

تُتَمِّمُ مصرَ ينابيعُه   كما تَمَّمَ العينَ إنسانُها(٦)

وأهلوه منذ جرى عذْبُه   عشيرة مصرَ وجيرانُها

وأما الشريكُ فعِلّاته   هي الشركاتُ وأقطانُها

وحربٌ مَضَتْ نحن أوزارُها   وخيلٌ خَلَتْ نحن فرسانُها(٧)

وكم مَنْ أتاك بمجموعة   من الباطل ، الحقُّ عنوانُها

فأين من (المَنش) بحرُ الغزالِ   وفيض (نيانزا) وتهتانُها ؟(٨)

---

١ — ايمانها : جمع يمين ، وهي احدى يدي الانسان ، والمراد انهما تأكدت فيما بلغ اليه حسن ظنها انك امين عليها ، كما يتأكد الانسان مما يكون في يده — ٢ — القد والبتر هنا : بمعنى الضياع — ٣ — وليس بمعييك : اي بمعجزك

٤ — الرياض : اي كالرياض في نضرتها وجمالها . والسودان : كالعيون والخلجان التي تستقي منها ماءها ، فكما تجف الرياض وتقفر اذا انقطعت عنها العيون والخلجان ، كذلك تقفر مصر وتبور اذا فصل عنها السودان — ٥ — الوريد : عرق في العنق من الاوردة التي ترتبط بها الحياة . والشريان : العرق الذي يحمل الدم من القلب .

٦ — الينابيع : عيون الماء ، واحدها ينبوع . وانسان العين : الدائرة التي ترى في سوادها — ٧ — اوزارها : اسلحتها ، جمع وزر ، وهو السلاح — ٨ — المنش : بحر في الشمال الغربي لاوربة ، بين انجلترا شمالا وفرنسة جنوبا . وبحر الغزال : احد فروع النيل الابيض في السودان . ونيانزا : احدى البحيرات الثلاث التي يخرج منها النيل .

وأين التماسيحُ من لُجّةٍ ... يموت من البردِ حيتانها ! (١)

ولكنْ رءوسٌ لأموالهم ... يحرّك قرنَيْه شيطانها

ودعوى القويِّ كدعوى السباع ... من النابِ والظفرِ برهانها

توت عنخ آمون

قفِي – يا أختَ (يوشَعَ) – خبّرينا ... أحاديثَ القرونِ الغابرينا (٢)

وقُصِّي من مصارعِهم علينا ... ومن دُولاتهم ما تعلمينا (٣)

فمثلُك من روى الأخبارَ طرًّا ... ومن نسب القبائلَ أجمعينا (٤)

نرى للكِ في السماءِ خضيبَ قرْنٍ ... ولا نُحصي على الأرض الطعينا (٥)

مشيتِ على الشبابِ شواظَ نارٍ ... ودرتِ على المشيبِ رحًى طحونا (٦)

---

١ – وأين التماسيح ... الخ : أى أن مسافة التقاطع وعدم الاتصال بعيدة جدا بين السودان وبلاد الانكليز ، بقدر التناقض بين طبيعتهما ، فهذا تعيش التماسيح فى مائه ، وتلك تموت الحيتان فى مائها – ٢ – الخطاب للشمس ، وقد أشار الى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ، فقد روى أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ، ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى ، فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم . وقد لمح ابن مطروح الى هذه القصة بقوله :

وما أنس لا أنس المليحة اذ بدت ... دجى ، فأضاء الأفق من كل موضع

فحدثت نفسى أنها الشمس أشرقت ... وأنى قد أوتيت آية يوشع

القرون الغابرون : الاجيال الماضية .

٣ – قصى : حدثى ، ومنه : « نحن نقص عليك أحسن القصص » . ومصارعهم ، مهالكهم . ودولاتها : جمع دولة ، بضم فتفتح ، وهى الداهية ، يقال : جاء الدهر بدولاته ، أى بدواهيه – ٤ – طرا : جميعا من دون أن تترك منها شيئا . ونسب القبائل : ذكر أنسابها – ٥ – الخضيب : الملون بالخضاب . والقرن : حاجب الشمس . والطعين : المطعون – ٦ – (بالضم والكسر) : دخان النار .

تُعينينَ الموالد والمنايا وتبنين الحياة وتهدمينا(١)
فيالكِ هِرّةً أكلت بنيها وما وَلدوا وتنتظر الجنينا(٢)

* * *

أأمَّ المالكينَ بنى (أمونٍ) ليهْنِكِ أنهم نزعوا (أمونا)(٣)
ولدتِ له (المأمين) اللواهي ولم تلدِى له قطُّ (الأمِينا)(٤)
فكانوا الشُّهبَ حين الأرض ليلٌ وحين الناسُ جِدُّ مضَلَّلينا
مشتْ بمنارهم فى الأرض (روما) ومن أنوارهم قَبستْ (أثينا)(٥)
ملوكُ الدهر بالوادى أقاموا على (وادى الملوك) مُحجَّبينا(٦)
فربَّ مصفَّدٍ منهم ، وكانت تُساقُ له الملوكُ مصفَّدينا(٧)
تقيَّد فى التراب بغير قَيْد وحلّ على جوانبه رهينا
تعالى اللهُ ، كان السحرُ فيهم أليسوا للحجارة مُنْطِقينا ؟(٨)

---

١ ــ المنايا : جمع منية ، وهى الموت ــ ٢ ــ الهرة : القطة ، ويقال فى المثل : « اعق من الهرة » لانها تاكل اولادها . والجنين : الولد ما دام فى الرحم ــ ٣ ــ نزع أباه : اشبهه . اشارة الى أم (امون) . واختلف المؤرخون : هل كانت امه زوجة شرعية لابيه او احدى سرارية ؟ وكان من عادتهم ان لا يتولى الملك الا من كانت امه زوجة شرعية لأبيه ، الا ان (توت عنخ آمون) تولى الملك بواسطة زواجه بابنة الملك خون آتون .

٤ ــ اشارة للخليفتين : الامين والمامون ، وقد اختار المامون ، لانه كان افضل بنى العباس حزما ، وحلما ، وعلما ، ورايا ، ودهاء ، وهيبة ، وشجاعة ، اى ولدت له ابناء صاروا ملوكا ، وكانت صفاتهم فى الملك كالصفات التى عرفناها فى المأمون .

٥ ــ روما : عاصمة ايطالية . وقبست : اخذت . واثينا : عاصمة اليونان . وفيه اشارة الى ما اخذته الامم الغابرة عن المصريين من العلوم والحضارة .

٦ ــ وادى الملوك : هو الى الشاطىء الغربى للنيل بالاقصر على مسير نصف ساعة تقريبا وهو هضاب صلبة بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الاسرة الثامنة عشرة وما بعدها . وقد كانوا يبالغون فى العناية بها واتقانها الى حد يفوق الوصف ــ ٧ ــ مصفدين : مقيدين ، يصف فراعنة مصر فى مقرهم الاخير . وهو مقام يتساوى فيه الملوك والسوقة ــ ٨ ــ منطقين : اى اليسوا هم الذين انطقوا الحجارة ؟ ويريد انهم انشئوا من الابنية =

غدَوْا يبنون ما يبقى ، وراحوا وراء الآبداتِ مُخَلَّدينا
إذا عَمِلوا لمأثرةٍ أعدُّوا لها الإتقان والخلقَ المتينا
وليس الخلدُ مرتبةً تلقّى وتُؤخذ من شفاه الجاهلينا
ولكن مُنتهى هِمَمٍ كِبارٍ إذا ذهبتْ مصادرُها بقينا
وسرُّ العبقرية حين يسرى فينتظم الصنائعَ والفنونا
وآثارُ الرِّجال إذا تناهتْ إلى التاريخ خيرُ الحاكمينا
وأخذُك من فم الدنيا ثناءً وتركُك في مسامعها طنينا(١)
فغالِ في بنيك الصيدِ غالى فقد حُبّ العلوُّ إلى بنينا(٢)
شبابٌ قُنّعٌ لا خيرَ فيهم وبُورِك في الشبابِ الطامحينا(٣)
فناجيهم بعرشٍ كان صِنْواً لعرشك في شبيبته سَنينا(٤)
وكان العزُّ حليتَه ، وكانتْ قوائمُهُ الكتائبَ والسفينا(٥)
وتاجٍ من فرائده (ابنُ سيتي) ومن خرزاته (خوفو) و (مينا)(٦)

= ما يدل على عظمة شأنهم دلالة النطق على معنـاه ، وأشهر الابنية الهرمان القائمان بجانب الجيزة ، وهما من أعجب ما بنى البناة ، وفيهمـــا دليل على ان المصريين القدماء كانوا اعلم الامم قاطبة بفن العمارة وهندستها ، وقد توالى الدهر عليهما فلم ينل منهما مر الحوادث وعصف الرياح وهطـل السحاب ، قال أحد الحكماء : « كل شيء يخشى عليه الدهر الا الاهرام ، فان الدهر يخشى عليه منها » .

١ — الطنين : صوت الذباب والطست والناقوس ونحو ذلك .

٢ — الصيد : جمع أصيد ، وهو الرجل يرفع رأسه كبرا وعجبا ولا يلتفت من زهوه يمينا وشمالا — ٣ — شباب قنع : أى قانعون لا يطلبون شيئا وراء ما بلغوا . والطامحون : المتغالون فى طلب المعـــالى — ٤ — الصنو : الاخ الشقيق والابن . والسنين — بفتح السين — من يكـــون فى سنك .

٥ — الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجيش .

٦ — ابن سيتى ، هو رمسيس الثانى المعروف بسوزستريس ، ويلقب بالاكبر لانه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة ، وطالت مدة حكمه ، وكثرت فيها الآثار المصرية ، وتزايدت العمارات ، حتى لا يكاد يوجد بوادى النيل أثر من الآثار القديمة والمعـــآثر المشهورة الا وعليه اسـمه ورسمه . =

عَلا خَدًّا به صَعَرٌ ، وأنفًا ترفَّع فى الحوادث أن يلينا(١)

ولستُ بقائلٍ : ظلموا ، وجاروا على الأُجراء ، أو جلدوا القطينا(٢)

فإنا لم نُوَقَّ النقصَ حتى نطالبَ بالكمال الأولينا(٣)

وما (البستيلُ) إلا بنت أمسٍ وكم أكلَ الحديدُ بها صحينا(٤)

ورُبَّة بيعةٍ عَزَّتْ وطالتْ بناها الناسُ أمس مُسخرينا(٥)

مُشَيَّدةٍ لشافى العُمْىِ (عيسى) وكم سَمَلَ القسوسُ بها عيونا(٦)

* * *

= وولى الملك صغيرا فى حياة والده ، وقد تربى على الشجاعة والحماسة ، وأراد أبوه أن يعلمه اقتحام الأهوال ، فأرسله فى جيش الى بلاد الشام ، وكان عمره عشر سنين ، فغزاها حتى أدخلها تحت الطاعة ، وله حروب عظيمة ، ثم حارب فى جملة فتوح وبخاصة فى آسيا الشمالية ، وكان فى ايامه بنتاءور الشاعر المصرى ، وله فيه عدة مدائح يصف بها بشجاعته واقدامه . « خوفو » و « مينا » : من الملوك الفراعنة الذين بلغت مصر فى عهدهم شوطا بعيدا فى المدنية ، ومن آثارهما الخالدة الاهرامات — ١ — علا خدا : اى ذلك التاج : والصعر : ان يميل الرجل بخده عن النظر الى الناس تهاونا وكبرا — ٢ — القطين : الخدم ، أى انه لايجارى بعض المؤرخين الذين يزعمون أن الملوك الفراعنة كانوا يظلمون الاجراء ، ويجلدون الخدم ليسخروهم فى انشاء تلك الأبنية — ٣ — لم نوق النقص : أى لم نحفظ منه — ٤ — البستيل : سجن يرجع تاريخ انشائه الى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ وفى هذا السجن ذاق رجالات العلم والفضل فى فرنسا اشد انواع العذاب ايام الاستبداد ، فكم هلك فيه فيلسوف عظيم ، وفنى بين جدرانه المظلمة مصلح كبير ، وكم من سياسى جنى عليه عمله لخير بلاده فدخله حيا وفارقه ميتا . وقد ذكر الفرنسيون « البستيل » واسم « البستيل » ، وعدوه مستقر الظلم ، ومعهد العسف والقسوة ، فلم يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان أول غرضهم « البستيل » ، فهدموه ، واقتلعوا أصوله ، واخذت فتات احجاره فجعلها النسوة عقودا يتحلين بها فى أمكنة اللآلىء ، اشارة لغلبة الامة على الظلم وانتقامها من الظالمين ، وكان أخذه فى ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩ ، وقد أقيم اليوم مكان هذا البناء تمثال الحرية ، ولايزال الفرنسيون يحتفلون بذكره الى الآن — ٥ — البيعة « بكسر الباء » : معبد النصارى . ومسخرين : أى كلفوا عملهم بلا أجرة — ٦ — سمل العين : فقأها بحديد محماة ونحوها .

(أخا اللوردات) ، مثلُك من تحلّى … بحليةِ آله لمُتطوِّلينا(١)
لك الأَصل الذى نَبَتَتْ عليه … فروعُ المجد من (كرنارفونا)(٢)
ومالُكَ لا يُعدّ ، وكلُّ مالٍ … سَيَفْنَى ، أو سَيُفْنِي المالكينا(٣)
وجدتَ مذاق كلِّ تليدِ مجد … فكيف وجدْت مجدَ الكاسبينا؟(٤)
نشرتَ صفائحًا ، فجزتكَ مصرٌ … صحائفَ سؤددٍ لا ينطوينا
فإن تلكُ قد فتحتَ لها كنوزًا … فقد فتحتْ لك الفتحَ المبينا(٥)
فلو (قارون) فوق الأَرض إلا … تمنى لو رضيتَ به قرينا(٦)
سبيلُ الخلد كان عليك سهلاً … وعادتُه يكدُّ السالكينا
رأيتَ تنكُّرًا ، وسمعت عتباً … فعذرًا للغضاب المحنقينا(٧)
أبُوَّتنا وأعْظُمُهم تُراثٌ … نحاذرُ أن يئول لآخرينا(٨)

---

١ — المخاطب اللـــورد كارنارفون الذي اهتــدى الى الكنـــوز ، وكانت وفاته بالقاهرة فى سحر ليلة الخميس ٥ ابريل ســـنة ١٩٢٣ بفنــــدق الكونتنتال ، وكانت قد عضته بعوضة ، فطبب خمســة عشر يوما حتى اخذت تزول اعراض التسمم الذى أصابه من هذه العضة ، ولكنه لم يقو على احتمال ذات الرئة التى أصيب بها ، فأودت به . المتطولين : اصحاب الغنى والسعة — ٢ — لك الاصل .. الخ : وذلك أنه من بيوتات انجلترا القديمة فى المجد — ٣ — ومالك لا يعد .. الخ : فهو يملك فى بلادالانجليز الف فدان

٤ — وجدت مــذاق ... الخ : اشارة الى استمراره فى اعمــال الحفـــر والتنقيب فى وادى الملوك ، فقد بداها منذ ست عشرة سنة ، ولم يزل حتى اهتدى الى أعظم اثر بين الآثار التى عثر عليها العلماء منذ قرن من الزمن ، وقد ضمن له هذا العمل الجليل خلود اسمه ، ورفعة ذكره ، وكان اهتداؤه الى هذا الكنز الثمين فى أواخر نوفمبر ســـــنة ١٩٢٢ ، وفى مدافن ملــوك طيبة ؛ تحت مدفن رعمسيس السادس . والصفائح : حجارة القبور .

٥ — اشـــارة الى ما حــواه هذا الكنز العظيم من التحف الثمينــة النادرة المثال ، واللآلىء الغالية القليلة الوجود — ٦ — قارون : رجل كان صـــاحب كنوز عظيمة يضرب به المثل فى الغنى — ٧ — التنكر : تغير الرجل عن حال تسره الى حال يكرهها ، وفى الاساس تنكر لى فــلان : لقينى لقاء بشــعا . والمحنقون : الذين ملأهم الغيظ — ٨ — أبوتنـــا : اى آباؤنا . والتراث : الميراث ، وفيه اشارة الى ما قيل يومئذ ونشرته الصحف ، من ان اللورد كرنارفون ، اخذ خفية اغلى ما فى الكنــز من تحـــف ، بينها تاج الملكة وعقدها .

ونأبى أن يَحُلَّ عليه ضَيْمٌ ويذهبَ نَهبةً للناهبينا(١)
سَكَتَّ ، فحام حولَكَ كلُّ ظنٍّ ولو صَرَّحت لم تُثر الظنونا(٢)
يقول الناسُ فى سرٍ وجهرٍ ومالكَ حيلةٌ فى المرجفينا :(٣)
أمَن سرقَ الخليفةَ وهو حيٌّ يَعِفُّ عن الملوك مكفَّنينا ؟ (٤)

* * *

خليليَّ اهبطا الوادى ، وميلا إلى غُرَف الشموس الغاربينا(٥)
وسيرا فى محاجرهم رويدًا وطُوفا بالمضاجع خاشعينا(٦)
وخُصَّا بالعمار وبالتحايا رفاتَ المجدِ من (توتنخمتا)(٧)
وقبرًا كاد من حسنٍ وطيبٍ يضيءُ حجارةً ، ويضوعُ طينا(٨)
يُخال لروعةِ التاريخ قُدَّتْ جنادلُه العلا من (طورسينا)(٩)

---

١ ـ الضيم : الظلم ؛ اى نأبى ان يظلم ذلك التراث بذهابه نهبا كما روت الأنباءالبرقية فى ذلك الحين ـ ٢ ـ سكت فحام حولك .. الخ ؛ اى ان الذى قيل وشاع لاقى منك سكوتا عن نفيه . فلحقتك الشبهات بسبب سكوتك ـ ٣ ـ المرجفون : من يخوضون فى الاخبار السيئة ـ ٤ ـ أمن سرق الخليفة ... الخ ؛ هذا ما يقوله الناس ، وذلك ان انجلترا هى التى نقلت الخليفة وحيد الدين من قصره فى الآستانة ، وألجاته الى المدرعة البريطانية « مالايا » هربا من الكماليين . فذهبت به الى مالطة فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢١ ، فاذا كانت هذه الدولة تفعل ذلك بالملوك الأحياء ، فلا يبعد على رجالها ان يفعلوه بالملوك الاموات ، وبما فى قبورهم من جواهر ودرر ، وقد ذكرت الأنباء فى اثبات ذلك ، أن اللورد كرنارفون أهدى الى ابنة مالك الانكليز عقدا مصريا قديما له قيمة عظيمة ، وانها لما علمت بوفاته وان بعوضة من القبر عضته ، نزعت من عنقها ذلك العقد خوفا من انتقام توت عنخ آمون الذى نسبت اليه يومئذ وفاة اللورد ـ ٥ ـ يريد بالشموس الغاربين : ملوك الفراعنة . وغرفهم : مدافنهم ـ ٦ ـ المحاجر : ما يحميه الملوك حول منازلهم ، ومنها محاجر أقيال اليمن ، وهى احماؤهم ؛ اى ما كان يحميه كل واحد منهم ـ٧ـ العمار : التحية ، وهو ايضا الريحان يزين به مجلس الشراب ، واستعماله هنا على الاطلاق ، اذ لا يليق أن يكون مقيدا بتزيين هذا المجلس . التحايا : جمع تحية . والرفات : كل ما تكسر وبلى .
٨ ـ يضوع : يتحرك وينتشر ، اى كادت حجارته تضىء حسنا ، وكادت تنتشر رائحته الطيبة الزكية ـ٩ـ الروعة : المسحة من الجمال . والجنادل : جمع جندل ، وهو الحجارة . وطور سينا : هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى .

وكان نزيلُهُ بالمَلْكِ يُدعَى فصار يُلقَّبُ الكنزَ الثمينا (١)

وقُوما هاتفَيْن به ، ولكن كما كان الأوائلُ يهتفونا(٢)

فثَمَّ جَلالةٌ قَرَّتْ ورامت على مرِّ القرون الأربعينا(٣)

جلالُ الملك أيامٌ وتمضي ولا يمضي جلالُ الخالدينا(٤)

وقولا للنزيل قدوم سعد وحيَّا الله مَقْدَمَكَ اليمينا(٥)

سلامٌ يومَ وارتك المنايا بواديها ، ويومَ ظهرتَ فينا(٦)

خرجتَ من القبور خروجَ عيسى عليكَ جلالةٌ في العالمينا(٧)

يجوب البرقُ باسمك كلَّ سهلٍ ويخترقُ البُخارُ به الحزُونا(٨)

وأُقسِمُ كنتَ في (لوزانَ) شُغلاً وكنتَ عجيبةَ المتفاوضينا(٩)

أتعلمُ أنهم صَلِفُوا . وتاهوا وصَدُّوا البابَ عنا مُوصِدينا ؟ (١٠)

ولو كنا نجر هناك سيفًا وجدنا عندهم عطفاً ولينا(١١)

---

١ ـ النزيل : الضيف ـ ٢ ـ اتفـين بـه : اي بالملك الذي هـو نزيل القبر ، ولكن هتافكما كما كانوا يهتفون له ايام حياته ـ ٣ ـ فثم : فهناك . والجلالة : عظم القدر . ورامت : اقامت . والقرون الاربعون : هي التي مضت منذ عهد توت عنخ آمون ـ ٤ ـ اي ان الجلال الصحيح ما خلد بـه صاحبه في التاريخ ، اما جلال الملك فلا بقاء له ـ٥ـ اليمين : المبارك ، وهو من اليمن ـ٦ـ وارتك : اخفتك ـ٧ـ خروج عيسى : اى كما خرج عيسى من القبر على راى النصارى ، وصـاحب الديوان لا يعتقد ذلك ، وانما ينظـر فيه الى رأيهم ـ ٨ ـ يجوب : يقطع . والبرق : اسم منقول من معناه الاصلي للتلغراف . والبخار : اسم منقول كذلك للوابور ، او هو من باب تسمية الشيء باسم المؤثر فيه . والحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الارض

٩ ـ لوزان : احدى مدن سويسرة ، وقد عرفت بمؤتمر الدول الذي اجتمع بها للنظر فيما بينهن من الخلاف ، ولتقـرير الصلح بين التـرك واليونان ، وقد وافق اجتماع المؤتمر ظهور قبر الملك توت عنخ آمون ومعرفة ما فيه ـ ١٠ ـ صلفوا : تمدحوا بما ليس فيهم ، وادعوا فوق ذلك اعجابا وتكبرا . وصدوا الباب عنا : منعوه عنا ، اى لم يفتحوه لنا . وموصدين : من اوصد الباب ، اطبقه واغلقه ـ١١ـ اى لو كانت لنا قـوة من السلاح لعاملونا باللين والمودة ، لانهم يداورون الاقوياء ويمالئونهم .

سيقضى (كرزنٌ) بالأمر عنّا   وحاجاتُ (الكنانةِ) ما قُضينا(١)

* * *

تعالَ اليومَ خبِّرنا : أكانت   نواكَ بِسناتِ نومٍ ، أم سنينا ؟(٢)

وماذا جِئتَ من ظلماتِ ليلٍ   بَعيدِ الصبحِ ، يُنضِي المُدلجينا ؟(٣)

وهل تبقَى النفوسُ إذا أقامت   هياكلُها ، وتبلَى إن بلينا ؟

وما تلكَ القبابُ ؟ وأين كانت ؟   وكيف أضلَّ حافرُها القرونا ؟(٤)

مُمرَّدةَ البناء ، تُخالُ برجاً   ببطنِ الأرضِ محطوطاً دفينا(٥)

تغطَّى بالأثاث فكان قصراً   وبالصوَرِ العِتاقِ فكان زونا(٦)

حملتَ العرشَ فيه ، فهل تُرجِّي   وتأمُلُ دولةً في الغابرينا ؟(٧)

وهل تَلقَى المهيمنَ فوق عرشٍ   ويلقاه الملا مُترجلينا ؟(٨)

وما بالُ الطعام يكاد يَقدى   كما تركته أيدى الصانعينا ؟(٩)

---

١ ــ كرزن : وزير انكليزى مشهور ، كان هو منـــدوب انكلترا فى مؤتمر لوزان . والكنانة : هى مصر ــ٢ــ تعال اليوم .. الخ : الخطاب لتوت عنخ آمون ، ونواك : بعدك . والسنات : جمع سنه ، بكسر السين ، وهى النعاس ــ٣ــ ينضى : يهزل . والمدلجون الذين يسـيرون من أول الليل ــ٤ــ وما تلك القباب .. الخ : أى وخبرنا ما تلك القباب جمع قبة : وهى ما ظهر من ابنية المقبرة الفخمة . والقرون : جمع قرن ، وهو مائة عام ــ٥ــ ممردة البناء : مملسته ــ٦ــ تغطى : أى هذا البناء تغطى .. الخ والأثاث : متاع البيت ، والصور : جمع صورة ، يريد بها الرسوم التى تحاكى صور الأشياء . والعتاق : جمع عتيق ، وهو القديم ، أو النجيب من الخيل ، والجارح من الطير . والزون : الموضع تجمع فيه الأصنام .

٧ ــ فى الغابرين : فى الباقين ، وفى القرآن الكريم : « فانجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين » ، ويكون أيضا بمعنى الماضين ، فهو من الكلمات التى تستعمل للاضداد ــ٨ــ المهين : من اسماء الله تعالى . والمترجلون : الذين ينزلون عن ركائبهم ويمشون على أرجلهم .

٩ ــ ما بال الطعام : ما حاله . ويقدى : من قدى الطعام ، أى طاب طعمه ورائحته .

ولم تكُ أمس تصبرُ عنه يوماً   فكيف صبرتَ أحقاباً مئينا؟(١)

لقد كان الذى حَذِرَ الأوالى   وخاف بنو زمانك أن يكونا(٢)

يحبّ المرءُ نبشَ أخيه حيًّا   وينبشه ولو فى الهالكينا!

سُلِلتَ من الحفائر قبل يومٍ   يَسُلُّ من التراب الهامدينا(٣)

فإن تكُ عند بعثٍ فيه شك   فإنّ وراءه البعثَ اليقينا(٤)

ولو لم يعصموكَ لكان خيرًا   كفى بالموت معتصَمًا حصينا(٥)

يُضَرُّ أخو الحياةِ ، وليس شىءٌ   يضائره إذا صحبَ المنونا(٦)

* * *

زمانُ الفرد – يا (فرعونُ) – ولَّى   ودالتْ دولة المتجبِّرينا(٧)

وأصبحت الرعاةُ بكل أرضٍ   على حكمِ الرعيةِ نازلينا

---

١ – الأحقاب : جمع حقب ، بضم الحاء ، وهو الدهر . والمئين : جمع مائة –٢– لقد كان : أى لقد حصل الذى حذر الأوالى . والاوالى : جمع اول ، والمعنى : أن ما كنتم تخافونه ، وتحذرون وقوعه من نبش قبوركم ، قد حصل ، ولم تمنعه مبالغتكم في الوقاية منه –٣– سللت : أخرجت منها برفق . الحفائر : جمع حفيرة ، واليوم الذى يسل الهامدين من التراب : هو يوم القيامة –٤– فان تك عند بعث .. الخ : أى فان تكن الان تشك فى هذا البعث الذى خرجت به من قبرك . فلا محالة سيأتى البعث الذى لاتشك فيه ، وهو بعث يوم القيامة .

٥ – يعصموك : يمنعوك من المكروه ، أى لو انهم تركوك فلم يتخذوا لك هذه العصمة لماأصابك مكروه . لأن الموت يمنع الاذى ان يصل اليك ، وجلاء هذا المعنى فى البيت الثانى –٦– يضر : بضم الياء وفتح الضاد .

٧ – زمان الفرد : أى زمان حكم الفرد . ودالت : انقلبت من حال الى حال . والمتجبرون : المتكبرون .

تحية المؤتمر الجغرافى

هل تهبط النيِّراتُ الأرضَ أحيانا ؟ وهل تَصورُ أفرادًا وأعيانا ؟(١)

نزلنَ أولَ دارٍ فى الثرى رَفعَت للشمس مُلكًا ، وللأقمارِ سلطانا(٢)

تفننت قبل خلق الفن ، وانفجرت عِلماً على العُصُرِ الخالى وعِرفانا(٣)

أبوَّةٌ لو سكتنا عن مفاخرهم تواضعًا نطقت صخرًا وصَوّانا(٤)

هم قلَّبوا كرَةَ الدنيا فما وجدَتْ أقوى على صَولجانِ الملك أيْمانا(٥)

وصيَّروا الدهرَ هزءًا يسخرون به حتى ينال لهم بالهدمِ بنيانا(٦)

لم يَسلكِ الأرضَ قومٌ قبلهم سُبُلا ولا الزواخرَ أثباجاً وشُطَّانا(٧)

تقدم الناسَ منهم محسنون مضَوا للموت تحت لواء العِلم شجعانا

---

١ — النيرات : الكواكب ، واحدها نير ، بالياء المشددة • وتصور : تتصور • والاعيان : جمع عين ، وهو شريف القوم • يقول : ان هؤلاء العلماء الذين أقبلوا من البلاد الأخرى ليحضروا المؤتمر فى مصر ، هم الكواكب المنيرة ، ولكنهم مع ذلك أفراد من الناس ، وأعيان شرفاء فى أقوامهم ، فهل الكواكب تهبط الارض وتكون كذلك ؟

٢ — نزلن : أى هذه النيرات • وأول دار .. الخ : هى مصر ، وذلك كناية عن أنها سبقت العالم الى العلم والمدنية، حتى رسخت قدمها فيهما .

٣ — تفننت : تنوعت فنونها ، أو اخذت فى فنون كثيرة . والعصر ، بضمنين : الدهر • والخالى : الماضى —٤— أبوة : جمع أب ، أى لنا أبوة أو أولئك أبوة • والمفاخر : جمع مفخرة ، بفتح الخاء وضمها ، وهى المأثرة ، أو مايفتخر به . والصوان : نوع من الحجارة —٥— الصولجان : عصا منعطفة الرأس • والايمان : جمع يمين ، وهى اليد ، أى ما وجد ايمانا أقوى على صولجان الملك من ايمانهم —٦— حتى ينال لهم بالهدم بنيانا : اى وهو لاينال ذلك فهم يسخرون به أبدا —٧— لم يسلك الأرض .. الخ : وذلك أن المصريين القدماء هم أول من طاف الأرض برا وبحرا • والسبل : جمع سبيل . والزواخر : البحار ، مفردها زاخر • والاثباج : جمع ثبج ، وهو معظم البحر . والشطان : جمع شط ، وهو الشاطىء .

جابوا العُبابَ على عودٍ وساريةٍ　　وأوغلوا فى الفَلا كالأُسْدِ وحْداناً(١)

أزمانَ لا البرُّ « بالوابور » منتهَبًا　　ولا « البخارُ » لبنتِ الماءِ رُبّانا(٢)

هل شيَّعَ النشءُ رَكْبَ العلمِ ، واكتنفوا　　لعبقريةِ أحمالًا وأظعانا ؟(٣)

وسايروا الموكبَ المرموقَ مُتَّشِحا　　عِزَّ الحضارةِ أعلاماً وركبانا ؟(٤)

يسيرُ تحت لواءِ العلمِ مؤتلفًا　　وان ترى كجنودِ العلمِ إخوانا

العلمُ يجمعُ فى جنسٍ ، وفى وطنٍ　　شتّى القبائلِ أجناساً ، وأوطانا(٥)

ولم يزِدْكَ كرسمِ الأرضِ معرفةً　　بالأرضِ دارًا ، وبالأحياءِ جيرانا(٦)

علمٌ أبان عن الغبراءِ ، فانكشفتْ　　زَرعا ، وضرعا ، وإقليما ، وسُكانا(٧)

وقسم الأرضَ آكاماً ، وأوديةً　　وفصل البحرَ أصدافاً ، ومرجانا(٨)

---

١ ــ جابوا : طافوا : والعباب : اكثر السيل ، والمــراد البحر . والعود : الخشب ، والمراد به السفينة . والسارية : عمود ينتصب فى وسط السفينة ليعلق القلع به ، والفلا : جمع فلاة ، وهى الصحراء الواسعة ، وقيل : المفازة لاماء فيها . والوحدان : جمع واحد ــ٢ــ ازمان : اى فعلوا ذلك من ازمان لم يكن بها الوابور ينهب البر ، ولا البخار يجرى السفن . والربان : من يجرى السفينة . وجوب الارض على هذه الحال يستدعى عزائم قوية ، ويؤدى الى مخاطر عظيمة ــ٣ــ هل شيع النش .. الخ : اى هل خرجوا مع ركب العلم يودعونهم . والنشء : جمع ناشىء : وهو الغلام جاوز حد الصغر . وركب العلم : هم العلماء الذين جاءوا فحضروا المؤتمر ، ثم رجعوا الى بلادهم ، واكتنفوا احمالا واظعانا : احاطوا بها . والعبقرية : اصلها نسبة الى عبقر ، وهو موضع كانت العرب تزعم انه كثير الجن ، وقد جعله المعاصرون اسما وارادوا به التناهى فى حذق الشىء واتقانه ، والاحمال : الهوادج ، واحدها حمل ــ بكسر الحاء وفتحها ، والأظعان : الهوادج أيضا ــ٤ــ المرموق : الذى ينظر اليه طويلا . ومتشحا : لابسا .

٥ ــ شتى القبائل : أى القبائل المتفرقة ــ٦ــ كرسم الارض : يريد العلم الذى يعرف به رسم الارض ، وهو علم الجغرافيا ــ٧ــ ابان عن الغبراء : اوضحها ، والغبراء : الأرض ــ٨ــ الآكام : التلال ، وقيل : ماالجتمع من الحجارة فى مكان واحد . والاودية : جمع واد ، وهو المنفرج بين جبلين أو تلين . والاصداف : جمع صدف ، وهو غشاء الدر . والمرجان : عروق حمر تطلع من البحر .

وبيّن الناسَ عادات وأمزجةً ... وميّز الناسَ أجناساً وأديانا

وفدَ الممالكِ ، هزّ النيلُ مَنكبَه ... لما نزلتم على واديه ضِيفانا(١)

غدا على الثغرِ غادٍ من مواكبكم ... فراح مبتسمَ الأرجاء جذلانا(٢)

جرت سفينتكم فيه ، فقلّبها ... على الكرامةِ قَيْدوماً وسكانا(٣)

يلقاكمُ بسماء البحر ضاحيةً ... وتارةً بفضاء البَرّ مُزدانا(٤)

ولو نزلتم به والدهرُ معتدلٌ ... نزلتمُ بعَروسِ المُلكِ عُمرانا(٥)

إذ (الفنارُ) وراءَ البحر موتلقٌ ... كأنّه فلقٌ من خِدره بانا(٦)

أناف خلف سماء الليل متقدًا ... يُخال فى شُرَفات الجوّ (كيوانا)(٧)

تَطْوِى الجوارى إليه اليمّ مقبلةً ... تجرى بوارجَ أو تنساب خُلجانا(٨)

نورُ الحضارة لا تبغى الركابُ له ... لا بالنهار ولا بالليل برهانا

---

(١) المنكب : هو من الحيوان مجتمع راس الكتف والعضد ، ومن غير الحيوان ناحية كل شيء وجانبه ، والمراد المعنى الاول ، كناية عن نهوضه لاكرامهم .

(٢) غدا : اقبل . والثغر : هو ثغر الاسكندرية . والمواكب : جمع موكب ، وهو الجماعة ركبانا أو مشاة . والارجاء : النواحى . والجذلان : الفرحان .

(٣) الكرامة : العزازة . والقيدوم : الصدر . والسكان — بالضم : ذنب السفينة

(٤) ضاحية : بارزة منكشفة ، وهو كناية عن صفائها (٥) ولو نزلتم به : اى بالثغر . ومعتدل : مستقيم ؛ اى ليس منحرفا ولا معوجا عن انصافنا .

(٦) اذ الفنار : اى اذ يكون الفنار .. الخ . والفنار : هو منارة السفن تقام عالية فى الميناء ليهتدى الربابنة فى الليل بنورها . وموتلق : لامع . والفلق : الصبح ، او ما انفلق من عموده . والخدر : الستر ، وقيل : هو كل ما واراك من بيت ونحوه (٧) اناف : طال وارتفع . وشرفات : واحدتها شرفة ، وهى هنا اشرف من بناء القصر . وكيوان : اسم فارسى لكوكب زحل (٨) الجوارى السفن : جمع جارية . واليم : البحر . والبوارج : جمع بارجة ، وهى سفينة كبيرة للقتال ، وتنساب : تجرى وتتدافع . والخلجان : جمع خليج ، وهو شرم من البحر .

يا موكبَ العلم ، قِفْ في أرض منْفَ به ... يُناج مَهْداً ، ويذكُرْ للصِّبا شانا(١)

يبكي تمائمَهُ طفلاً بها ، ويبكي ... ملاعباً من رُبَى الوادى وأحضانا(٢)

أرض ترَعْرَع لم يصحَبْ بساحتها ... إلاَّ نبيين قد طابوا ، وكهانا

عيسى ابنُ مريم فيها جرَّ بُردتَه ... وجرّ فيها العصا موسى بن عِمرانا

لولا الحياءُ لناجتكم بحاجتِها ... لعل منكم على الأيَّام أعوانا

إذا تفرَّقْتُمُ في الغربِ ألسنةً ... ليَّنتُمُ كلَّ قلبٍ لم يكن لانا

الصليب الأحمر

سر يا (صليبَ) الرِّفقِ في ساح الوغى ... وانشر عليها رحمةً وحنانا(٣)

وادخل على الموت الصفوفَ مُوَاسياً ... وأعِنْ على آلامه الإنسانا

والمسْ جراحاتِ البريَّةِ شافيًا ... ما كنت إلا للمسيح بنانا(٤)

وإذا الوطيسُ رمى الشبابَ بناره ... خُضْ (كالخليل) إليهمُ النيرانا(٥)

---

(١) ارض منف : هى الارض المصرية . ومنف : مدينة مصرية قديمة ، بناها الملك « مينا » مؤسس الأسرة الأولى الفرعونية ، وجعلها مقر ملكه ، وبقيت مقرا للملك حتى زالت الأسرة الثامنة . ويناج ، من ناجاه : ساره، والمهد : الموضع يهيأ للصبى ويوطأ . يقول : قف بالعلم فى الأرض التى نشأ فيها ، ليناجى مهده الاول ، ويذكر عهد صباه (٢) بكى : أى العلم . وتمائمه : جمع تميمة ، وهى العوذة التى تعلق للاطفال مخافة العين . والملاعب : جمع ملعب ، وهو مكان اللعب . والربى : جمع ربوة وهى ماارتفع من الارض (٣) الساح جمع ساحة . والوغى : الحرب .

(٤) الجراحات : جمع جراحة . والبنان : أطراف الأصابع ، مفردها بنانة .

(٥) الوطيس : شدة الحرب . والخليل : هو ابراهيم عليه السلام ، وقصة القائه فى النار مشهورة .

واجعل وسيلتَك المسيحَ وأُمَّه ... واضرَعْ ، وسلْ فى خلقِه الرَّحمانا(١)

اللهُ جارُك فى عوانٍ لم تَهب ... للهِ لا بِيَعًا ولا صُلبانا(٢)

وسلمتَ يا « حرمَ المدارك » من يدٍ ... هَتَمَتْ لِسلمِ العالمين كيانا(٣)

* * *

يا أهلَ مصر ، رمى القضاءُ بلطفِه ... وأراد أمراً بالبلاد فكانا

إنّ الذى أمرُ الممالك كلُّها ... بيديه ؛ أحدثَ فى « الكنانة » شانا

أبقى عليها عرشَها فى بُرهةٍ ... ترمى العروشَ وتنثُر التيجانا(٤)

وكسا البلادَ سكينةً من أهلها ... ووقى من الفتنِ العبادَ ، وصانا

أوَما ترون الأرضَ خُرِّب نصفُها ... وديارُ مصرٍ لا تزال جِنانا؟(٥)

يرعى كرامتَها ، ويمنعُ حوضَها ... جيشٌ يعاف البغىَ والعُدوانا(٦)

كجنود (عَمْروٍ) ، أينما ركزوا القنا ... عَفُّوا يدًا ، ومُهنَّدًا ، وسِنانا(٧)

إن الشجاعَ هو الجبانُ عن الأذى ... وأرى الجرىءَ على الشرور جبانا

* * *

أُممَ الحضارةِ ، أنتمُ آباؤنا ... منكم أخذنا العلمَ والعرفانا

---

(١) الوسيلة : ما يتقرب به الى الغير . واضرع ، من ضرع اليه . خضع وذل . والرحمن : اسم من اسماء الله تعالى .

(٢) العوان : الحرب التى قوتل فيها مرة بعد اخرى . والبيع ، بكسر الباء : جمع بيعة ، بكسرها ايضا ، وهى متعبد النصارى .

(٣) السلم : ضد الحرب . وكيان الشيء : وجوده او طبيعته .

(٤) البرهة : قطعة من الزمن طويلة . وتنثر التيجان: ترميها متفرقة .

(٥) الجنان : جمع جنة . (٦) يعاف : يكره .

(٧) كجنود عمرو ، هو عمرو بن العاص فاتح مصر وواليها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب . وركزوا القنا : غرزوها فى الأرض . والقنا : الرماح : جمع قناة . عفوا : تركوا الشهوات . والمهند : السيف . والسنان: نصل الرمح .

رقّت لكم منا القلوبُ ، كأنّما جَرحاكمُ يومَ الوغى جَرحانا

ومن المروءة - وهْي حائطُ بيننا - أن نذكرَ الإصلاحَ والإحسانا(١)

ولئن غزاكم من ذوينا معشرٌ فلرُبَّ إخوانٍ غزَوْا إخوانا

حتّى إذا الشحناءُ نامت بينهم لم يعرفوا الأحقاد والأضغانا(٢)

تحية للترك (*)

بحمدِ اللهِ ربِّ العالمينا وحمدِك يا أميرَ المؤمنينا

لقينا في عدوِّكَ ما لقينا لقينا الفتحَ والنصرَ المبينا

هُمُ شهروا أذًى ، وشهرتَ حربا فكنتَ أجلَّ إقداماً وضربا

أخذتَ حدودَهم شرقاً وغربا وطهَّرْتَ المواقعَ والحصونا

وقبلَ الحربِ حربٌ منك كانت نتائجُها لنا ظهرت وبانت

ألذّتَ الحادثاتِ بها ، فلانت وغادرتَ القياصرَ حائرينا

جمعتَ لنا الممالكَ والشعوبا وكانت في سياستِها ضروبا

فلما هبَّ (جُورجيهم) هبوبا تلفّتَ لا يصيبُ له معينا(٣)

---

(١) الحائط : الجدار ، اى وهى من تيتنا كالحائط من الدار .

(٢) الشحناء : عداوة امتلات منها النفوس . والأضغان : الاحقاد .

(*) قيلت في الحرب بين اليونان والاتراك سنة ١٣١٤ هجرية ، وقلما نالت قصيدة في العالم العربي بأجمعه ما نالته هذه القصيدة أيام ظهورها من حفاوة وانتشار ، وذلك لما ورد فيها من وصف وتهكم صادفا هوى في النفوس .

(٣) جورجى : ملك اليونان يومئذ .

رأى كيف السبيلُ إلى كريد وكيف عواقبُ الطيش المزيد
موكيف تنامُ ياعبدَ الحميد وتغفل عن دماء العالمينا ؟

ولا والله والرسْلِ الكرام وبيتِك خير بيتٍ فى الأنام
لما كانوا ــ وسيفُك ذو انتقام ــ يعادِلُ جَمعُهم منا جنينا

رأيتَ الحلمَ لما زاد غرًّا وجرًّا مَلْكَهم حتى تجرّا(١)
فجاءتك الدعاوى منه تترَى وجاءته جنودُك مبطلينا

بخيلٍ فى الهضابِ ، وفى الروابى ونارٍ فى القلاع ، وفى الطوابى
وسيفٍ لا يلينُ ، ولا يحابى إذا الآجالُ رجّت منه لينا

وجيشٍ من غُزاةٍ عن غزاة همُ الأبطالُ فى ماضٍ وآتى
ومن كرمٍ أذلُّوا كل عاتى وذَلُّوا فى قتال المؤمنينا

أبعد بلائِهم فى كلِّ حرب وضربٍ فى الممالكِ أىَّ ضرب
تحاولُ صبيةٌ فى زىِّ شعب وتطمع أن تدوس لهم عَرِينا ؟

جنودٌ للجراحِ الدهرَ برهَمْ يلبُّرها البعيدُ الصيتِ أدهمْ
فأنجدَ فى تسالية وأتْهَمْ وكنت للعدا حصنا حصيناً(٢)

أروترُ ، لا تدسَّ السم دسًّا ومهلاً فى التهوّس يا (هَوَسا)(٣)

---

(١) تجرا : مخفف تجرأ .

(٢) تسالية : موقعة من مواقع هذه الحرب . وانجد واتهم : نزل نجدا وتهامة والمراد أنه أتي على كل ما فيها ما ارتفع منه وانخفض .

(٣) هوسا : المراد به هاقاس ، وهى الشركة البرقية المعروفة .

سلِ اليونانَ: هل ثبتت (لرِسّا) وهل حُفِظَ الطريقُ إلى أثينا ؟(١)

معاذَ الله ، كَلّا ، ثم كَلّا هم البحارةُ الغرُّ الأَجِلا !
وما أسطولُهم فى البحر إلا (شَخاشِيخٌ) مايَرُحنَ وما يجينا!(٢)

وكم بعثوا جيوشاً من أمانى أتت دارَ السعادة فى أمان
وما سارت سوى يومَىْ زمان فأهلاً بالغزاة الفاتحينا !

وكم باتوا على هَرْجٍ ومَرْج وقالوا : المالُ مبذولٌ لجورجى(٣)
وكلُّ المالِ من دخْلٍ وخَرْجٍ ديونٌ لا تقدِّرها ديونا!(٤)

وكم فتحوا الثغورَ بلا توانى وبالأسطولِ جاءُوا من موانى
وللبسفورِ طاروا فى ثوانى فأهلاً بالأوزِّ العائمينا(٥)

وفى الآستانة انتصروا انتصارا وبطرسبرجَ دكُّوها حصارا
فيا للمسلمين وللنصارى وقيصرَ والملوكِ الآخرينا !

ويا غليومُ ، أين لك الفرارُ إذا جورجي وعسكرُه أغاروا ؟
فضاقت عن سفينِهمُ البحارُ وضاق البرُّ عنهم واجفينا !

أمورٌ تضحكُ الصبيانُ منها ولا تدرى لها العقلاءُ كُنْها

---

(١) لرسا : موقعة من مواقع هذه الحرب .
(٢) شخاشيخ : جمع (شخشيخة) وهى لعبة معروفة للاطفال .
(٣) الهرج والمرج : الفتنة والاختلاط .
(٤) لا تقدرها ديونا : أى لضآلتها ، والمراد فى كل هـذه الابيات التهكم باليونان .
(٥) وصف الاوز بجمع المذكر ، قد يراد به التعظيم .

فسَلْ روبَرْ ، وسَلْ هافاسَ عنها   فإن لديهما الخبرَ اليقينا

ويومَ مَلونَ إذ صحنا ، وصاحوا   ذكرنا الله من فرح ، وناحوا
ودارتْ بينهم بالراح راحُ   ودارتْ راحةُ الإيمان فينا(١)

على الجبلين قد بتنا ، وباتوا   وقتناهم منيّتهم . وقاتوا
وقد متنا ثباتاً ، واستماتوا   وما البسلاء كالمستبسلينا

خسفنا بالحصون الأرضَ خسفا   تزيد تأبّياً فنزيد قذفا
بنار تنسفُ الأجيالَ نسفا   وتلقفُ نارَهم والمطلقينا

مدافعُ ما تثوبُ بغير زادِ   براكينٌ تصوبُ بلا نفاد(٢)
نصبناها لهم فى كل وادى   فكنّ الموتَ : أو أهدى عيونا

جعلنا الأرضَ تحتهمُ دماء   وصيّرنا الدخانَ لهم سماء
وإذ راموا من النار احتماء   حَمَتْ أسيافُنا منهم متينا

ورب مجاهدٍ شيخٍ مُبَجَّل   ترجلتِ الجبالُ وما ترجّلْ
أراد ليركب الموتَ المحجَّل   إلى أجدادِه المستشهَدينا

ولى لجوادِه ، وحنا عليه   وقد شَخَصتْ بنادقُهم إليه
وصابَ رصاصُها يُدْمى يديه   وأوشكتِ السواعد أن تخونا

تعوّدَ أن يصيب ، وأن يُصابا   فخوطبَ فى النزول ، فما أجابا

---

(١) ملون : موقعة ، والراح الاولى : الاكف ، والثانية : الخمر .
(٢) تصوب : اى يسقط حممها كالمطر .

وقال — وقد قضى — قولاً صوابا : هنا فليطلبِ المرءُ المَنونا

وقد زاد البسالةَ من وقارِ هِزبر من ليوثِ الترك ضارى
تقدم نحو نارٍ أى نارِ ليسبقَ نحوَ خالقِه القرينا

جرى ، فأذلَّ هاتيكَ الأُلوفا وزحزح عن مواضعها الصفوفا
فخاض إلى مكامنِها الحُتوفا وما هاب الرُّماةَ مسدِّدينا

دعا لله فى وجه الأعادى كليثٍ زائرٍ فى بطن وادى
فلبَّتْه الفيالقُ والأرادى ودارَ هلالُ رايتنا يمينا(١)

فلما أذعنوا أنّا المنايا وأنّا خيرُ من قاد السرايا(٢)
تفرّق جمعُهم إلّا بقايا على قُلَل الجبالِ مُجندَلينا

صلاةُ الله ربى والسلامُ على قتلى بفرسالو أقاموا(٣)
هم الشهداء ، حول الله حاموا فأدناهم ، وكانوا الفائزينا

أنالوا الملك فتحاً أىَّ فتح وشادوا للخلافةِ أىَّ صرحِ
وجاءوا ربَّهم منهم بذِبْح تَقبَّلَه ، وكان به ضنينا(٤)

سلاماً مفعَ فرسالو سلاما وكن خيرَ المُقامِ لمن أقاما
وضنَّ بها وإن بليتْ عظاما تطيف بها الملائك حائمينا

---

(١) الأرادى : جمع أردى ، وهو الجيش .
(٢) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش .
(٣) فرسالو : موقعة .
(٤) الذبح : ما يذبح .

أأذَهَمُ ، هكذا تُقْنَى المعالى وتُقْنَى بالقواضِب والعوالى(١)
لقد بيَّضْتَ للملْك الليالى بسيفٍ يفضح الفجرَ المبينا

أخذتَ النصرَ بالجبلين غصبا وكنتَ الليثَ تخطاراً ووثبا
حملْتَ ، فماجَتْ الحُمْلانُ رُعْبا يظنُّهمُ الجهولُ مقاتلينا

وفى فرسالَ قد جئتَ العُجابا بسطتَ الجيشَ تقرؤه كتابا
وقد أحصيتَه باباً فبابا وكانوا عن كتابك غافلينا

ثبتَّ مؤمَّلا منك الثباتُ توافيكَ الرسائلُ والسُّعاةُ
وحولَكَ أهلُ شوراك الثقاتُ تسوسون الجيوش مظفرينا

هناك الصحْفُ سارت حاكيات وطيَّرتِ البروقُ محدِّثات
وحدَّثتِ الممالكُ آخذاتٍ علومَ الحربِ عنكم والفنونا

بنى عثمانَ ، إذا قد قَدَرنا فتوحَكمُ الكِبَارَ وقد شكرنا
سألنا الله نصراً ، فانتصرنا بكم ، والله خيرُ الناصرينا

---

(١) القواضب : السيوف ، والعوالى : الرماح .

الدستور العثمانى

بشرى البرية قاصيها ودانيها حاطَ الخلافةَ بالدستورِ حاميها(١)

لما رآها بلا ركنٍ تداركَها بعد (الخليقة) بالشورى ، وناديها(٢)

وبالأُبيين من قومٍ أماتهم بُعدُ الديارِ ، وأحياهم تدانيها(٣)

حنُّوا إليها كما حنَّتْ لهم زمناً وأوشك البينُ يُبليهم ، ويُبليها(٤)

مُشتّتين على الغبراء ، تحسبُهم رحّالةَ البَدْوِ هاموا فى فيافيها(٥)

لايقربُ اليأْسُ فى البأْساءِ أنفسَهم والنفسُ إن قَنَطَتْ فاليأْسُ مُرْديها(٦)

* * *

أسدى إلينا (أميرُ المؤمنين) يدًا جلَّت ، كما جلَّ فى الأملاكِ مُسديها(٧)

بيضاء ، ما شابَها للأبرياءِ دمٌ ولا تكدّر بالآثامِ صافيها(٨)

---

(١) حاط الخلافة : حفظها وتعهدها . وحاميها : هو الله تعالى .

(٢) الشورى : التشاور فى الأمر ، والمراد الرجوع فى الحكم الى راى الأمة .

(٣) الابيون : جمع أبى من الاباء ، وهو الكبر والنخوة (٤) البين : الفرقة .

(٥) البدو : الصحراء . ورحالة البدو : أى الرحالة من أهل البدو . وهاموا : ذهبوا لايدرون أين يتوجهون · والفيافى : جمع فيفاء ، وهى المكان المستوى ، أو المفازة لا ماء فيها ·(٦) اليأس : ان يقطع الانسان أمله من الشيء ، وهو القنوط ايضا (٧) اسدى : احسن · وامير المؤمنين : هو السلطان عبد الحميد · واليد : النعمة ، والمراد الدستور · وجلت : عظمت · والأملاك : الملوك ·

(٨) بيضاء .. الخ : وذلك أنه لم تكد امة تستخلص الحكم من الملك المستبد به ، وتعيده الى رأيها ، الا بعد حرب تقع بينه وبينها ، ولكن السلطان عبد الحميد لم يكد يعلم أن الجيوش زاحفة لتستخلص الحكم الشورى حتى رضيه وأقره ، فلم تقع يومئذ حرب ، ولا اريقت دماء ، وان كانت قد حدثت بعد ذلك فتنة اريد بها ارجاع الاستبداد ، وانتهت بخلع السلطان .

وليس مُستعظَماً فضلٌ ، ولا كرمٌ ... من صاحب (السكة الكبرى) ومُنشيها(١)

إن الندَى والرضَى فيه وأسرتِه ... واللهُ للخير هاديه وهاديها

قومٌ على الحبِّ والإخلاص قد ملكوا ... وحسبُ نفسك إخلاصٌ يُزكِّيها(٢)

إذا الخلائفُ من بيتِ الهدى حُمِدَتْ ... أعلى الخواقينَ مِنْ عثمانَ ماضيها(٣)

خلافةُ الله فى أحضانِ دولتهم ... شابَ الزمانُ ، وما شابت نواصيها

دروعُها تحتمى فى النائباتِ بهم ... من رمح طاعنِها ، أو سهمِ راميها

* * *

الرأيُ رأيُ «أميرِ المؤمنين» إذا ... حارتْ رجالٌ وضلَّتْ فى مرائيها(٤)

وإنما هى شُورى اللهِ ، جاء بها ... كتابُه الحقُّ ، يُعليها ، ويُغليها

حقَنتَ عند مناداةِ الجيوش بها ... دمَ البريَّةِ إرضاءً لباريها(٥)

ولو منعت أُريقت للعباد دِماً ... وطاحَ من مُهَجِ الأجناد غاليها(٦)

وَمَنْ يَسُسْ دولةً قد سُسْتَها زمنًا ... تهُنْ عليه من الدنيا عواديها(٧)

أنى ثلاثون حوْلاً لم تذُقْ سِنةً ... ولا استخفَّكَ للذّاتِ داعيها

مُسَهَّد الجفنِ ، مكدودَ الفؤادِ بما ... يُضنِى القلوبَ ، شجيَّ النفس ، عانيها(٨)

---

(١) السكة الكبرى : هى السكة الحديدية الحجازية ، وقد انشأتها الدولة فى أيامه . (٢) يزكيها : يطهرها .

(٣) الخلائف : جمع خليفة . وبيت الهدى : هو بيت النبـــوة . والخواقين : جمع خاقان ، وهو أسم لكل ملك من الترك . وعثمان : هو مؤسس الدولة التركية .

(٤) المرائى : الآراء ، جمع مِرأى .

(٥) حقنت دم البرية : منعته أن يسفك . والبرية : الخلق . والبارى : الخالق

(٦) اريقت ، من أراق الماء : صبه والدما : جمـــع دم . وطاح ، هلك . والمهج : الارواح . والاجناد : العسكر ، جمع جند .

(٧) عواديها : جمع عادية من عدا عليه : ظلمه ، اى العوادى التى تصيبه منها .

(٨) مسهد الجفن : من سهده ، بالتشديد جعله يسهد . أى لا ينام . ومكدود الفؤاد : متعبه . ويضنى القلوب : يثقلها . وشجى النفس : مشغولها والعانى : الأسير .

تَكادُ من صُحبةِ الدنيا وخِبْرتِها ... تسيءُ ظَنَّك بالدنيا ومافيها

* * *

أما ترى المُلكَ فى عرسٍ وفى فرحٍ ... بدولةِ الرأيِ والشورى وأهليها؟

لمَّا استعدّ لها الأقوامُ جِئتَ بها ... كالماء عند غليل النفسِ صاديها؟(١)

فضلٌ لذاتك فى أعناقِنا ، ويدٌ ... عند الرعيةِ من أسنى أياديها(٢)

خلافةُ اللهِ جرّ الذيلَ حاضرُها ... بما منحتَ ، وهزَّ العطفَ باديها(٣)

طارت قناها سروراً عن مراكزِها ... وألقت الغِمد إعجاباً مواضيها(٤)

هبَّ النسيمُ على « مقدونيا » بَرداً ... من بعد ماعَصَفَتْ جمراً سوافيها(٥)

تغلى بساكنِها ضِغناً ونائرةً ... على الصدور إذا ثارت دواعيها(٦)

عاثت عصائبُ فيها كالذئاب عَدَتْ ... على الأقاطيعِ لمَّا نام راعيها(٧)

خلالها من رسُومِ الحكم دارسُها ... وغرَّها من طلول الملك باليها(٨)

---

(١) الغليل : شدة العطش . وغليل النفس : أى مغلولها ، من غل الرجل يضم الغين : اشتد عطشه . والصادى : الشديد العطش ايضا .

(٢) اليد هنا : النعمة (٣) الحاضر : المقيم فى الحضر . والبادى : المقيم فى البادية .

(٤) مراكزها : جمع مركز ، من ركز القناة ، اذا غرزها في الأرض . والغمد : جفن السيف . والمواضى : السيوف . (٥) مقدونيا : هى اقليم البلقان ، من تركية أوربة . والبرد : حب الغمام . والعصف : اشتداد الريح . والسوافى : الرياح تذرى التراب ، جمع سافية . (٦) تغلى : أى مقدونية . والضغن : الحقد . والنائرة : يقال : نارت فى الناس نائرة ، أى هاجت هائجة ، ودواعى الصدور : همومها .

(٧) عاثت : افسدت . والعصائب : جمع عصابة ، وهى الجماعة من الرجال ، قيل : العشرة ، وقيل : مابين العشرة الى الاربعين . عدت : وثبت . والاقاطيع : جمع قطيع ، وهو الطائفة من الغنم . (٨) الرسم الدارس : العافى القديم . والطلول : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الديار .

فسامَرَ الشرَّ فى الأجبالِ رائحُها وصبَّح السهلَ بالعدوانِ غاديها(١)
مظلومةٌ فى جوارِ الخوفِ، ظالمةٌ والنفسُ مؤذيةٌ من راحَ يؤذيها
رثتْ لها ويكتْ من رقَّةٍ دوَلٌ كاليوم يبكى رُبُوعًا عزَّ باكيها(٢)
أَعلامُ مملكةٍ فى الغرب خائفةٌ لآل عثمانَ كادَ الدَّهرُ يطويها
لمّا مُلئنا قنوطاً من سلامتها توثّبَتْ أُسْدُ الآجام تحميها(٣)
من كل مستبسلٍ يرمى بمهجتِه فى الهول إن هى جاشت لا يراعيها(٤)
كأنها — وسلامُ الملك يطلبها — أمانةٌ عند ذى عهدٍ يؤدّيها

* * *

الدينُ لله، من شاء الإلٰهُ هَدَى لكل نفسٍ هَوًى فى الدين داعيها
ما كان مُختلِفُ الأديانِ داعيةً إلى اختلافِ البرايا، أو تعاديها
الكُتْبُ، والرسْلُ، والأديانُ قاطبةً خزائنُ الحكمةِ الكبرى لِواعيها
محبةُ اللهِ أصلٌ فى مراشِدها وخَشيةُ اللهِ أُسٌّ فى مبانيها(٥)
وكل خيرٍ يلقَّى فى أوامرها وكل شرٍّ يوقَّى فى نواهيها
تسامُحُ النفسِ معنًى من مروءتها بل المروءةُ فى أسمى معانيها

---

(١) فسامر الشر : من المسامرة ، وهى الحديث ليلا . وصبح ، بتشديد الباء : أتاه صباحا . (٢) رثت لها : رحمتها . وهذا البيت والأبيات قبله وصف لحالة مقدونيا ، وذلك أن دول أوروبة كانت دائما تدبر المكايد للدولة التركية ، وكانت تجد مقدونيا أصلح مكان لمكايدها ، لما بين أهلها من اختلاف كثير فى الجنس والدين واللغة ، وكانت الدولة العلية لا تكاد تطفىء فتنة فى ناحية منها حتى تشب فتنة فى ناحية أخرى ، وكلما كانت تتذرع بالقوة وإظهار الحزم فى القضاء على أصحاب الثورات كان يشتد خوف الناس فى هذا الإقليم .

(٣) يريد بأسد الآجام : رجال الجيش الذين طلبوا من السلطان عبد الحميد إعلان الدستور فأذعن لهم .

(٤) المستبسل : المستقتل والمهجة : الروح . والهول : الخوف من الأمر لا يدرى ما يهجم عليه منه . وجاشت : اضطربت .

(٥) المراشد : مقاصد الطرق .

تخلّقِ الصفحَ تسعدْ فى الحياةِ به　　فالنفسُ يسعدها خُلْقٌ ويُشقيها(١)
اللهُ يعلمُ ما نفسى بجاهلةٍ　　مَن أهلُ خِلّتِها ممن يُعاديها ؟(٢)
لئن غدوتُ إلى الإحسانِ أصرفها　　فإن ذلك أجرى من معاليها
والنفسُ إن كبرت رقّتْ لحاسدِها　　واستغفرت كرماً منها لشانيها(٣)

* * *

ياشعبَ عثمانَ من تركٍ ومن عربٍ　　حيّاكَ مَنْ يبعث الموتى ويُحييها
صبرتَ للحقِّ حين النفسُ جازعةٌ　　واللهُ بالصبر عند الحقِّ موصيها
نِلْتَ الذى لم ينله بالقنا أحدٌ　　فاهتفْ(لأنورها)وأحمدْ(نيازيها)(٤)
ما بين آمالِك اللاتى ظفِرْتَ بها　　وبين (مصر) معانٍ أنتَ تدريها

---

(١) تخلق الصفح : اى اجمله خلقا لك . والصفح : الاعراض عن ذنوب الغير .

(٢) الخلة (بكسر الخاء) : المصادقة والاخاء .

(٣) شانيها : مبغضها .

(٤) القنا : الرماح ، جمع قناة . وانور ونيازى : هم بطلا الدستور العثمانى المشهوران .

الهلال والصليب الأحمران

(جبريل) ، أنت هدى السما ء ، وأنت برهانُ العِنايه (١)
أُبْسُطْ جَنَاحَيْكَ اللذيْ ن هما الطهارةُ والهدايه
وزِدِ (الهلالَ) من الكرا مةِ ، و(الصليبَ) من الرعايه
فهما لربِّك رايةٌ والحربُ للشيطان رايه
لم يخلق الرحمن أكـ بر منهما في البِرِّ آيه
الأحمران عن الدم الـ غالى وحرمتِه كنايه (٢)
الغـــاديان لنجـــدةٍ الرائحان إلى وقايه (٣)
يتألَّقان على الوغى رشدًا تَبَيَّن من غوايه (٤)
يقفان في جنب الدِّما كالعُذْرِ في جنب الجنايه
لو خيَّما في (كربلا) لم يُمْنع (السِّبْطُ) السِّقايه (٥)
أو أدركا يوم المسيـ ح لعاوناه على النكايه (٦)
ولناولاهُ الشهدَ ، لا الـ خَلَّ الذى تصِفُ الروايه (٧)

---

(١) جبريل : من الملائكة مختص بالوحى .

(٢) الأحمران .. الخ : اى اللذان جعلا احمرين ليكنى بهما عن الدم وحـرمته .

(٣) النجدة : الاعانة . (٤) يتالقان : يلمعـــان ويضيئان .

(٥) كربلا : مدينة في العراق بها قبر الحسين بن على رضى الله عنهما . والسبط : ولد الولد : والحسين سبط النبى صلى الله عليـــه وسلم . يشير بذلك الى مقتل الحسين ، وما قيل من أن قتلته منعـوا عنه الماء حين طلبه وهو في النزع .

(٦) يوم المسيح : اى اليوم الذى يزعم النصارى ان المسيح صلب فيه.

(٧) ولناولاه الشهد .. الخ : وذلك أن النصارى تدعى ان المسيـــح طلب وقت شدة الصلب ماء فاعطوه خلا .

يأيها (اللادى) التى ألقت على الجرحَى حِمايه(١)

أبلَيْتِ فى نزع السها م بلاءَ دَهْرِكِ فى الرمايه(٢)

ومررتِ بالأسرى ، فكنـ ـتِ نسيمَ واديهم سِرايه(٣)

وبناتُ جنسكِ إن بَنَيْـ ـنَ البِرَّ أحْسَنَّ البنايه

بالأمس لادى (لوثر) لم تألُ جيرتَها عنايه(٤)

أسْدَتْ إلى أهل الجنو دِ يدًا ، وغالت فى الحفايه(٥)

ومُحجَّباتٍ هنّ أطـ ـهرُ عند نائبةٍ كفايه(٦)

يُسْعِفن رِيًّا ، أو قِرًى كنساء طَيٍّ فى البدايه(٧)

إن لم يكُنَّ ملائكَ الر حمْن كُنَّ هُمُ حِكايه(٨)

لَبَّيْنَ دعوتَكِ الكريـ ـمةَ ، واستبقْنَ البرَّ غايه(٩)

المحسنون همُ اللبا بُ ، وسائرُ الناسِ النفايه(١٠)

يا أيها الباغون ، ركا بَ الجهالة والعَمايه

---

(١) اللادى : لقب عام لزوجات لوردات الانكليز ، وهى هنا زوجة المعتمد البريطانى فى مصر أثناء الحرب الكبرى ، وذلك انها قامت بجمع المال اعانة للصليب الاحمر ، وتدعو الى ذلك .

(٢) ابليت ، من ابلى فى الحرب : اظهر بأسه حتى اختبره الناس وامتحنوه .

(٣) السراية : مصدر سرى ، اى تسلل .

(٤) لادى لوثر : انكليزية أخرى . ولوثر : اسم زوجها . والجيرة : الجيران .

(٥) الحفاية : الحفاوة ، وهى ان تتلطف بالرجل وتبالغ فى اكرامه وتظهر السرور به ، (٦) ومحجبات : أى ورب نساء محجبات لسن سافرات مثلكن . والكفاية : ما يحمل به الاستغناء والقناعة .

(٧) الرى : (بكسر الراء وفتحها) : اى تشرب الماء حتى تشبع . والقرى : ما قرى به الضيف . وطى : قبيلة من العرب مشهورة بالكرم .

(٨) الملائك : جمع ملك ، بفتح اللام .

(٩) لبين : اجبن . واستبقن البر : جاوزنه (١٠) اللباب : المختار الخالص من الشىء . والنفاية (بضم النون وفتحها) : ما نفيته من الشىء لرداءته .

الباعثونَ الحربَ حُبّـــاً للتوسُّع فى الولايه
المدَّعون على الورى حقَّ القيامةِ والوصايه
المثكِلون ، الموتِمو ن ، الهادِمون بلا نِهايه(١)
كلٌّ الجِراح لها التئا م من عزاءٍ أو نِسايه(٢)
إلاَّ جراح الحقِّ فى عصر الحصافة والدرايه(٣)
ستظلُّ دامية إلى يوم الخصومة والشكايه

(انتهى)

---

(١) المثكلون ، من اثكلها ولدها : أماته . والموتمون : الذين يجعلون الابناء يتامى بقتل آبائهم فى الحرب.

(٢) النسايه : النسيان .

(٣) الحصافة : استحكام العقل وجودة الرأى .



فهـرس
الجزء الأول من الشوقيات

صفحة

٣ مقدمه الطبعة الأولى بقلم الدكتور محمد حسنين هيكل .

١٧ كبار الحوادث في وادى النيل ، مطلعها :
همت الفلك ، واحتواها المـاء وحداها بمن تقـل الرجاء

٣٤ الهمزية النبوية ، مطلعها :
ولد الهدى ، فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثنـاء

٤٢ صدى الحرب ، مطلعها :
بسيفك يعلو الحق، والحق أغلب وينصر دين الله أيـان تضرب

٥٩ انتصار الأتراك ، مطلعها :
الله أكبر ، كم فى الفتح من عجب ياخالد الترك جدد خالد العرب

٦٤ بعد المنفى ، مطلعها :
أنادى الرسم لو ملك الجوابا وأجـزيه بدمعى لو أثابا

٦٨ ذكرى المولد ، مطلعها :
سلوا قلبى غداة سـلا وتابا لعل على الجمـال له عتـابا

٧٢ مشروع ملنر ، مطلعها :
اثن عنان القلب ؛ واسـلم به من ربرب الرمـل ، ومن سربه

٧٦ مشروع ٢٨ فبراير ، مطلعها :
أعدت الراحة الكبرى لمن تعبـا وفاز بالحق من لم يأله طلبـا

٨٠ الله والعلم ، مطلعها :
لمن ذلك الملك الذى عز جانبه ؟ لقد وعظ الأملاك والناس صاحبه

٨٤ ذكرى كارنارفون ، مطلعها :
فى الموت ما أعيا وفى أسـبابه كل امرئ رهن بطى كتـابه

صفحة

٩٠ أيها العمال ، مطلعها :

أيها العمـــال ، افنوا الـ ـعمر كدا واكتســـــابا

٩٢ نجاة ، مطلعها :

هنيئا أمير المؤمنين ، فانمـــا نجاتك للدين الحنيف نجـــاة

٩٨ الى عرفات ، مطلعها :

الى عرفات الله ياخـير زائـر عليك ســـلام الله فى عرفات

١٠٢ مصر تجدد مجدها ، مطلعها :

قم حي هذى النيـــــرات حي الحســـان الخيـــرات

١٠٥ خلافة الاسلام ؛ مطلعها :

عادت أغاني العرس رجع نواح ونعيت بين معـــالم الأفراح

١٠٩ تكريم ، مطلعها :

بأبى وروحي الناعمات الغيـدا الباسمات عن اليتيـم نضيدا

١١٣ على سفح الأهرام ، مطلعها :

قف ناج أهرام الجلال ، وناد: هل من بناتك مجلس أو ناد ؟

١١٦ المطرية تتكلم ؛ مطلعها :

ياناشر العــــلم بهذى البلاد وفقت ، نشر العلم مثل الجهاد

١١٩ الانقلاب العثمانى ؛ مطلعها :

سـل « يلدزا » ذات القصـور هل جاءها نبـأ البـــدور ؟

١٢٥ انتحار الطلبة ، مطلعها :

ناشىء فى الورد من أيـــامه حسبه الله ، أبالورد عثـر ؟

١٢٩ عبث المشيب ؛ مطلعها :

ظلم الرجال نساءهم ، وتعسفوا هل للنساء بمصر من أنصار ؟

صفحة

١٣٢ أبو الهول ، مطلعها :

أبا الهـول ؛ طال عليك العصر   وبلغت فى الأرض أقصى العمر

١٤٥ مملكة النحل ، مطلعها :

مملكة   مدبرة   بامرأة   مؤمرة

١٤٩ في سبيل الهلال الاحمـــــر ، مطلعها :

جبريل ، هلل فيالسماء ، وكبر   واكتب ثواب المحسنين وسطر

١٥١ الأزهر ، مطلعها :

قم في فم الدنيا ، وحي الأزهرا   وانثر على سمع الزمان الجوهرا

١٥٤ وداع فروق ، مطلعها :

تجلد للرحيل ، فما استطاعا   وداعا جنة الدنيـــــا وداعا

١٥٥ رحالة الشرق ، مطلعها :

أقدم ، فليس على الاقدام ممتنع   واصنع بهالمجد،فهوالبارع الصنع

١٥٨ براءة ، مطلعها :

النـاس للدنيـــــا تبـــع   ولمن تحـــالفه شـــــيع

١٥٩ الصحافة ؛ مطلعها :

لـــكل زمـــان مضى آية   وآية هـــذا الزمان الصـحف

١٦١ عيد الفداء ، مطلعها :

أما العتاب فبالأحبـــــة أخلق   والحب يصلح بالعتاب، ويصدق

١٦٢ نكبة بيروت ، مطلعها :

يارب أمرك فى الممـــالك نافذ   والحكم حكمك في الدمالمسفوك

١٦٣ تكليل أنقرة ، مطلعها :

قم ناد (أنقرة) ، وقل يهنيـك   ملك بنيت على سيوف بنيـك

صفحة

١٦٩ عيد الدهر ، مطلعها :

الملك بين يديك فى اقبـــاله   عـــوذت ملكك بالنبى وآلـــه

١٧٣ وداع اللورد كرومر ، مطلعها :

أيامكم ، أم عهـــد اسماعيلا ؟   أم أنت فرعون يسوس النيلا ؟

١٧٦ بين الحجاب والسفور ، مطلعها:

صـــداح ، ياملك الكنـــار   ويا أميـــــر البلبـــــل

١٨٠ العلم والتعليم ، مطلعها :

قم للمعـــــلم وفه التبجيلا   كاد المعلم أن يكون رســـولا

١٨٤ بنك مصر ؛ مطلعها :

قف بالممالك ، وانظر دولة المال   وانظر رجالا أدالوها باجمـــال

١٨٥ مرحبا بالهلال ، مطلعها :

العام أقبـــل ، قم نحى هلالا   كالتاج فى هام الوجـــود جلالا

١٨٨ ياشباب الديار ، مطلعها :

غال فى قيمة ابن بطرس غالى   علم الله ، ليس فى الحق غالى

١٩٠ نهج البردة ؛ مطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم   أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

٢٠٨ خاتمة رياض ، مطلعها :

كبير الســـابقين من الكرام   برغمى أن أنالك بالمـــلام

٢١١ ضجيج الحجيج ، مطلعها :

ضج الحجاز ، وضج البيت الحرم   واستصرخت ربها فى مكة الأمم

٢١٥ استقبال ، مطلعها :

ياراكب الريح حى النيل والهرما   وعظم السفح من سيناء والحرما

٢١٨ ارسطاليس وترجمـــاته ، مطلعها :

علمت بالقـــلم الحـــكيم   وهـــديت بالنجـــم الكريم

صفحة

٢٢١ شهيد الحق ، مطلعها :

الام الخلف بينـــكم ؟ الاما ؛ وعذى الضجة الكبرى علاما ؟

٢٢٥ تحية للترك ، مطلعها :

الدهر يقظان ، والاحداث لم تنم فما رقادكم يا اشرف الأمم ؟

٢٢٦ الأسطول العثمانى ، مطلعها :

هز اللواء بعزك الاســـــلام وعنت لقائم ســـيفك الأيام

٢٣٠ الأندلس الجديدة ، مطلعها :

يا أخت أندلس ، عليك سلام هوت الخلافة عنك ، والاسلام

٢٣٩ ضيف أمير المؤمنين ، مطلعها :

رضى المسلمون والاســـــلام فرع عثمان ، دم ، فداك الدوام

٢٤٤ ذكرى دنشواى ، مطلعها :

يادنشواى ، على رباك سلام ذهبت بانس ربوعـــك الأيام

٢٤٥ الهلال الأحمر ، مطلعها :

ياقوم عثمان والدنيا مداولة تعاونوا بينكم ياقوم عثمـــانا

٢٤٨ رومة ، مطلعها :

قف بروما وشاهد الأمر واشهد أن للملك مالكا ســـــبحانه

٢٥٣ على قبر نابليون ، مطلعها :

قف على كنز ببـــاريس دفين من فريد فى المعـــالى وثمين

٢٥٩ تكريم ، مطلعها :

وطن يرف هوى الى شـــبانه كالروض رفته على ريحـــانه

٢٦٦ توت عنخ آمون ، مطلعها :

تجـــا وتماثل ربانهـــــا ودق البشـــائر ركبانهـــا

٢٦٦ توت عنخ آمون ، مطلعها :

قفى ــ ياأخت (يوشع) ــخبرينا أحاديث القـــرون الغابرينا

صفحة

٢٧٥ تحية المؤتمر الجغرافى ، مطلعها

هل تهبط النيرات الأرض أحيانا؟ وهل تصور أفرادا وأعيانا ؟

٢٧٨ الصليب الأحمر مطلعها :

سريا (صليب) الرفق فى ساح الوغى وانشر عليها رحمة وحنـــانا

٢٨٠ تحية للترك ، مطلعها :

بحمد الله رب العالمينـــــا وحمدك يا أمير المؤمنينـــا

٢٨٦ الدستور العثمانى ، مطلعها :

بشرى البرية قاصيها ودانيهـــا حاط الخلافة بالدستور حاميها

٢٩١ الهلال والصليب الأحمـــران مطلعها :

(جبريل) ! أنت هدى السماء وأنت برهـــان العنـــاية

طبع على مطابع

دار الكتاب العربي في بيروت